قامت الطالبة بعمل التصويبات المطلوبة

عضو اللجنة
د/ فهد بن عبدالرحمن

عضو اللجنة
د/ حمد

المشرف
عبد الباسط إبراهيم بلبول

٦/٦/١٤١٦ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم الكتاب والسنة

منهج سيد قطب
في ظلال القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

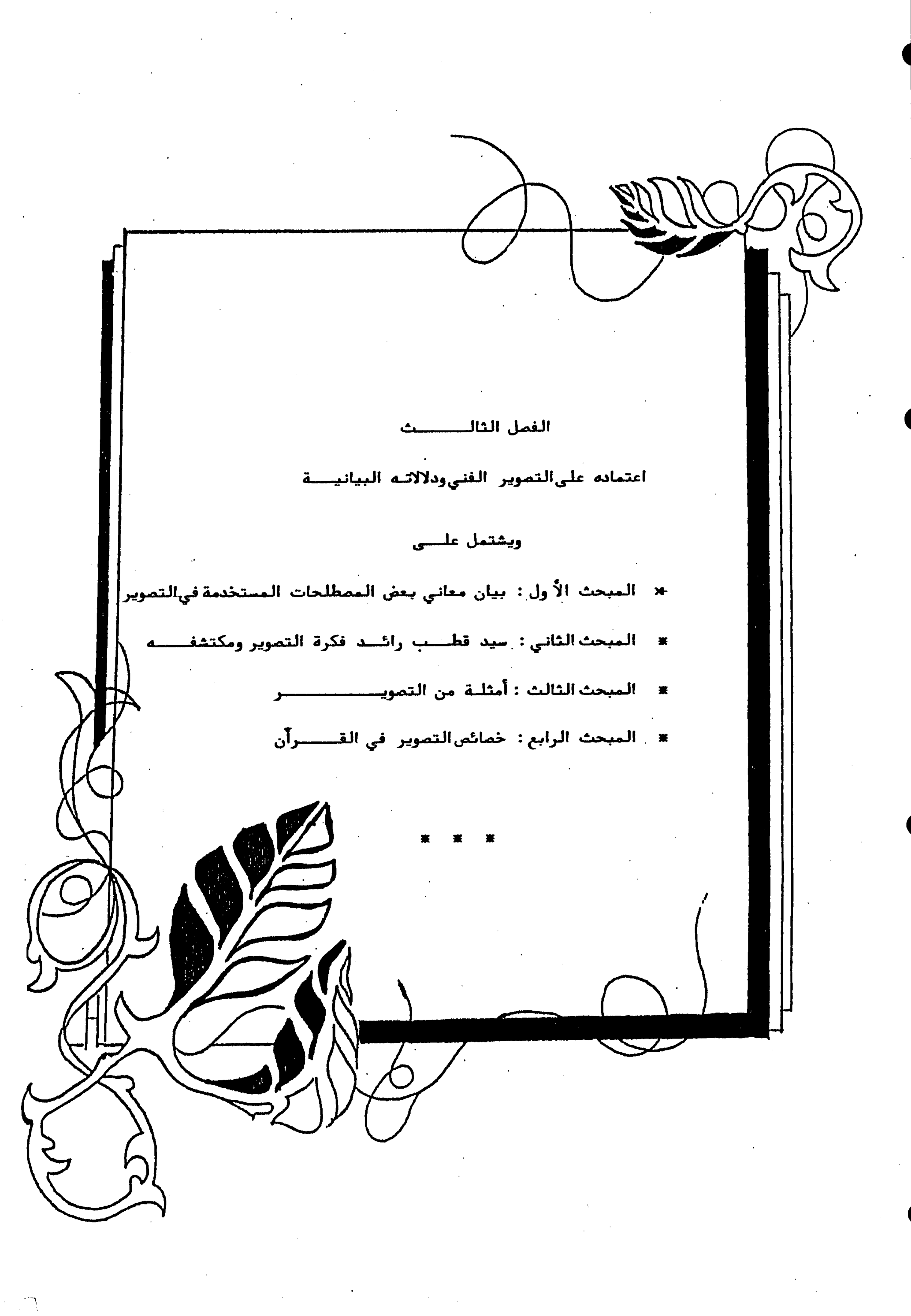
تأليف الطالبة
أسماء بنت عمر حسن فدعق

اشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
عبدالباسط إبراهيم بلبول

المجلد الثاني

١٤١٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



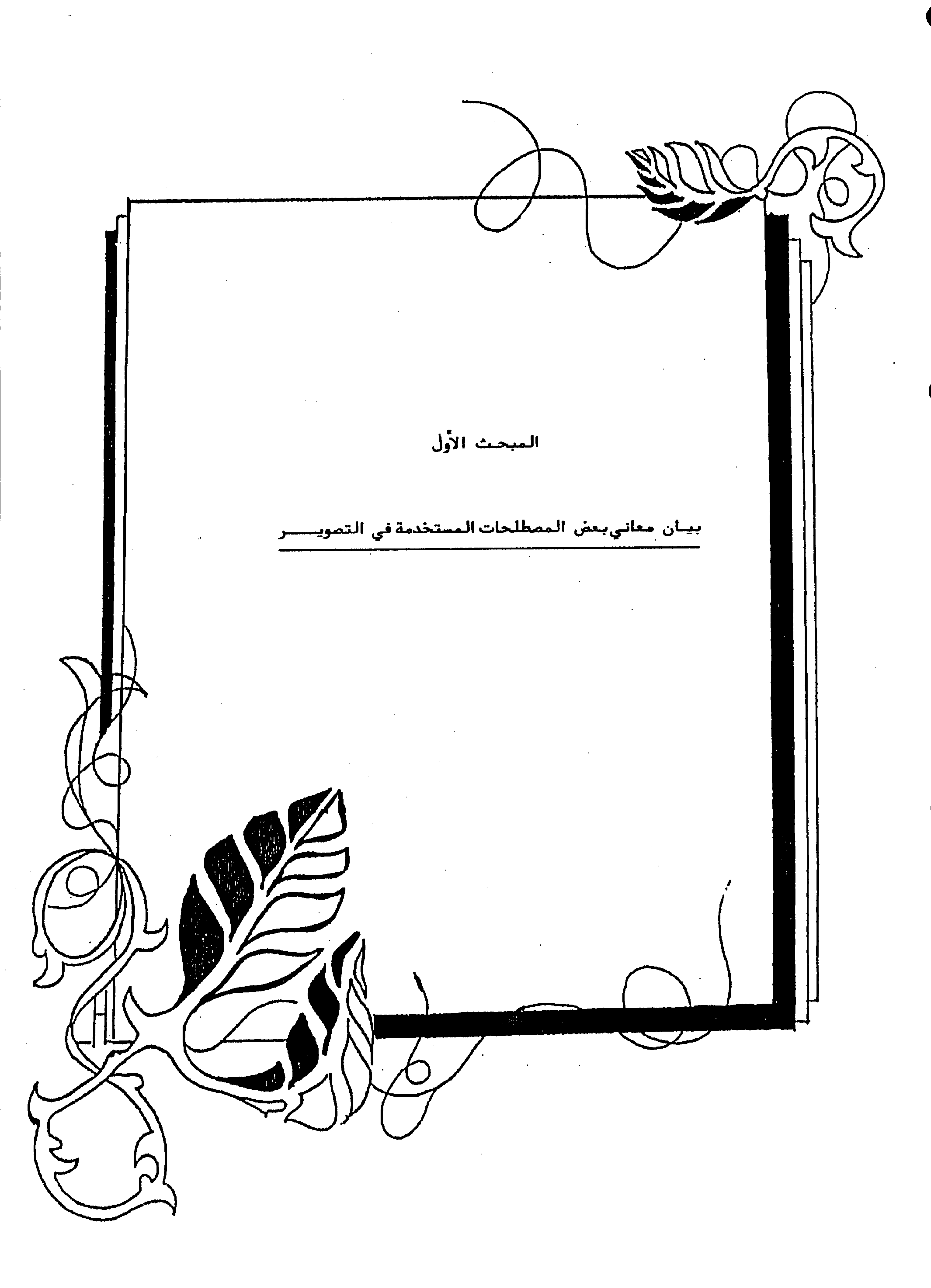
الفصل الثالـــــث

اعتماده على التصوير الفني ودلالاته البيانيـــة

ويشتمل علـــى

* المبحث الأول : بيان معاني بعض المصطلحات المستخدمة في التصوير
* المبحث الثاني : سيد قطـــب رائـــد فكرة التصوير ومكتشفــــه
* المبحث الثالث : أمثلة من التصويـــــــر
* المبحث الرابع : خصائص التصوير في القــــرآن

* * *



المبحث الأول

بيان معاني بعض المصطلحات المستخدمة في التصوير

الفصل الثالث

اعتماده على التصوير الفني ودلالاته البيانية (١)

المبحث الأول : بيان معاني بعض المصطلحات المستخدمة في التصوير :

لاحظت بعض المصطلحات التى ينبغي توضيحها والتى أوردها المؤلف سيد قطب فى كتبه الثلاثة :

* في ظلال القرآن ٠
* التصوير الفني في القرآن
* مشاهد القيامة في القرآن

هذه المصطلحات لم يستسغ بعض الناس اطلاقها على التعبير القرآني لأن لبعضها أكثر من معنى ، وقد يتبادر الى الذهن معنى من معانيها لا يجوز اطلاقه على القرآن الكريم ٠٠٠ لذا أحببت أن أوضحها بعد الرجوع الى معاجم اللغة العربية ، بالاضافة الى بيان سيد قطب لما يقصده منها ، وربما كان له عذره حيث لم يجد مصطلحات غيرها يمكن أن يطلقها على ما يستشعره ويتذوقه فى أسلوب القرآن الكريم٠

(١) **الصورة :** ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها ، وذلك ضربان أحدهما محسوس يدركه العامة والخاصة ، بل يدركه الانسان وكثير من الحيوان كصورة الانسان والفرس والحمار بالمعاينة ، والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الانسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شيء بشيء ٠ المفردات للأصفهاني ص ٢٨٩٠

والفن : واحد الفنون وهي الأنواع والفن : الجمال ، والفن الضرب من الشيء والجمع أفنان وفنون ، وافتنّ : أخذ في فنون من القول ٠ لسان العرب جـ٢ص ١١٣٧٠

والدلالة : مايتوصل به الى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الاشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب ٠ المفردات للأصفهاني ص ١٧١ ٠

ويقال : فلان دلّه على الشيء يدلّه دلا ودلالة فاندلّ : سدده اليه ، و الدليل مايستدل به ٠ لسان العرب جـ١ ص ١٠٠٦ ٠

وعليه فيكون المعنى : التشكيل المنوّع وتسديداته الواضحة المبينة والطرق الموضحة له٠

أولا : الجـــــرس :

ورد في لسان العرب : الجرس باسكان الراء ، مصدر ، الصوت المجروس ، والجرس : الصوت نفسه ، والجرس : الأصل ، وقيل : الجرس والجِرس : الصوت الخفي .

قال ابن سيده : الجَرْس ، والجِرْس ، والجَرَسُ : الحركة والصوت من كل ذى صوت . الأولى بفتح الجيم والثانية بكسرها ، والثالثة بفتح الجيم والراء ، وسمعت جَرْسَ الطير اذا سمعت مناقيرها على شيء تأكله .

وجرستُ ، وتَجَرَّسْتُ : أي تكلمت بشيء ، وتنعمت به ، وفلان مُجَرِّسٌ لفلان : يأنس بكلامه وينشرح بالكلام عنده ... وجرس الحرف النغمة .[1]

من هذه المعاني نخلص الى أن كلمة الجرس تعنى الصوت ، سواء كان منخفضا أو عاليا ، كما تعني الصوت المنغم والصوت مع الحركة .

فجرس الحروف : صوتها المنغم ، وكما نعلم أن صفات الحروف تختلف بحسب مخارجها وجرسها ، وغنة صوتها عندما ينطق بها : لذلك قيل : حروف الغنة - حروف الهمس - حروف التفخيم .... الخ .

وجرس الكلمات هو صوتها ونغمتها الحاصلة من التلاؤم بين حروفها ، و توافق أصواتها وحلاوة جرسها .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، المجلد الأول ص ٤٤ .

نرى مثلا أن الأوصاف التى اشتقها القرآن ليوم القيامة :

" الصاخة " ، " الطامة " .

والصاخة لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها عنف جرسها وشقه للهواء شقا حتى يصل الى الأذن صاخا ملحا .

والطامة لفظة ذات دوى وطنين تخيل اليك بجرسها المدوى أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه . (١)

* * *

(١) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ص ٧٧ : ٧٨ .

ثانيا : السحـــــر :

السحـر : كل ما لطف مأخـــذه ، ودقّ ، والفعل كمنـــع[1]، وقـــــد سحره يسحـــره سحـــرا ، والساحـــر العالم ، ويسحره بمعنى : خدعــــــــه وكذلك اذا عللـه ، وقولـه تعالى :

(قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ)[2]

يقال المسحّـــر : الذى خُلـق ذا سَحْر ، ويقال من المعلّليـن[3]، أى بالطعام والشراب ، والمعنى انما أنت بشر لك سَحْر ، أى رئة تشــــرب وتأكـل مثلنــا .[4]

وورد في لسان العرب أن الأزهرى : قال : السِّحْـر : عمل تقـــرب فيـه الى الشيطان وبمعونـة منـه .

والسِّحْـــر : البيـان في فطنة ، كما جاء في الحديث الشريـــــف :

" ان من البيان لسِحْـرا "[5]

قال ابن الأثيـــر : يعني ان من البيـان ما يصرف قلوب السامعيــــن وان كان غير حـــق .

---

(١) القاموس المحيط : جـ ٢ ص ٤٦

(٢) سورة الشعراء آية / ١٥٣

(٣) الصحاح للجوهرى : م ٢ ص ٦٧٩

(٤) تفسير القرطبي : م ٦ ص ٤٨٤٦

(٥) صحيح البخارى : كتاب النكاح ، باب الخطبة : جـ ٩ ص ١٧٣ من فتح البارى====

قال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره .[١]

ويتبين لنا أن السحر يطلق على كل شيء لطف مأخذه ودق سواء أكان هذا الشيء جذابا رائعا أم خداعا وتغريرا .

وعليه فقوله صلى الله عليه وسلم : " ان من البيان لسحرا " يعني اذا لطف مأخذه ودق يكون سحرا للسامعين ، نظرا لأنه يدل على فصاحة المتحدث وفطنته التي هي من نعم الله جل جلاله .

ومؤلف الظلال - رحمه الله - حينما وصف القرآن الكريم بالسحر في كتابه : " التصوير الفني في القرآن " ، وجعل فصلين فيه بعنوان : " سحر القرآن "[٢] ، و " منبع السحر في القرآن "[٣] ، انما كان يقصد المعنى الأول من معاني السحر ، وهو الجاذبية والروعة والبيان الذى لطف مأخذه ،ولو أنه استخدم لفظ الجاذبية ، أو الروعة ، أو البيان الرائع لكان أفضل .

* * *

== وصحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجمعة باب صلاة الجمعة وخطبتها جـ ٦ ص ١٥٨

(١) لسان العرب : جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٢) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب : ص ٩

(٣) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب : ص ١٥ .

ثالثا : الصورة والتصوير :

والصور بكسر الصاد ، لغة في الصور : جمع صورة ، وصوره الله صورة حسنة ، فتصور ، ورجل صيّر شيّر ، أى حسن الصورة والشارة عن الفراء [1] ، وتصورت الشيء وتوهمت صورته فتصور لى .[2]

أما كلمة التصوير التى استعملها سيد قطب ، فالمراد بها التعبير بكلمات ترسم للمعاني صورا وأشكالا تخاطب الذهن كما تخاطب الحس والوجدان ، وتثير في النفس انفعالاتها وأحاسيسها .

يقول رحمه الله في تعريفه للتصوير : " هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآ ن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . [3]

وما ذكره الاستاذ سيد هنا في تعريفه للتصوير ماهو الا بيان لمدى تأثير القرآ ن فى النفوس ، فكلما كان الكلام - خاصة كلام رب العالمين صورا يدركها الذهن ويتصورها فيخيل للعين رؤ يتها ، ويتاح للأذن أن تسمعها ، كلما كان كذلك كان للكلام تأثير بالغ في النفس ولم يقتصر المؤلف - رحمه الله - على هذا التعريف فقط ، بل

---

(١) تاج العروس ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) الصحاح : ج ٢ ص ٧١٧

(٣) التصوير الفني لسيد قطب ص ٣٢ .

أشار الى " أن آ فاق التصوير الفني في القرآ ن واسعة جدا " ، وبالتالي لابد أن يكون معناه أيضا واسعا ، فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخيل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل ، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار ، وجرس الكلمات ونغم العبارات في ابراز صورة من الصور تتملا ها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان " .[1]

وقد لا أوافق الاستاذ سيد قطب على بعض ماقاله مثل التصوير باللون ، والنغمة التي تقوم مقام اللون ، ولعل مراده غير واضح في ذهن القارىء .

* * *

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٣٣ .

رابعا : النســـــق :

نســق الكلام : عطف بعضه على بعض ، والنسق محركة ماجـــــاء من الكلام على نظام واحـــد ، أو بضمتين ومن كل شيء ماكان على طريقـــة نظام واحـد . (١)

ونقول : نَسَق الشيء ينْسُقُه نَسْقاً ونَسَّقَه : نظمه على السواء ، وانتَسَق هو وتنَاسَق ، والكلام اذا كان مسجعـا قيل لـه : نسق حسن،(٢) وثغـر نسق : اذا كانت الاسنان مستوية ، وخرز نسق : منـظم على بعض .

والنَسْقُ : بالتسكين مصدر نسقت الكلام اذا عطفت بعضه على بعض .

والتنسيق : التنظيــــم . (٣)

والتناسق في التعبير : هو أن يهيىء الاديب - وقت التعبير - للألفاظ نظامـا ونسقا ، وجوا يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظـلال والايقاع . وأن تتناسق ظلالهـا وايقاعاتها مع الجـو الشعورى الذى تريـد أن ترسمه ، وألا يقف بها عند الدلالـة المعنوية الذهنية ، وألا يقيـــــــم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحـده . (٤)

والتناسق ألوان ودرجـــات ، منها التناسق في تأليف العبارات بتخيـــر الألفاظ ، ثم نظمهـا في نسق خاص - يبلغ في الفصاحـة أرقـــــــــى

---

(١) القاموس المحيط جـ ٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) لسان العرب لابن منظور : م ٣ ص ٦٢٨

(٣) الصحاح للجوهرى : جـ ٤ ص ١٥٥٨

(٤) النقد الأدبي لسيد قطب ص ٣٧ .

درجاتهـــا ، ومنها الايقاع الناشيء من تخيــر الألفاظ ونظمها في نســق خاص ، ومنها التسلسل المعنوى بين الأغراض في سياق الآيات ، ومنهـــا التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص .[١]

والتناسق في القرآن بلغ الاعجاز في ألوانه وآفاقه : فمن نظـــم فصيح الى سرد عذب ، الى معنى مترابط ، الى نسق مسلسل ، الى لفـــظ معبر ، الى تعبير مصور ، الى تصوير مشخص ، الى تخييل مجسم ، الـــى اتساق في الاجزاء ، الى تناسق في الاطار ، وبهذا كله يتم الابـــداع ويتحقق الاعجـــاز .[٢]

* * *

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٧٢

(٢) التصوير الفني لسيد قطب ص ١١٦ . مختصرا .

خامسا : التجسيم :

الجسم بالكسر جماعة البدن ، أو الاعضاء ومن الناس ، والابل ، والدواب ، وسائر الأنواع العظيمة الخلق .[1]

والجسيم : ما ارتفع من الأرض وعلاه الماء .

والأجسم : الأضخم .[2]

ومنه التجسيم : أي صيرته عظيما جسيما .

والتجسيم قد يحمل على معناه الحقيقي ، فهو المأخوذ من الجسم الذى هو البدن ، فنقول مثلا ، إن التمثال مجسم ، أى أصبح ذا جسم ، وقد يحمل على معناه المجازى وهو : أن يتخيل الشخص الأمر المعنوى صورة معينة يرسمها في ذهنه ، ثم يصير هذا الأمر في خياله جسما فيكون تعبيره في مجال التجسيم أشد جاذبية وأعمق تأثيرا .

يقول سيد قطب في كتابه التصوير الفني : "ولكن الذى نعنيه هنا بالتجسيم ليس هو التشبيه بمحسوس ، فهذا كثير معتاد ، انما نعني لونا جديدا هو تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل بل على وجه التبصير والتحويل .

---

(١) تاج العروس : ج ٨ ص ٣٢٨

(٢) لسان العرب ج ١ ص ٤٦٠ .

يقول تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .[١]

أو (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) .[٢]

فيجعل كأن هذا العمل المعنوى مادة محسوسة تبدو " على وجه التجسيم " .[٣]

* * *

(١) سورة آل عمران آية / ٣٠

(٢) سورة الكهف آية / ٤٩

(٣) التصوير الفني لسيد قطب : ص ٦٦ ، ٦٧ .

سادسا : الظـــــل :

جاء في لسان العرب أن الظل : الفيء ، وكل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفيء .

وقيل الفيء بالعشى ، و الظل بالغداة .[(١)]

والظل : العز والمتعة ، ويقال فلان في ظل فلان ، أى في ذراه وكنفه.[(٢)]

وظل الليل : سواده ...... وهو استعارة لأن الظل في الحقيقة انما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل .[(٣)]

والظل عن النهار لونه اذا غلبته الشمس .[(٤)]

والاظلال الدنو ، يقال أظلك فلان : أى كأنه ألقى عليك ظله من قربه . وأظلك شهر رمضان : أى دنا منك .[(٥)]

وجمع الظل : أظلال ، وظلال .

ولقد بيّن الاستاذ سيد قطب أن للألفاظ المفردة ظلا لا خاصة تستمدها من أمرين :

١) مما وراء الشعور من الذكريات والصور التى صاحبتها في تاريخها الشخصى ، ومايمر بالانسان على الزمن الطويل .

---

(١) لسان العرب : جـ ٢ ص ٦٤٧

(٢) لسان العرب جـ٢ ص ٦٤٩

(٣) الصحاح جـ٥ ص ١٧٥٥

(٤) تاج العروس جـ٧ ص ٤٢٦

(٥) لسان العرب : جـ٢ ص ٦٤٩

٢) للألفاظ ظلالها وهي في نسق كامل . (١)

وكما علمنا سابقا أن الأذن هي التي تتلقى جرس الألفاظ وتتأثر به نقول : ان الخيال هو الآخر الذى يتلقى ظلال الألفاظ .

ولا يلحظ ظل الألفاظ والعبارات الا الحس البصير حينما يوجه اليها انتباهه وحينما يستدعى الصورة الحسية لمدلولها . (٢)

وكما علمنا أن الاستاذ سيد قطب عاش فى ظلال القرآن ، وفي ظلال ألفاظه ، وآياته ونظمه ، ومعانيه ، وكان يشعر في هذه الظلال بالراحة والسكن والأمان حيث يرى فيها اليد الرحيمة تلمس الروح والبدن ، وتخفف الجروح والألم وتهبط بردا وسلاما على القلب المتعب المكدود . (٣)

* * *

---

(١) النقد الأدبي ص ٧٠

(٢) التصوير الفني لسيد قطب ص ٧٩

(٣) انظر من خواطره ومشاعره في سورة الفرقان " الظلال " جـ ٥ ص ٢٥٤٤ ، ص ٢٥٤٥ .

سابعا : الايقـــــاع :

ورد في لسان العـرب أن :

التوقيع : الاصابـــة .

والتوقيع بمعنى : المطـر أصاب بعض الأرض ، وأخطأ بعضا ، وقيـــل هو انبات بعضهـــا دون بعض .

والتوقيع في الكتاب الحاق شيء فيه .[1]

وأوقعه ايقاعـــا : أنزله وأسقطه .[2]

والايقاع : من ايقاع اللحن والغناء : هـو أن يوقع الألحان ويبينها[3] .

من المعاني السابقة نخلص الى أن التوقيع والايقاع يرجعان الى معنـــى مشترك هو : أن يوقع الشيء على الشيء المتعدد الأجزاء ، ويصيب جزءا منهـا ويترك الباقي ، ويظهـــر ذلك في التوقيع في الرمي ، وتوقيع المطـــر ، وتوقيع الكتاب ، وايقاع الألحان .

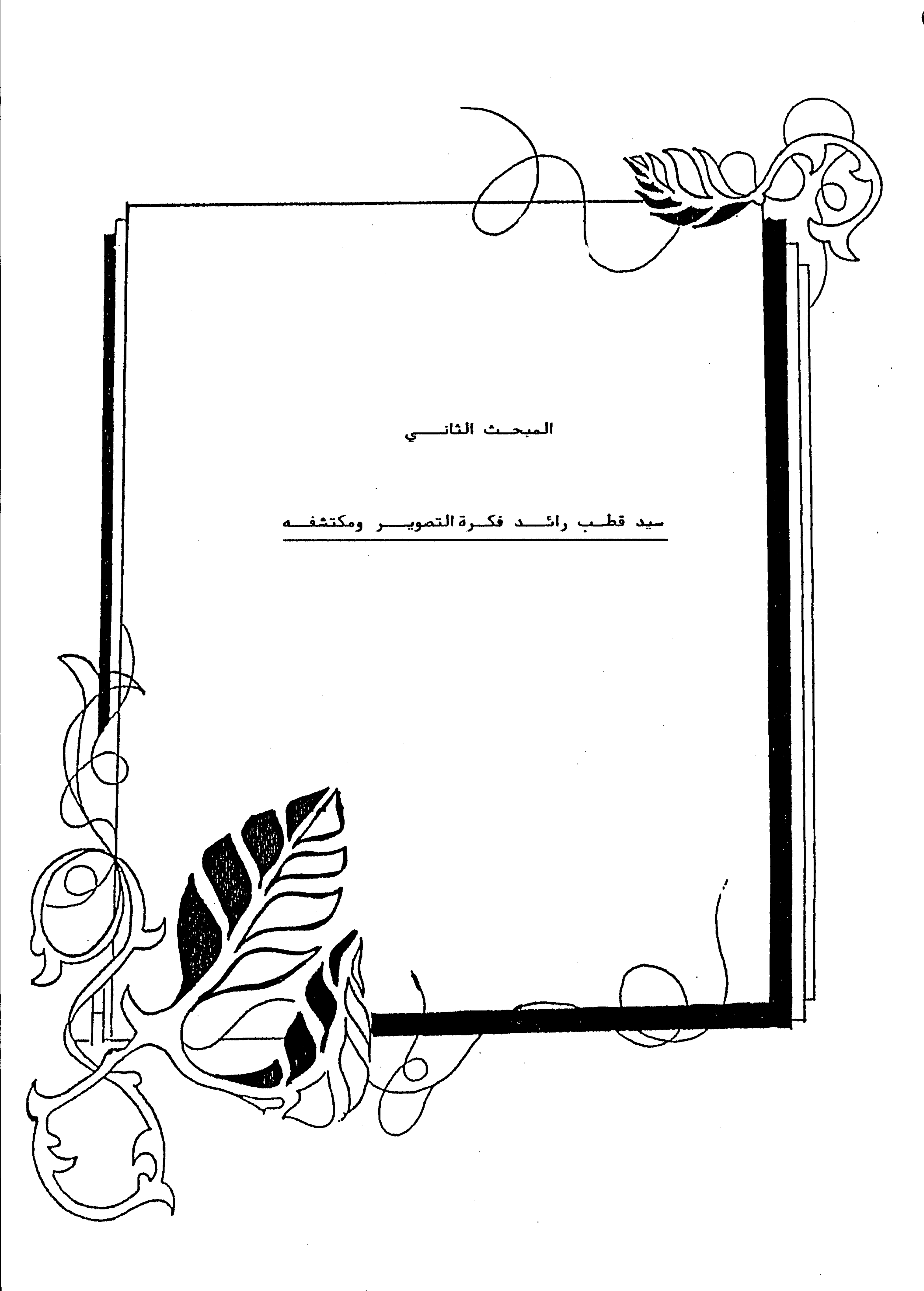
فكان سيد قطب رحمه اللـــه يقصد من الايقاع أن المتحدث عندما ينطـــق لفظا فكأنـه - لاختلاف مخارج حروف اللفظ - يوقع على بعض أوتـــاره الصوتية دون الآخر فتنبعث من الفم نغمة ما هي الا الايقاع اللفظـــي لتلك الكلمة أو لذلك اللفـظ .

* * *

(١) لسان العرب لابن منظـور ج ٣ ص ٩٦٨

(٢) تاج العروس للزبيري ج ٥ ص ٥٥٠

(٣) لسان العرب : ج ٣ ص ٩٦٩ .



المبحث الثاني

سيد قطب رائد فكرة التصوير ومكتشفه

المبحث الثانـــي : سيد قطب رائد فكرة التصويـــر ومكتشفـه :

لقد وهب اللـه تعالـى مؤلف الظلال موهبـة تصويرية تجلـــت فـــى أسلوبـه فيالنثـــر والشعر ، كما تجلـت هذه الموهبـــة في ادراكـــه فقـه اللغـة ودلالـة الألفـاظ ، ودلالـة العبارات على أســـاس مذهبـــه التصويــــرى ٠

وقد تناول في كتابـه " النقد الأدبى " القيـم الشعورية ، والقيـــم التعبيريـة فيالعمل الأدبـي فبين أن الأولى تسبق الثانيـــة ، وانـها تمثـــل شعـــور " الأديـب " بما حولـه وترسم لنا ملامـح عالمـه الخاص وطعمـــه وجـوه وسماتـه وآفاقـه ٠

وذكـــر أن القيم الشعوريـة هي : الخصوصيـة فيالشعـر كما أنـهـــا العمق والشمول في الاتصال بالكون والحيـاة وغيرهـــا ٠٠٠٠٠ وبيّـــن فـــى القيم التعبيريـة أن العبارات هي التى ترسم صورة للتجربـة الشعوريـــة الخاصة ، واذا تمثلـت فيهـــا كل عناصـــر دلالتها رسمت صورة صادقـــة وشاملـة لهذه التجربـــة ٠

وعناصـــر الدلالـــة في رأيـــه هي :

(١) الدلالـة المعنويـــة للألفـــاظ ٠

(٢) الدلالـة المعنويـة للعبارة الناشئة من اجتماع الألفـــاظ ٠

(٣) الايقاع الخاص للكلمـات والعبـــارات ٠

(٤) الصور والظلال التى تشعهـــا الألفاظ والعبارات ٠

(٥) طريقة تناول الموضوع والسير فيه . [1]

من هذه العناصر تظهر موهبته التصويرية وثقافته الأدبية . حيث بيّن كيف أن الألفاظ تدل على معانيها ، ثم على الصور والظلال المصاحبة لها ، فاللفظ يدل على معناه بجرسه الذى له صلة بالحادث ، وصورة الحادث الذى صاحب إطلاق اللفظ ، وهذه الصورة التى تستحيل الى ذكرى شعورية ترد على الخيال كلما ذكر اللفظ ، ورن جرسه في السمع . [2]

ويؤكد سيد قطب أن الأديب عند استخدامه للألفاظ لابد أن يهيىء لها : نظاما ونسقا ، وجوا يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والايقاع ، وأن تتناسق ظلالها وايقاعاتها مع الجو الشعورى الذى تريد أن ترسمه .... وأن يرد الى اللفظ تلك الحياة التى كانت له وهو يطلق أول مرة ليصور حالة حية ، ومن ثم يجعله يشع صورة وظلا ، ويرسم حالة ومشهدا . [3]

وقد يستقل لفظ واحد برسم صورة شاخصة تارة بجرسه الذى يلقيه في الأذن ، وتارة بظله الذى يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس و الظل جميعا . [4]

---

(١) النقد الأدبي لسيد قطب ص ٣٢

(٢) النقد الأدبي لسيد قطب ص ٣٤

(٣) النقد الأدبي لسيد قطب ص ٣٧

(٤) النقد الأدبي لسيد قطب باختصار ص ٣٨

اما بالنسبة للعبارة فخصائص اللفظ تنطبق عليها ويزيد عليها التنسيق الذى يسمح لكل لفظ بأن يشع شحنته من الصور ومن الايقاع والذى يؤلف إيقاعاً متناسقا بين الألفاظ ، وظلا لا متناسقة كذلك من ظلال الألفاظ .

والصور والظلال التى تشع في العبارة والايقاع الناشئ منها أثرها كبير في الدلالة اذ تشترك اشتراكا كبيرا في الدلالة الأدبية وفي تصوير الجو العام .

ومن هذا التلخيص الموجز لرأى سيد قطب عن العمل الأدبى وكيفية اتقانه تظهر لنا أصالة فكرة التصوير عنده وعمقها في ذهنه وخياله وحسه اذ جعل للصور والظلال والايقاع والتناسق وظيفة أساسية في الدلالة اذا توفرت في العمل الأدبي كان ذلك العمل بديعا مؤثرا واستخدام سيد للطريقة التصويرية والتخيلية في الكتابة أكسبت أسلوبه قوة وجمالا ، وتأثيرا في القراء والمثقفين ، وبالتالى استطاع ادراك التصوير الأدبى في القرآن فبينه للناس خير بيان .

ولقد عاش سيد مع الصور القرآنية منذ طفولته فى القرية فكان يحس بالأثر العميق في نفسه عند قراءته للقرآن ، أو عند سماعه .

يقول رحمه الله : " لقد كان خيالي الساذج الصغير يجسّم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن ، وانها لصور ساذجة ، لكنها

كانت تشوق نفسي وتلذ حسي ، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها وأنا بها فرح ولها نشيط " .[١]

وكانت علاقته بالصور القرآنية تقوى كلما أقبل على القرآن يقرؤه ، وتضعف اذا ابتعد عنه ، وعن التمعن فيه ، فغذت الصور القرآنية حاسة الجمال في نفسه ، كما قوّت موهبته التصويرية ، ونمّتها .[٢]

وشاء الله أن يظهر كتاب " التصوير الفني في القرآن " ولكن سيد قطب لم يكن يتوقع أن يوفق الى أكتشاف أن التصوير هو القاعدة العامة للتعبير القرآني ، وأن هذه القاعدة لها قواعد وخصائص وآفاق لم يكن بتوقع ذلك لأنه بدأ البحث في القرآن وهمه جمع الصور الفنية فيه واستعراضها ، وبيان طريقة التصوير فيها والتناسق في اخراجها .

ولكن البحث وصل به الى نتيجة جديدة يقول : " ان حقيقة جديدة تبرز لي أن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره . ان التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل . **قاعدته** الأساسية المتّبعة في جميع الاغراض - فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال ، فليس البحث اذن عن صور تجمع وترتب ، ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز . ذلك توفيق لم أكن أتطلع اليه حتى التقيت به " .[٣]

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٦

(٢) أنظر التصوير الفنى لسيد قطب ص ٧ وما بعدها .

(٣) التصوير الفني فى القرآن ص ٨

وكان سيد قطب يهدف الى أن يجعل كتاب " التصوير الفنى في القرآن " أساس الدراسات القرآنية التي ينوى اعدادها ، حيث جعله الكتاب الأول في مكتبة القرآن الجديدة التى عقد العزم على انشائها والتي أخرج منها ثلاثة كتب فقط هي :

(١) التصوير الفنى ٠

(٢) مشاهد القيامة في القرآن

(٣) في ظلال القرآن

وأعلن عن أربعة كتب أخرى ٠ كحلقات في مكتبة القرآن الجديدة هي :

(١) القصة بين التوراة والقرآن

(٢) المنطق الوجداني في القرآن

(٣) النماذج الانسانية في القرآن

(٤) أساليب الغرض الفني فى القرآن

ولكنه عدل فى آخر لحظة عن نشرها ٠ (١)

مما سبق نصل الى أن الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - هو رائد فكرة " التصوير الفنى فى القرآن " ، ولم يسبقه اليها أحد من الأدباء أو المفسرين ، ولكنه - رحمه الله - بيّن أن هناك محاولات سابقة كانت من الزمخشرى - رحمه الله - حيث كان يقع له فى تفسيره

---

(١) نظرية التصوير الفني لصلاح الخالدى ص ١١٦ ، ١١٧ ٠

- الكشاف - بين الحين والحين شيء من التوفيق في ادراك مواضع الجمال الفني في القرآن .[1]

وبيّن أن عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث - بلاغي - في عصره ، حيث أوشك أن يدرك الناحية التصويرية التخييلية في أسلوب القرآن لولا أن قضية " اللفظ والمعنى" ظلت تخايل له .

كما أنه تمتع بحس نافذ في دراسته لاعجاز القرآن البياني ، ولقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها " .[2]

وأخيرا نرى أنه قد وفق الى كشف الطريقة العامة للتعبير القرآني ، والقاعدة الكبيرة فيه وهي " التصوير الفني " ووفق أيضا في بيان سمات هذه الطريقة وآفاقها وألوانها .[3]

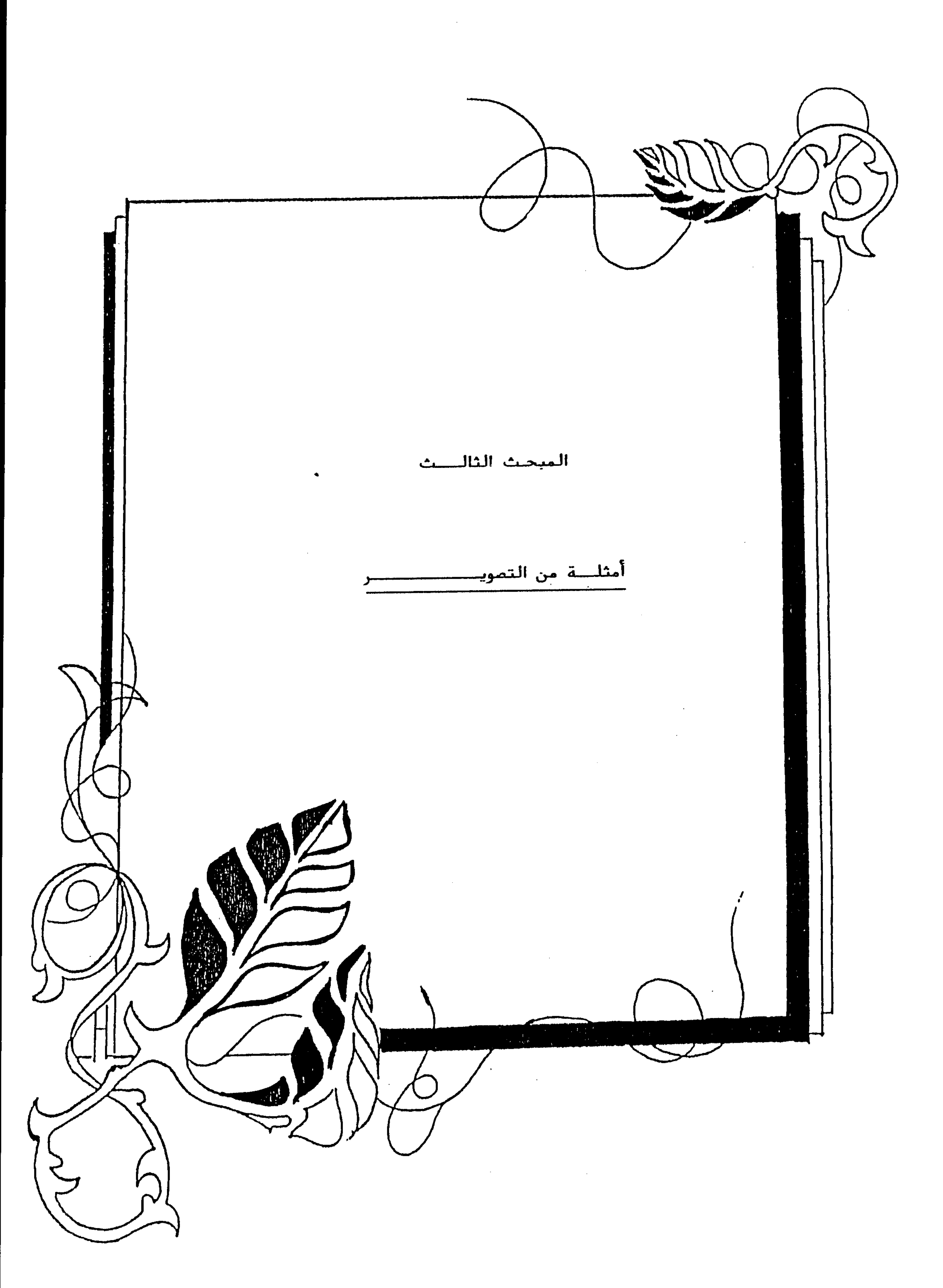
* * *

---

(١) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ص ٢٤

(٢) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ص ٢٩

(٣) انظر التصوير الفني ص ٣٤ : ١١٦



المبحث الثالث

أمثلة من التصوير

المبحث الثالث : أمثلة من التصوير :

(١) تصوير المعاني الذهنية :

المعاني الذهنية في القرآن الكريم لا نراها كما هي ذهنية مطلقة وانما نراها ونلحظها مصورة صورا شاخصة حية متحركة متناسقة وهي كثيرة أذكر منها :

أ ـ قوله تعالى :

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [١] .

فالمعني الذهني هنا أن الله أراد أن يبين للكفار أن الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تسمع ولا تجيب لأنها لا تعى ولا تفهم فعبادتهم لها باطلة ودعاؤهم لها عبث . هذا المعنى الذهني يرسمه القرآن الكريم صورة زرية تليق بحال الكفار " صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ، بل اذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعنى ، بل هم أضل من هذه البهيمة فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح وهم صم بكم عمى " [٢] .

---

(١) سورة البقرة آية / ١٧١

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ، المجلد الأول ص ١٥٥ .

ب ـ قوله تعالى :

(لَهُ دَعْوَةُ الحَقِ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَآءِ لِيَبلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِ وَمَا دُعَآءُ الكَٰفِرِينَ إِلَا فِي ضَلَٰلٍ) ٠ (١)

فالمفهوم الذهني أن الله جل جلاله هو وحده الذى يستجيب لمن يدعوه وأن الآلهة التى يدعونها مع الله لا تملك لهم خيرا ولو كان قريبا وسهلا ٠

هذا المعنى كما يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ يرسم بصورة هي من أعجب الصور التى تستطيع أن ترسمها الألفاظ : شخص حي شاخص ، باسط كفيه الى الماء ، والماء منه قريب يريد أن يبلغه فاه ، ولكنه لايستطيع ولو مد مدة فربما استطاع (٢) أى لو رفع يده قليلا لاستطاع أن يشرب ٠

* * *

---

(١) سورة الرعد آية / ١٤

(٢) التصوير الفني في القرآن ص ٣٧

(٢) تصوير الحالات النفســـية :

لاشك أن الحالات النفسية المصورة في القرآن الكريم عديدة منهـــا :

أ - بيان حالة تزعزع العقيدة في النفس حيث لا يثبت المرء على يقيـــن ولا يستطيع تحمل ما يصادفه من الشدائد بقلب راسخ • يرســـم القرآن لهذا التزعزع صورة تتمايل وتهتز وتكاد تنهار •

يقول تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) • [1]

ويذكـــر الاستاذ سيد قطب في معنى هذه الآية : " أن الخيال ليكاد يجسم هذا الحرف الذى يعبد الله عليه بعض الناس ، ثم يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم وهم يتأرجحـون بين الثبات والانقلاب • فهذه الصورة تبين نموذجـا انسانيـا متزعزعا غير متمكن من الايمان كما أنها ترســم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنهـا تنطبـع في الحس وتتصل منه بالنفس " • [2]

---

(١) سورة الحج آية / ١١

(٢) التصوير الفني لسيد قطب ص ٤٠ بتصرف •

ب - بيان أن الانسان لا يعرف ربه الا في ساعة الضيق ، وحينما يفرج الله عنه ينساه ، ولكن هذه الحالة لا تأتي هكذا في القرآن ، وانما تجيء مصورة متحركة ترسم نموذجا انسانيا متكررا في بني الانسان .

يقول عز وجل :

(هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) . (١)

وهكذا تجيء الصورة حية مضطربة ترتفع فيها الأنفاس مع تماوج السفينة وتنخفض بانخفاضها . هكذا تجيء الصورة متحركة فتؤدى المعنى المراد أبلغ أداء وأوفاه .....

يقول المؤلف : " انه مشهد كامل ، لم تفتنا منه حركة ولا خالجة

---

(١) سورة يونس آية / ٢٢ ، ٢٣

مشهد حادث ، ولكنه مشهد نفسي ، ومشهد طبيعة ، ومشهد نموذج بشرى لطائفة كبيرة من الناس في كل جيل ..... ومن ثم يجيء التعقيب تحذيرا للناس أجمعين : (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) ، والناس حين يبغون بغير الحق يذوقون عاقبة هذا البغي في حياتهم الدنيا قبل أن يذوقوا جزاءه في الدار الآخرة ، يذوقون هذه العاقبة فسادا في الحياة كلها لايبقى أحد لا يشقى به ، ولا تبقى انسانية ولا كرامة ولا حرية ، ولا فضيلة لا تضار به.[(١)]

* * *

---

(١) في ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٧٧٤ .

(٣) **تصويـــر القصـــص :**

القصص الوارد في القرآن الكريم معروض بأسلوب تصويرى وكأنه واقع الآن ومشاهد أمام اعيننا وهو كثير ومن أمثلته :

* قصة نوح عليه السلام مع ابنه حيث ناداه ودعاه في لهفة وضراعة كي يركب معه في السفينة ، ولا يستجيب الابن لدعوة أبيه ويظن أن محاولته بلوغ قمة الجبل تنجيه من الغرق ، ولكن قوة المياة وهياج الأمواج جرفته مع الكافرين .[1]

يقول تعالى :

(وَهِيَ تَجرِى بِهِمْ فِي مَوجٍ كَالجبالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يٰبُنَىَّ اركَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الكَٰفِرِينَ قَالَ سَـَٔاوِى إِلَىٰ جَبَلٍ يَعصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لَا عاصِمَ اليَوْمَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ).[2]

يقول الاستاذ سيد قطب ما معناه في هذه القصة :

واننا بعد آلاف السنين لنمسك أنفاسنا ونحن في حالة دهشة وقلق فكأن المشهد يحدث أمامنا ، والسفينة تجرى بهم في موج متلاطم

---

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٨ ، ومع الأنبياء لعفيف طبارة : ص ٧١ بتصرف .

(٢) سورة هود آية / ٤٢ : ٤٣

مرتفع كالجبال ، ونوح الوالد ـ عليه السلام ـ الخائف على ابنه يبعث بالنداء تلو النداء ، والابن الفتى المغرور يرفض الاجابة على أبيه ، وتأتي موجة غامرة قوية فتحسم الموقف في سرعة هائلة خاطفة وينتهي كل شيء ٠

وان الهول والخوف هنا ليقاس بمداه في النفس الحية ـ بين الوالد والولد ـ كما يقاس بمداه في الطبيعة الصامتة ٠٠ وانهما لمتكافئان ، وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن ٠ (١)

* * *

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م٤ ص ١٨٧٨ بتصرف وايجاز ٠

(٤) تصوير الحوادث :

القرآن الكريم حينما يعرض حادثا من الحوادث يعرضه " دونما اغفال كبيرة منه أو صغيرة حاصلة في ذلك الحادث " يعرضه بصورة تبرز فيها الأفعال الظاهرة والأمور النفسية الباطنة .

يقول تعالى :

(يا أيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصر وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . وإذ يقول المنفقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا).[1]

نرى في هذه الآيات أعداء المؤمنين يأتونهم من كل مكان ونرى الأبصار زائغة أي شخصت ، ومالت فلم تلتفت الا الى

---

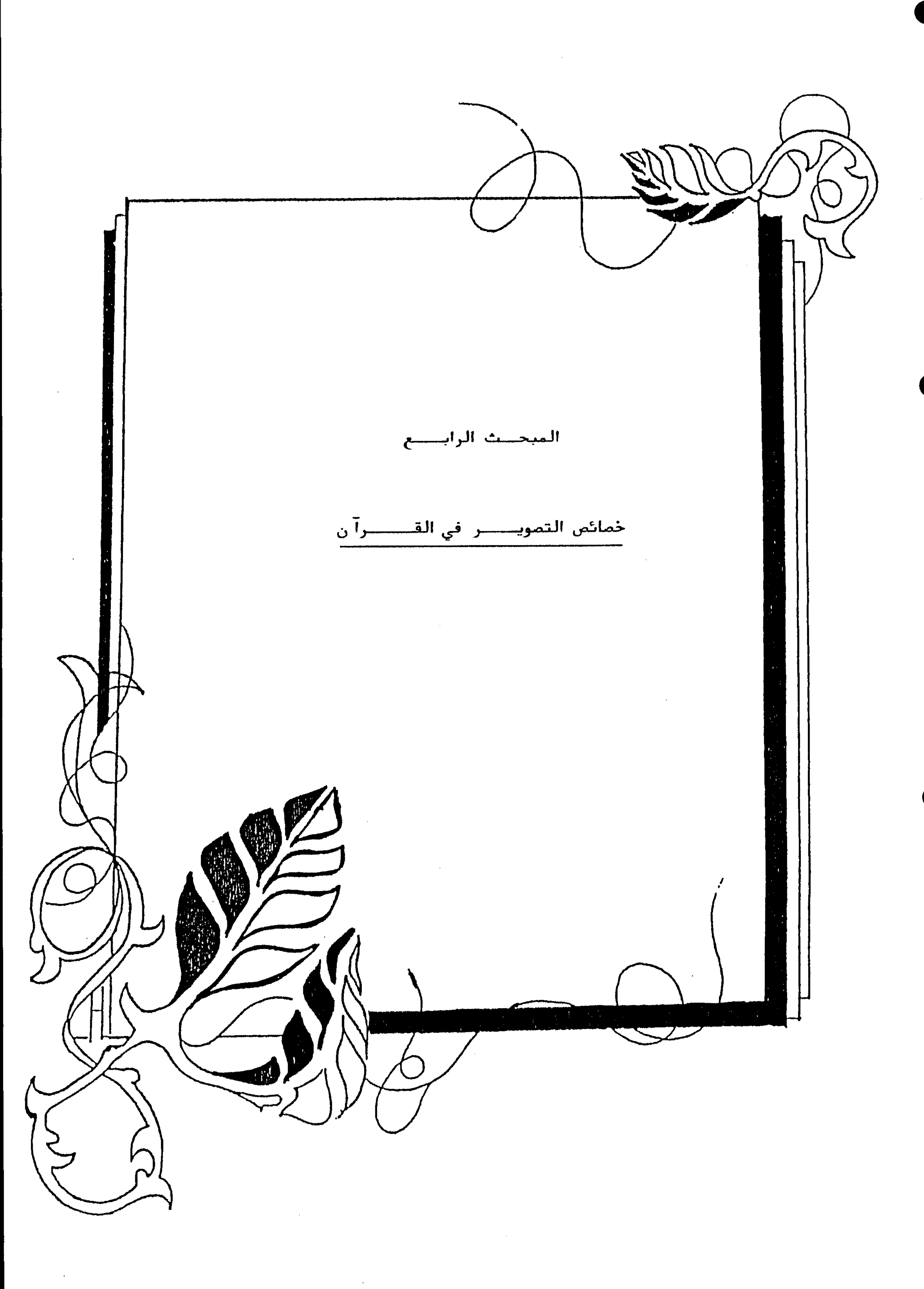
(١) سورة الاحزاب آية / ٩ ـ ١٣ .

عدوها من فرط الهول[١]، ونشا هذ النفوس في غاية الضيق والفزع لدرجة بلوغ القلوب الحناجر لأن الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة[٢]، ويزلزل المؤمنون زلزالا شديدا ، ويقول المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا باطلا من القول[٣]، ويقولون لأهل المدينة لابقاء لكم هنا - أي في ساحة المعركة أو المعسكر - ارجعوا الى بيوتكم في المدينة فيصدقهم ضعاف الايمان والقلوب . فيستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم معللين بقولهم ان بيوتهم غير محصنة وعرضه للعدو والسرقة[٤]، وهى تخالف ما وصفوا بل هو تعليل للفرار والهرب من الساحة .

يقول سيد في هذا الحادث : " وننظر اليوم فنرى الموقف بكل سماته وكل انفعالاته ، وكل خلجاته ، وكل حركاته ماثلا أمامنا كأننا نراه من خلال هذا النص القصير " .[٥]

* * *

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ ٦ ص ٥٢٢٧
(٢) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٤٠٤
(٣) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٥٢٢٩
(٤) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٤٠٦
(٥) في ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٢٨٣٧ .



المبحث الرابع

خصائص التصوير في القرآن

المبحث الرابع : خصائص التصوير في القرآن :

حينما أكتشف سيد قطب قاعدة التعبير القرآني العامة وطريقته الموحدة وهي " التصوير " لم تكن مجرد خاطرة مرت بسرعة ولا فكرة عابرة ذهبت في حينها ، وانما كانت فكرة أصيلة ومذهبا منفردا ، وقاعدة مطردة ٠٠٠٠ كانت فكرة بينة الخصائص ، واضحة الملامح وظاهرة السمات (١) ٠

وخصائص التصوير كما بينها الاستاذ سيد في كتابه " التصوير الفني في القرآن " هي :

التخييل الحسي - التجسيم - التناسق - الحياة - الحركة ٠

(١) التخييل الحسي :

هو السمة الأولى الواضحة التي يقوم عليها التصوير ٠٠٠ والقرآن الكريم يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن مختلف الأغراض فيه ، والأمثلة على التخييل - كل الآيات التي يوجد فيها تصوير :

أ - منها قوله تعالى : (يُغشِي الَّيلَ النَّهَارَ يَطلُبُهُ حَثِيثاً) (٢) ٠

فنرى أن الليل والنهار هنا كأنهما شخصان يفيضان حركة وحياة والليل مصوّر في صورة شخص واع له ارادة وقصد فهو يطلب

---

(١) نظرية التصوير الفني للدكتور صلاح الخالدى ص ١٢٩ بتصرف ٠

(٢) سورة الاعراف آية / ٥٤

النهار طلبا سريعا حثيثا مستمرا دائما لا ينقطع ولا يفتر[1] حتى قيام الساعة ولكنه لن يلحقه أو يسبقه كما قال تعالى :

(لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسبَحُونَ) .[2]

ب - ومنها قوله تعالى :

(وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا) .[3]

فحركة الاشتعال في الرأس تثير الخيال ويتذوق الحس مافيها من جمال فالتعبير بالاشتعال عن الشيب جمال واسناد الاشتعال الى الرأس - وان كان ليس له ذلك - جمال آخر وكلاهما يكمل الآخر ويعطى صورة تخييلية حسية بديعة وسريعة في نفس الوقت .

* * *

---

(١) تفسير النسفي ج ٢ ص ٥٦ ، وفتح القدير ج ٢ ص ٢١١ للشوكاني .

(٢) سورة يس آية / ٤٠

(٣) سورة مريم آية / ٤

(٢) **التجسـيم :**

هو السمة الثانية من سمات التصوير في القرآن .

وقد بيّن سيد قطب ما يقصده من هذا المصطلح " ان تجسيم المعنويات المجردة وابرازها أجساما أو محسوسات " .[1]

وأمثلة التجسيم كثيرة جدا في القرآن منها :

أ ـ قوله تعالى :

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .[2]

فيجعل العمل هنا مادة محسوسة مجسمة فاذا كان خيرا يحضر ويهيأ لانتظار صاحبه واذا كان سوءا يحضر أيضا ، ولكن صاحبه يتمنى عدم رؤيته أو اقترابه منه ويود أن يفصله عنه بعد مابين المشرقين .[3]

ب ـ ومنها قوله تعالى :

(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) .[4]

فالروح المعنوية في هذا الموقف العصيب المصوّر شيء مجسم يتحرك

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٦١

(٢) سورة آل عمران آية / ٣٠

(٣) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ١٣٠١ ، وذكر الراغب في مفرداته أن الامد مدة لها حد مجهول اذا أطلق ص ٢٤ .

(٤) سورة الواقعة آية / ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ .

في جسم المحتضـــر حركـة محسوسـة تكاد الآذان تسمعها اذا بلغـــت الحلقـوم عند الحشرجـة ، وتكاد تبصرهـــا أعين الناظريـن المذهولين العاجزيـــن عن منعهـــا من الخروج ٠

ويقول المولـى عز وجـل : " ونحن أقرب اليـه " أى أقـرب الـــى هذا الشخص المحتضـــر " منكم ولكن لا تبصـــرون " ٠ (١)

* * *

---

(١) من ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٤٧١ ، ٣٤٧٢ بتصرف ، والتفسير الواضـــح لمحمد حجازى جـ ٢٧ ص ١٤٨ ٠

(٣) التناســـــق :

التناسق هو السمة الثالثة من سمات التصوير في القرآن ، وقد عقد سيد قطب فصلا طويلا عنه في كتاب " التصوير الفني" ويعتبر أغنى فصول الكتاب وأكثرها مادة ، وفيه دلالة كبيرة على موهبة المؤلف التصويرية [(١)]

وآفاق التناسق في التصوير القرآني كثيرة كما أن أمثلته كثيرة منها :

١) تناسق التعبير مع الحالة المراد تصويرها ، ومثاله قوله تعالى :

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) [(٢)]

فكلمة الدواب [(٣)] نراها متناسقة مع تجسيم حالة الكفار التى منعتهم من الانتفاع بالهدى والحق بوصفهم الصم البكم ، حيث كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية التى يريد أن يرسمها لهؤلاء الكفار لأنهم لا يعقلون ، ولا يدركون ما يفيدهم ويصلحهم . [(٤)]

٢) استقلال اللفظ برسم الصورة الشاخصة .

---

(١) نظرية التصوير الفني للدكتور صلاح الخالدى ص ١٥٤ بايجاز

(٢) سورة الأنفال آية / ٢٢

(٣) جمع دابة وهو مايدب على الأرض من حيوانات وحشرات واذا أريد بها الانسان كان المقصود الاحتقار . المفردات في غريب القرآن ص ١٦٤ والتفسير الواضح لمحمد حجازى جـ ٩ ص ٦٩ .

(٤) التصوير الفني لسيد قطب ص ٧٥ بتصرف .

أ- تارة بجرسه الذى يلقيه في الأذن ومثاله قوله تعالى :

(يَـٰٓأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلتُم إِلَى الأَرضِ) . الآية .[1]

فجرس كلمة اثاقلتم رسم صورة شاخصة يتصورها الخيال كأنها ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل .[2]

ب - وتارة بظله الذى يلقيه في الخيال ومثاله قوله تعالى :

(وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الذِى ءَاتَينَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنهَا).[3]

فالظل الذى تلقيه كلمة انسلخ رسم صورة متحركة قاسية وعنيفة للتخلص من هذه الآيات ، يقول رحمه الله : " ينسلخ كأنما الآيات أديم[4] له متلبس بلحمه ، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه .[5]

جـ - وتارة بجرسه وظله معا ومثاله قوله تعالى :

(يَومَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) .[6] فلفظ دعا اشترك بجرسه

---

(١) سورة التوبة آية / ٣٨

(٢) التصوير الفني لسيد قطب ص ٧٦

(٣) سورة الاعراف آية / ١٧٥ .

(٤) الأدمة : الخلطة ، وباطن الجلد الذى يلى اللحم ، وظاهر البشرة ، وأديم كل شيء ظاهر جلده : لسان العرب : م ١ ص ٣٤ - ٣٥ مادة : أ . د . م .

(٥) في ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٣٩٦ .

(٦) سورة الطور آية / ١٣ .

وظلـه في تصوير معناه وهو الدفع في الظهـور بعنف ، وهو في جرسه أقرب مايكون الى جرس " الدع " .[1]

٣) التقابل بين الصور الحاضرة ومثالـه صورة العذاب الحسى والنعيم المادى المتمثل في قوله تعالى :

(هَل أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصلَىٰ نَاراً حَامِيَةً تُسقَىٰ مِن عَينٍ ءانِيَةٍ لَيسَ لَهُم طَعَامٌ إِلا مِن ضَرِيعٍ لاَ يُسمِنُ وَلاَ يُغنِي مِن جُوعٍ وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لاَ تَسمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَينٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرفُوعَةٌ وَأَكوَابٌ مَوضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبثُوثَةٌ .[2]، [3]

فهنا صورتـان متقابلتان حاضرة في خيالنا وان كانتا من صور القيامة الآجلة ، صورة للعذاب الحسي المتمثل والظاهر على

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٧٩ باختصار .

(٢) سورة الغاشية : ١ : ١٦

(٣) لا غية : أي كلمة لغو، واللغو الباطل والشتم . وأكواب موضوعة : الأباريق التى لا آذان لها ، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملآى .
تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٣٠ ص ١٠٤ .
نمارق مصفوفة : هي الوسائد المصفوفة بعضا الى بعض . فتح القدير للشوكاني جـ ٥ ص ٤٣٠ .
وزرابّي : أي البسط : مبثوثة مفروشة هنا وهناك لمن أراد الجلوس عليها . تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٠٣ .

وجـوه خاشعـة ذليلـة مرهقـة عملـت فأخطأت العمل ولـم تجـد الا الوبال والخسـارة ٠

وصورة للنعيم المادى ، ويتمثـل في وجـوه يظهـر عليهـا النعيـم ويفيض منهـا الرضـى تنعـم بما تجـد وتحمد ما عملـت ، فوجـدت عقبـاه خيـرا ٠ (١)

* * *

(١) في ظلال القرآن المجلد السادس ص ٣٨٩٦ : ٣٨٩٧ بتصرف ٠

(٤) **الحيــاة الشاخصــة :**

هي السمة الرابعة من خصائص التصوير في القرآن لأن القرآن الكريم حينما يرسم صورة ما بتعبيره البليغ عن معنى ذهنى أو حالة نفسية ، أو نموذج انساني أو حادث معين فانه يرتقى بهذه الصورة فيمنحها الحياة الشاخصة فتصبح الصورة حية متحركة أمامنا ٠٠٠٠٠

ومثال ذلك قوله تعالى :

(يَومَ تَرجُفُ الأَرضُ وَالجِبالُ وَكَانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً) ٠[1]

وقوله تعالى :

(فَكَيفَ تَتَقُونَ إِن كَفَرتُم يَوماً يَجعَلُ الوِلدَانَ شِيباً السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعدُهُ مَفعُولاً) ٠[2]

ففي الآية الأولى يبين أن الجوامد - الأرض والجبال - اشتركت في تصوير الهول في هذا المشهد فالأرض ترجف وتضطرب والجبال تتفتت وتنهار حيث كانت كأنها تل من الرمل المجتمع ، والذى اذا ما حرك أسفله سال من اعلاه وتتابع[3] ، فاذا كانت الأرض والجبال خلقت عليها الحياة واشتركت مع الاحياء في احساسهم بالهول

---

(١) سورة المزمل آية / ١٤

(٢) سورة المزمل آية / ١٧ : ١٨

(٣) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣٠٥ والتفسير الواضح لمحمد حجازى ج ٢٩ ص ١١٨ ٠

المرعب فرجفت فكيف بالناس الضعاف ؟ وبأى حالة يواجهون الهول وفي الآيتين الثانية والثالثة اشتركت الطبيعة الصامتة. مع الانسانية الحية في الاحساس بالهول ، فقد دبت فيها الحياة فانفطرت السماء ، وانشقت بعد أن كانت آية في الاحكام والدقة[١].
والولدان الصغار صاروا من شدة الهول شيبا .[٢]

فالجوامد في الطبيعة هي في التصوير القرآني حية شاخصة وأما الأمور العادية المألوفة فهي فيه حية جديدة .
يقول الاستاذ سيد قطب مايفيد بأن هذا الابداع الرباني ما مسّ جامدا الا نبض بالحياة ولا عرض مألوفا الا بدا جديدا ، وتلك قدرة القادر ومعجزة الحي الذى لاينام .[٣]
فالصبح مشهد مألوف متكرر ولكنه في تعبير القرآن حي لم تشهده من قبل عينان انه ﴿ وَالصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[٤] أى انتشر وتتابع ضوؤه والليل وقت من الزمان معهود ولكنه في تعبير القرآن حي جديد[٥] ﴿ وَاليلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[٦] أي يجيء ويقبل ![٧]

---

(١) التفسير الواضح لمحمد حجازى جـ ٢٩ ص ١٢١ .
(٢) والشيب جمع أشيب وهو الابيض الرأس : تفسير غريب القرآن لمحمد ابن أبي بكر السجستاني ص ٣٩٩ .
(٣) انظر التصوير الفني لسيد قطب ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ بتصرف .
(٤) سورة التكوير آية / ١٨
(٥) تفسير غريب القرآن للسجستاني ص ٤٢٢ .
(٦) سورة الفجر آية / ٤
(٧) التفسير الواضح لمحمد حجازى جـ ٣٠ ص ٤٦ .

(٥) الحركـة المتجـددة :

وهي سمة واضحة ملحوظة في الصور القرآنية فهي اما حركة مضمرة أو ظاهرة ، حركة يرتفع بها نبض الحياة وتعلو بها حرارتها وهي ليست مقصورة على أمر معين من مشاهد القيامة أو قصص أو غيره بل نلا حظها في مواضع لا ينتظر أن تلحظ فيها ٠ [١]

ومثال ذلك قوله تعالى :

(هُوَ الذِى يُسَيِّركُم فِي البرِ وَالبَحرِ حَتىٰ اذَا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجرَيـنَ بِهِم بِريحٍ طَيِبةٍ وفَرِحُوا بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وجَاءهُمُ المَوجُ مِن كُلِ مَكَانٍ وَظنُوآ أنهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُا اللّهَ مُخلِصينَ لَهُ الدِينَ لَئِن أنجَيتَنَا مِن هَـذِهِ لَنَكُونَنَ مِن الشٰكِرِينَ)٠ [٢]

فالحركة ملحوظة في كل جزئية في هذا المثال حيث عيون السامعين تشاهد القوم وهم يركبون السفينة ، وتشاهد السفينة وهي تجرى بهم في البحر وفي وسط أمواجه بأمان وبينما القوم مسرورون برحلتهم وبسفينتهم اذ تهب الريح عاصفة فجأة فيثور لها الموج ويحيط

---

(١) التصوير الفني لسيد قطب ص ٦١ بتصرف ٠

(٢) سورة يونس آية / ٢٢ ٠

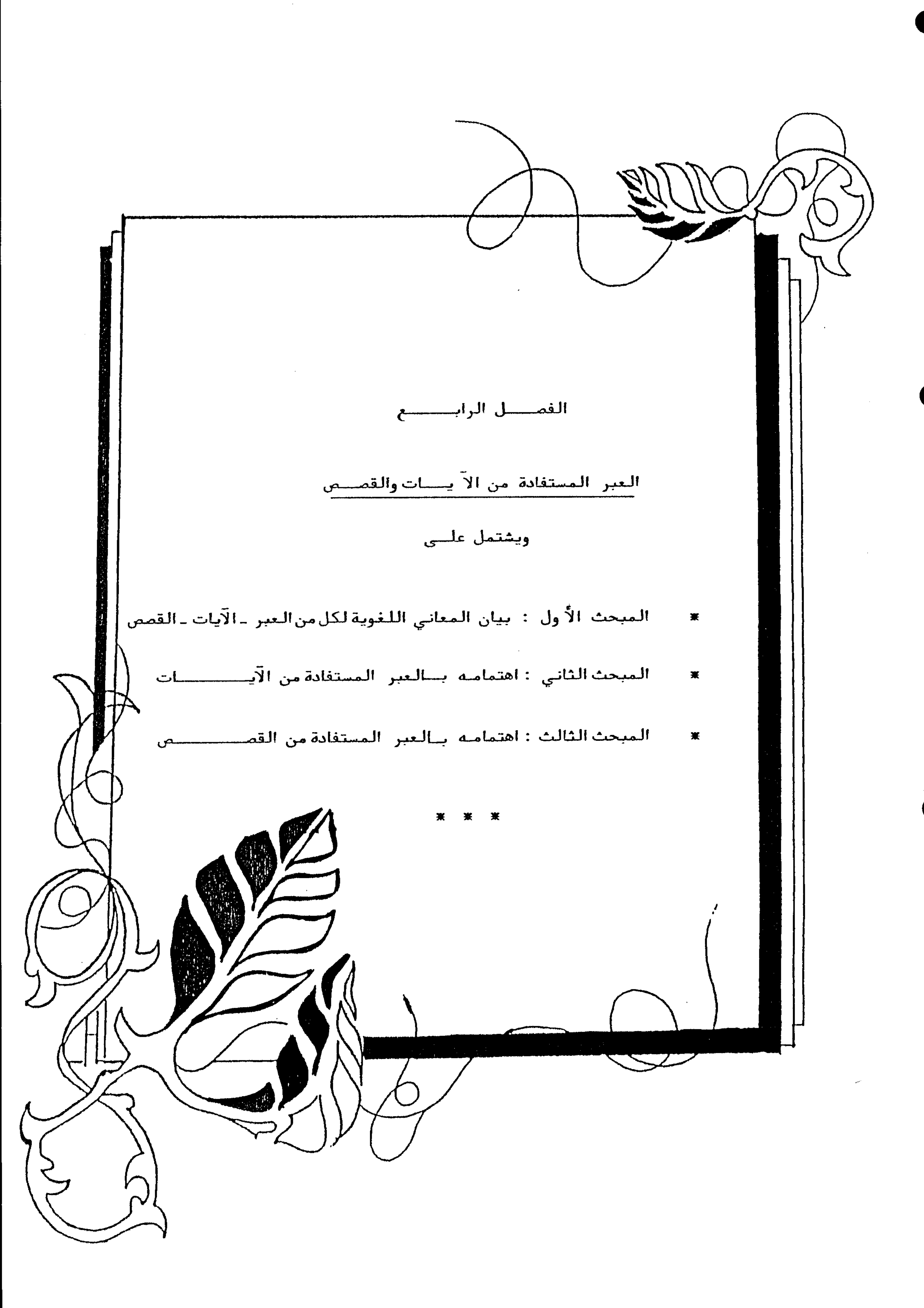
بالسفينة من كل مكان فتتحرك وتضطرب وتميل يمنة ويسرة وتتقاذفها الأمواج ... فترتفع لذلك أنفاس الركاب والمشاهدين مع تماوج السفينة وتنخفض معها .[1]

وفي ختام هذا الفصل يلزم التأكيد بأن الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - في كتبه الثلاثة : " التصوير الفني - مشاهد القيامة الظلال " بين هذه السمات بيانا كاملا ، وكان رائدا لفكرته حقا ، وأنه أديب موهوب وأنه وقف طويلا أمام الصور والمشاهد القرآنية متأملا فيها كثيرا وكان متذوقا للآيات محللا لها وانه نتيجة لذلك استطاع باسلوبه البديع نقل المعاني الى الاذهان بصورة حية مرئية .

* * *

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٣ ص ١٧٧٤ .



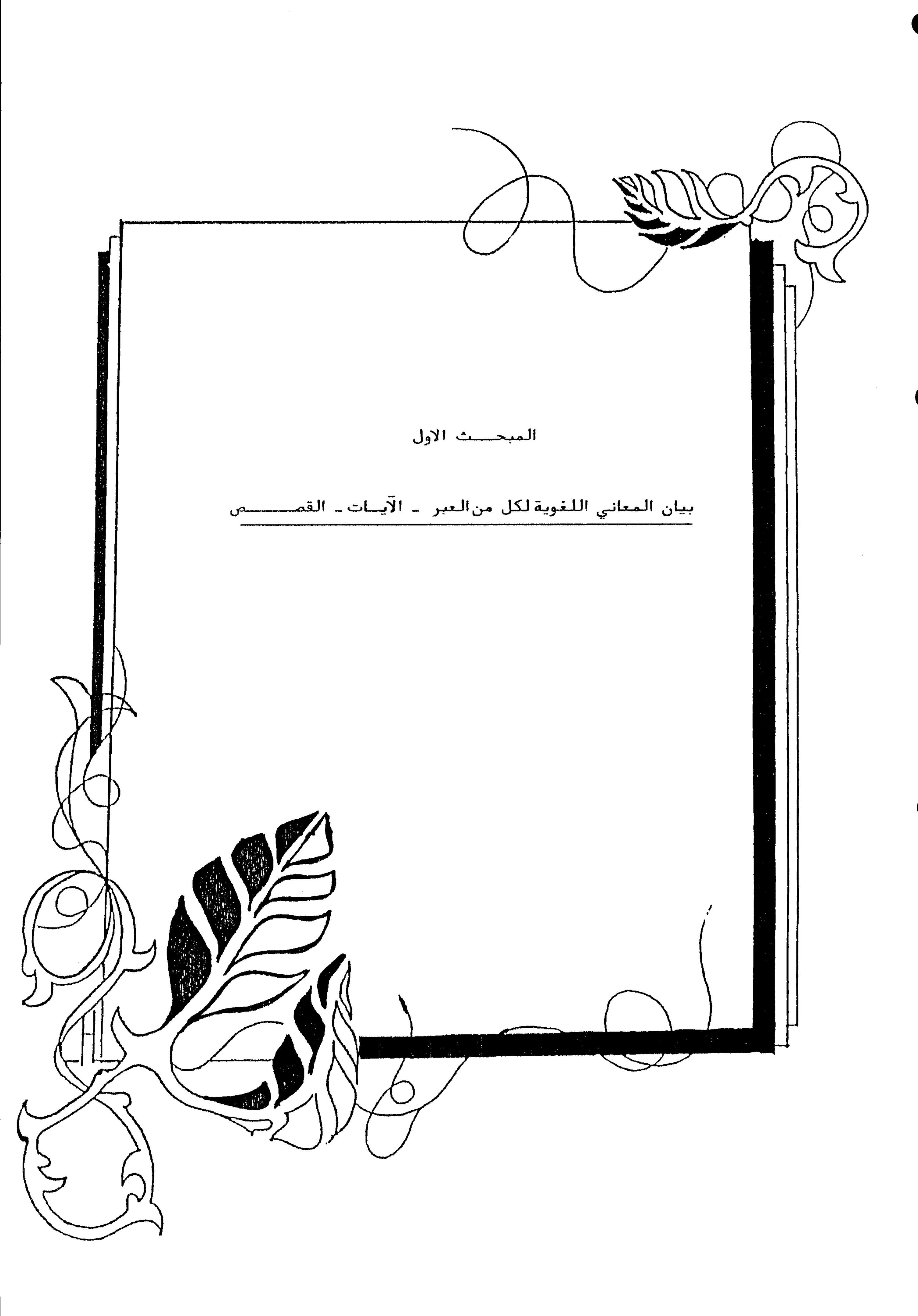
الفصل الرابع

العبر المستفادة من الآيات والقصص

ويشتمل على

* المبحث الأول : بيان المعاني اللغوية لكل من العبر - الآيات - القصص
* المبحث الثاني : اهتمامه بالعبر المستفادة من الآيات
* المبحث الثالث : اهتمامه بالعبر المستفادة من القصص

* * *



المبحـــث الاول

بيان المعاني اللغوية لكل من العبر - الآيـات - القصـــص

الفصل الرابع

العبر المستفادة من الآيات والقصص

* **المبحث الاول : بيان المعانى اللغوية لكل من العبر - الآيات - القصص :**

جاء في لسان العرب :

العبرة : العجب ، واعتبر منه تعجب .... وفى حديث أبى ذر : "فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت عبرا كلها " (١)

والعبر جمع عبرة وهى كالموعظة مما يتعظ به الانسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره .

والعبرة : الاعتبار بما مضى (٢)

والعبرة : بالفتح تحلب الدمع (٣)

والعبرة : بالتحريك سخنة في العين تبكيها ، والعبر بالضم مثله ، والعبر أيضا بالضم : الكثير من كل شيء .(٤)

وما يهمنا أن كلمة العبر معناها : الاعتبار بما مضى والاتعاظ بما سلف ليستدل به على ما يحصل في الحاضر والمستقبل .

---

(١) الحديث في الدر المنثور للسيوطى ج ٦ ص ٣٤١ وعزاه الى عبد بن حميد ، وابن مردويه من حديث ابى ذر رضى الله عنه ، وفى زاد المسير في علم التفسير ج ٨ ص ٧٩ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص٦٦٨ ، وتاج العروس ج ٣ ص ٣٧٦ .

(٣) الصحاح ج ٢ ص ٧٣٢

(٤) الصحاح ج ٢ ص ٧٣٣

* **معنى كلمة الآيات :**

الآيات جمع آية ، والآية وردت بعدة معان ، جاء في مفردات الراغب :

أن الآية تطلق ، ويراد بها البناء العالي نحو : **(أتبنون بكل ريع ءاية تعبثون)** [١]

ثم قال : وتطلق الآية على جملة من القرآن دالة على حكم سواء كانت سورة أو أكثر أو أقل من ذلك . [٢]

وجاء في لسان العرب :

أن الآية : العلامة [٣] كقوله تعالى : **(قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا)** . [٤]

وتأتي الآية أيضا بمعنى الجماعة ، يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا . [٥]

وتأتي الآية بمعنى الدليل والبرهان ومنه قوله تعالى : **(سنريهم ءاياتنا في الأفاق)** الآية . [٦]

قال الزجاج : معناه نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق أي آثار من مضى قبلهم من خلق الله عز وجل في كل البلاد ، وفي أنفسهم من أنهم

---

(١) سورة الشعراء آية / ١٢٨
(٢) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص ٣٣
(٣) لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ١٤٠
(٤) سورة مريم آية / ١٠
(٥) لسان العرب جـ ١ ص ١٤١
(٦) سورة فصلت آية / ٥٣

كانوا نطفا ، ثم علقا ، ثم مضغا ، ثم عظاما كسيت لحما ، ثم نقلوا الى التميز والعقل وذلك كله دليل على أن الذى فعله واحد ليس كمثله شيء تبارك وتقدس[١]. وهى أيضا تأتي بمعنى الامر العجيب لان ورد أن آيات الله عجائبه[٢]، وذلك كقوله تعالي : (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً)[٣] كما أن الآية تأتى ويراد بها المعجزة[٤]، كقوله تعالى :

(سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ) .[٥]

وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)[٦] والآية أيضا تأتى بمعنى العبرة كقوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)[٧] فالمراد بالآية هنا العبرة .

أما في الاصطلاح : فمعنى الآية كما ذكره السيوطى : " حد الآية قرآن مركب من جمل ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة " .[٨]

ويقول الزرقانى : والمناسبة بين هذا المعنى " الاصطلاحى والمعانى اللغوية " السالفة واضحة : لان الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها اليها

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص ١٤٠
(٢) لسان العرب جـ ١ ص ١٤١ ، والصحاح للجوهرى جـ ٦ ص ٢٢٧٦
(٣) سورة المؤمنين آية / ٥٠
(٤) تاج العروس للزبيدى جـ ١٠ ص ٣٨
(٥) سورة البقرة آية / ٢١١
(٦) سورة الرعد آية / ٣٨
(٧) سورة سبأ آية / ٩
(٨) الاتقان للسيوطى جـ ١ ص ٨٨ وورد نفس المعنى في مناهل العرفان جـ ١ ص ٣٣٢ .

ثم هي اشارة وعلامة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم الذى جاء بها ، وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يعتبر ويتعظ ، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والاعجاز، وفيها معنى الجماعة لأنها تتألف من جملة كلمات وحروف وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته وعلى صدق رسوله في رسالته . (١)

* **أقول** : وربطه - أى الزرقاني رحمه الله - بين المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية ربط جيد وموضح ومقرب لمعنى الآية في الأذهان بأسلوب سهل ميسر فجزاه الله خيرا .

* **معنى كلمة القصص :**

قصّ أثره : أى تتبعه . قال تعالى : (فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا (٢))

أى رجعا من الطريق الذى سلكاه يقصان الاثر أى يتتبعانه ، وقد اقتصصت الحديث : أى رويته على وجهه ، وقد قص عليه الخبر قصصا ، والاسم أيضا القصص بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، وعلى ذلك فالقصص بالفتح مصدر غلبت عليه الاسمية .

والقِصص : بكسر القاف : جمع القصة التى تكتب . (٣)

والقصة : الامر والحديث . (٤)

والذى نريده هو أن كلمة قصص بالفتح تعنى الخبر والحديث المروى كلاما .

* * *

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني جـ١ ص ٣٣٢ بتصرف يسير .
(٢) سورة الكهف آية / ٦٤
(٣) الصحاح للجوهرى جـ ٣ ص ١٠٥١
(٤) لسان العرب جـ ٣ ص ١٠٢



المبحـــث الثانـــــي

اهتمامـــــه بالعبــر المستفادة من الآيــــــــــات

المبحث الثاني : اهتمامه بالعبر المستفادة من الآيات :

لقد دعا القرآن الكريم المسلمين الى النظر في آيات الله ، والوقوف أمامها طويلا ، والتفكر بعقولهم فيها ليكتشفوا دلالتها وما توحي به وليصلوا ما بينها وبين قلوبهم ويجعلوها وسيلة للتعرف على ربهم وبالتالي يوثقوا صلتهم به .

يقول تعالى : (**وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون**)(١)

ويقول جل وعلا : (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**). (٢)

وقول تعالى ايضا : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**) (٣)

ولقد كان مؤلف الظلال سيد قطب - رحمه الله - من المستجيبين لهذه الدعوة فكانت له نظراته في الآيات وكانت له وقفات طويلات أمام أغلب الآيات .... وقفها بكل مشاعره وسجل ما يمكن تسجيله تجاهها اذكر من ذلك :

---

(١) سورة الذاريات آية / ٢٠ - ٢١

(٢) سورة يونس آية/ ١٠١

(٣) سورة العنكبوت آية / ٢٠

أولا : بيان محاسبة الانسان لنفسه وكونه بين الرجاء والخوف ، ووقفة المؤلف أمام الآيات الكريمة التي جاء فيها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الانسانَ وَنعلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنحنُ أقرَبُ اليهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ اذ يَتَلَقّى المُتلقيّان عنِ اليمين وَعَن الشِمالِ قَعِيدٌ • مَا يَلفظُ مِن قَولٍ الّا لَدَيهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١)

واستخلاصه منها العبر المستفادة حيث بيّنها بقوله : " ان ابتداء الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنا الانسانَ وَنعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ يفيد المعنى الضمني للعبارة ، فصانع الآلة أدرى بتركيبها مع أنه لم يخلق مادتها ولم يزد على تشكيلها فكيف بالمنشيء الموجد الخالق ؟ •

(ونعلم ما توسوس به نفسه) فنفسه مكشوفة لا يحجبها ستر وكل مافيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله •

﴿ وَنحنُ أقرَبُ اليهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ ﴾ وهذا تعبير يصور الرقابة المباشرة ولو تدبر القلب مدلول هذه العبارة ما تجرأ على كلمة لا يرضى الله عنها وأنها وحدها لكافية ليعيش بها الانسان في حذر دائم ويقظة لا تغفل عن المحاسبة •

﴿ اذ يَتلقّى المُتلقيان عَن اليَمينِ وَعَن الشِمّالِ قَعيدٌ • مَا يَلفِظُ مِن قَولٍ الا لَديهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ •

ويذكر المؤلف رحمه الله في هاتين الآيتين قوله : ان الانسان يعيش ويتحرك

---

(١) سورة ق آية/ ١٦ : ١٨ •

ويأكل وينام ويتحدث ويفكر ويقطع رحلة حياته بين ملكين موكلين به عن يمينه وعن شماله يتلقيان منه كل كلمة وكل حركة فيسجلانها حال وقوعها - أما كيفية التسجيل فلا تفيدنا معرفتها بشيء - ويكفينا أن نستشعر ونحن نقوم بأي حركة أو نقول أي كلمة أن هناك من يسجل علينا الكلمة والحركة لتكون في سجل حسابنا ... وقد أنبأنا الله جل شأنه بهذه الحقيقة لنحسب حسابها لا لننفق الجهد عبثا في معرفة كيفيتها .[1]

ثم يبين الاستاذ سيد رحمه الله تعالى أن وراء صفحة الحياة صفحة الاحتضار المتمثلة فيقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَاكُنتَ منه تَحِيدُ ﴾ [2]

فيقول : وان الانسان ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة فكيف به حين تقال له وهو يعاني سكرات الموت .. وانه ليلفت النظر التعبير بكلمة الحق فهي توحي بأن النفس البشرية ترى الحق كاملا أثناء سكرات الموت وتدرك تماما ماكانت تجحده حيث لا يجدى الادراك ولا تنفع الرؤية ، ذلك الحق الذى اختلفوا فيه ، وكذبوه يدركونه ويصدقونه حيث لا يفيد التصديق شيئا .[3]

ثم ينتقل بنا السياق من سكرة الموت الى وهلة الحشر وهول الحساب . يقول تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ

---

(١) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٦٢ ، ٣٣٦٣ ، بتصرف وايجاز .
(٢) سورة ق آية/ ١٩
(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٦٤ بتصرف .

وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . وقال قرينه هذا مالدى عتيد . ألقيا في جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مريب . الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد . قال قرينه . ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد . مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ﴾ (١)

ويبين الاستاذ سيد قطب العبر الموجودة في هذا النص فيقول :

وهذا مشهد يكفي استحضاره في النفس لتعيش على هذه الأرض في تخوف وحذر وترقب ... فالنفس هنا هي التي تجازى وتحاسب ومعها سائق يسوقها وشهيد يشهد عليها - وقد يكونان الحافظين من الملائكة وقد يكونان غيرهما والأول أرجح . (٢) - يسوقانها للمحاكمة بين يدى الجبار ، وفوق هذا يقال لصاحب هذه النفس : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . وقال قرينه هذا مالدى عتيد) أى قال قرين الانسان من الملائكة وهو يقدم سجل أعماله : هذا مالدى حاضر مجهز بلا زيادة ولا نقصان . (٣)

ويأتي الحكم مباشرة من رب العزة والجلال : (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه

---

(١) سورة ق آية/ ٢٠ : ٢٩

(٢) وذلك كما جاء في تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٦ ، وفي تفسير أبي السعود جـ ٥ ص ١٨٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٧ ، وأبي السعود جـ ٥ ص ١٩٠.

في العذاب الشديد) [١]

عندئذ يخاف قرينه ويفزع قائلا : (قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) [٢] والقرين هنا ربما كان الشيطان الموكل [٣] به لغوايته ، وربما كان الملك الذى كان يكتب سيئآته ، حيث يتبرأ من اطغائه ويقرر أنه وجده ضالا من عند نفسه .

فيأتي القول الفصل من الحكم العدل جل شأنه : (قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) [٤] فلا يظلم أحد ولا يجزى الا بما هو مسجل ، والمجازى هو حكم عدل ...

وبقوله هذا ينتهى جزء كبير من مشهد الحساب الرهيب ، ويكشف لنا السياق بعد ذلك عن جانب منه مفزع : (يوم نقول لجهنم : هل امتلأت وتقول هل من مزيد) [٥]

فهذه الآية يقشعر لها البدن حيث يتجلى مشهد عجيب مشهد امتلاء جهنم بمن فيها ومع ذلك تنادى : هل امتلأت ؟ فتجيب بحرقة وتغيظ وتلهف هل من مزيد ؟ .

وفي المقابل من هذا الهول مشهد آخر وديع أليف : انه مشهد الجنة وهي تقرب من المتقين : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ . مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ . لَهُم مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ [٦]

---

(١)، (٢) سورة ق آية/ ٢٤ ، ٢٧

(٣) لم يبين الاستاذ سيد أن الجمهور اتفق على هذا القول كما جاء في ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٧ ، وفي فتح القدير للشوكاني جـ ٥ ص ٧٧ .

(٤) سورة ق آية ٢٨، ٢٩

(٥) ،(٦) سورة ق آية/ ٣٠ ـ ٣٥ .

ونلاحظ أن تكريم المتقين موجود في كل كلمة وفي كل حركة فالجنة هي التي تقرب وهي التي تتلقاهم بكل مافيها من نعيم ، ومهما تمنوا ورغبوا فهم لا يبلغون ما أعد لهم فيها لأن المزيد من ربهم غير محدود وفوق ما ينتظرون ويحلمون به . (١)

ويقول تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهلَكنَا قَبلَهُم مِن قَرنٍ هُم أَشدُّ مِنهُم بَطشاً فَنَقّبُوا فِي البِلاد هَل مِن مَّحِيصٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلقَى السَّمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ . وَلَقَد خَلَقنَا السَّمواتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (٢)

ويلفت الاستاذ سيد رحمه الله النظر الى أن في هذه الآيات توجيها موجيا عميقا للمشاعر والقلوب ففي مصارع الغابرين - الأقوياء الذين نقبوا في البلاد - فيها ذكرى لمن كان له قلب مدرك أو ألقى السمع لقصصهم بانصات ووعي ليتدبر ويتعظ ويعتبر ويستوعب يسر الخلق وانشاء هذا الكون بما فيه من سموات وأرض ومافيهما ... فاحياء الموتى بالقياس الى خلق السموات والارض هو أمر هين صغير في مقدور رب العزة والجلال خالق كل شيء . (٣)

ووقفته أيضا أمام الآيات الكريمة من سورة الحشر التي يقول فيها المولى تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلتَنظُر نَفسٌ مَا قَدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ . وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

---

(١) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٦٥ بتصرف .
(٢) سورة ق آية / ٣٦ : ٣٨
(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٦٦ بتصرف .

فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ (١)

ويذكر الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعليقا وبيانا لما فيها من عبر بقوله : ان العبارة هنا - اتقوا الله - لا تبلغ تصوير حقيقة التقوى لانها حالة تجعل القلب يقظا شاعرا بوجود الله ... تجعله خائفا متحرجا خجولا من أن يراه الله على حال يكرهها خاصة أنه أصبح يقظا غير غافل عن دوام رؤية الله له .

أما قوله تعالى : (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) فهو تعبير ذو مدلولات وايحاءات أوسع من ألفاظه ... انه يدعو للنظر في صفحات حياة الانسان والتدقيق في رصيد أعماله بتأمل ينبهه الى مواطن قصّر فيها ، ومواضع أنقص منها ، ومواقف ضعف فيها ... هذا مع أنه قدّم من الخير ، وبذل من الجهد الشيء الكثير ، فكيف اذا كان رصيده - أيّ المتأمل - من الخير قليلا ونصيبه من البر ضعيفا ؟ .. انها لمسة لا ينام بعدها القلب - الواعي - أبدا ولا يكف عن النظر والتقليب .

ويذكر مؤلف الظلال رحمه الله : أن نسيان المخلوق لخالقه حالة عجيبة ولكنها حقيقة تجعله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده الى أفق أعلى وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى ، ويضاف الى هذه الحقيقة نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زادا للحياة

---

(١) سورة الحشر آية/ ١٨ : ٢٠ .

الطويلة الباقية ، ولا ينظر فيما قدم لها في الغداة من رصيد ، ويقرر القرآن الكريم ان هؤلاء هم أصحاب النار ويشير للمؤمنين ليسلكوا طريقا غير طريقهم (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لا يستويان طبيعة وحالا ، ولاطريقا ولا مسلوكا ولا وجهة ومصيرا ، ولا يلتقيان أبدا أبدا في سمة أو في خطة أو في سياسة ، ولايلتقيان أبدا في صنف واحد في دنيا ولا آخرة ... فيثبت مصير أصحاب الجنة ويدع مصير أصحاب النار مسكوتا عنه وكأنه ضائع لا يعني به التعبير .[١]

ووقفة أيضا أمام الآية الكريمة ﴿ **لَو أَنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبلٍ لَرأَيتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشيَةِ اللَّه** .... ﴾[٢]

وتعليقه عليها بقوله : " وهي صورة تمثل حقيقة . فان لهذا القرآن لثقلا وسلطانا وأثرا مزلزلا ، لايثبت له شيء يتلقاه ... وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ الآيات الأولى من سورة الطور[٣] فلم يتمالك نفسه وعاد لمنزله بحالة غريبة ، عاده الناس من أجلها شهرا ".[٤]

(١) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٥٣١ بتصرف وايجاز .

(٢) سورة الحشر آية/ ٢١

(٣) سورة الطور آية/ ١ : ٨

(٤) وأثر عمر رضي الله عنه في تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٤٢ في أول تفسير سورة الطور عند قوله تعالى ﴿ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ . وقد ذكره بسندين الأول عن أبي بكر بن أبي الدنيا والثاني عن أبي عبيد في فضائل القرآن ، وسكت عنهما ابن كثير وان صح السندان كان الخبر صحيحا ، وان ضعفا فالضعيف يرتقي بالثاني الى الحسن لغيره - وان التقيا في سند واحد وهو ضعيف - فالراجح ان الحافظ ابن كثير - رحمه الله - لا يعلق على هذا الأثر ان كان ضعيفا .
والراجح عندى أن الأثر ليس بغريب عن عمر رضي الله عنه فقد ثبت في ===

ثم قال سيد قطب - رحمه الله - : " واللحظات التي يكون فيها الكيان الانساني متفتحا لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازا ويرتجف ارتجافا ".

ويقع من التغيرات والتحولات ما يمثله في علم المادة فعل المغنطيس والكهرباء بالاجسام أو أشد ... والذين أحسوا شيئا من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقا لا يعبر عنه الا هذا النص القرآني المشع الموحي ". (١)

* ثانيا :

احساس المؤلف رحمه الله بفضل الله ونعمه تذوقا خاصا غمر كيانه ومشاعره فعمّق احساسه بفضل الله ، ومن ثم تعمق حبه لله سبحانه وتعالى والايمان به والطاعة له ، فترجم عما في قلبه شاكرا ربه متذوقا نعمه وداعيا الى

=== الصحيح أن جبير بن مطعم وقعله قريبا مما وقع لعمر وحديث جبير بن مطعم أخرجه البخارى في كتاب الصلاة باب الجهر بالمغرب في فتح البارى ٢/ ٢٠٦ ، وأخرجه مسلم في الصلاة باب القرآءة في العشاء ، ٤/ ١٨٠ ، ومالك في باب القرءة في المغرب ، ١/ ٧٨ ، وأبو داود في باب قدر القراءة في المغرب ١/ ٥٠٨ ، وابن ماجه في باب القراءة في صلاة المغرب ١٤٩/١ ، والنسائي في باب القراءة في المغرب بالطور ٢/ ١٦٩ .

وذكر في هامش سير اعلام النبلاء ان اسناده حسن . أنظر جـ ٣ ص ٩٦ .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ، المجلد السادس ص ٣٥٣٢ بتصرف .

ذلك غيره ، ومن ذلك قوله تعالى :

(اللّٰهُ الّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الّيلَ وَالنَّهَارَ وَءَاتَـٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعمَتَ اللّٰهِ لَا تُحصُوهَآ إِنَّ الإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[1]

ثم ذكر **ما معناه** : انه في هذا المقطع يفتح كتاب الكون على مصراعيه فتنطق سطوره الهائلة وصفحاته الفسيحة بنعم الله التي لا تحصى والتى منها : السموات والارض ، والشمس والقمر ، الى غير ذلك ٠٠٠٠٠ انه الاعجاز الذى تتناسق فيه كل لمسة وكل خط وكل لون ، وكل ظل في مشهد الكون ومعرض الآلاء ٠٠٠٠ أفكل هذا مسخر للانسان ، ذلك المخلوق الصغير ؟ السموات ينزل منها الماء والارض تتلقاه والثمرات تخرج من بينهما والبحر تجرى فيه الفلك ، والانهار تجرى بالحياة والارزاق في مصلحة الانسان ، والشمس ، والقمر مسخران دائبان لا يفتران ، والليل والنهار يتعاقبان ٠٠٠٠ أفكل أولئك للانسان ثم لا يشكر ولا يذكر ؟٠[2]

---

(١) سورة ابراهيم آية / ٣٢ ـ ٣٤

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٤ ص ٢١٠٦ ، ٢١٠٧ باختصار وتصرف ٠

ثم بين رحمه الله : أن كل ما في الكون مسخر للانسان فالفلك تجرى في البحر بأمر الله لمصلحة الانسان .

والأنهار مسخرة له بما تحمل في جوفها من أسماك وأعشاب وخيرات

والشمس والقمر مسخرة له حيث ينتفع بآثارهما ويستمد منهما مواد الحياة وطاقاتها .

والليل والنهار مسخران وفق حاجة الانسان وتركيبه وما يناسب نشاطه وراحته فلو كان نهارا دائما أو ليلا دائما لفسد جهاز هذا الانسان فضلا عن فساد ما حوله .

﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾

فهي أكبر وأكثر من أن يحصيها فريق من البشر أو كل البشر ، لأن حدود علمهم تابعة لحدود الزمان والمكان ، ونعم الله مطلقة لا يحيط بها ادراك انسان .

فحين يستيقظ ضمير الانسان ويتطلع الى الكون من حوله ويتأمل ويتدبر لابد أن يرتجف ويخشع ويسجد لله ويشكر ويتطلع دائما الى ربه المنعم ليطلب منه أن يبدله بدل الشدة يسرا ، وليطلب منه العفو والعافية وأن يحفظ عليه نعمه وقت الرخاء .[1]

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢١٠٨ بتصرف واختصار .

ثم بين الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - ان كلمة الرزق المذكورة في هذه الآيات السابقة - مدلولها واسع بحيث يدخل فيه كل صور الرزق: " ان انبات حبة واحدة يحتاج الى القوة المهيمنة على هذا الكون كله لتتفاعل عوامل الحياة من تربة وماء ، وأشعة وهواء لانبات هذه الحبة .... والناس يسمعون كلمة الرزق فلا يتبادر الى أذهانهم الا صورة الكسب للمال ولكن مدلول الرزق أوسع من ذلك كثيرا ، وأعمق من ذلك كثيرا ، ان أقل رزق يرزقه الانسان في هذا الكون يقتضي تحريك أجرام هذا الكون وفق ناموس يوفر مئات الآلاف من الموافقات المتناسقة التي لولاها لم يكن لهذا الانسان ابتداء وجود ، ولم تكن له بعد وجوده حياة وامتداد ".(١)

كما يدلنا على اهتمام المؤلف بالعبر المستفادة من الآيات المتعلقة بموضوع " الرزق " أيضا تعليقه على قوله تعالى :

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (٢)

حيث قال : " هي لفتة عجيبة فمع أن اسباب الرزق الظاهرة قائمة في الارض حيث يكد فيها الانسان ويجهد وينتظر من ورائها الرزق والنصيب . فان القرآن يرد بصر الانسان ونفسه الى السماء .... الى الغيب ...... الى الله ليطلع هناك الى الرزق المقسوم والحظ المرسوم ، أما الارض وما فيها من أسباب الرزق الظاهر فهي آيات للمؤمنين فلا يدعها تحول

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢١٠٧ بتصرف واختصار .

(٢) سورة الذاريات آية / ٢٢

بينه وبين التطلع الى المصدر الاول الذى أنشأ هذه الاسباب ". (١)

ونرى اهتمامه أيضا بالعبر المستفادة من الآيات ما ذكره فى تفسيره لقوله تعالى :

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (٢)

حيث قال مامعناه : والسمع والابصار معجزتان كبيرتان لم يعرف عن خواصهما الشيء الكثير كما ان الافئدة التي يعبر بها القرآن عن قوة الادراك والمعرفة والتمييز معجزة أعجب وأغرب ، وأيضا لم يعرف عنها الا القليل .... وان هذه الهبات العظيمة لم تعط للانسان الا لينهض بتلك الامانة الكبرى التي أشفقت من حملها السموات والارض والجبال... ومع ذلك لم يشكر ولم يقدّر هذه النعم . (٣)

وذكر الاستاذ سيد - رحمه الله - أن السياق في الآية الثانية جمع مشهدين متقابلين مشهد النشر ومشهد الحشر ليتقابل المشهدان فى الحس والتصور على طريقة القرآن وليتذكر البشر وهم منتشرون فى الارض أن هناك غاية هم سائرون اليها هى الحشر والجمع ومن ثم الجزاء في يوم الجزاء .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٣٣٨١

(٢) سورة الملك آية / ٢٣ - ٢٤

(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٦٤٥ - ٣٦٤٦ بتصرف .

ثالثا :

تأمله في بعض ظواهر هذا الكون الدالة على الايمان كالرياح وارسالها حيث يشاء الله ، وكخلق الانسان من تراب ثم تحوله الى هذا الخلق الراقي ، وكالبحرين الحلو والمالح وانتفاع الانسان بهما وغير ذلك .

يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ . مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

يقول مؤلف الظلال مامعناه : ان الرياح بنوعيها الساخنة التي تثير البخار والباردة التي تكثفه حتى يصير سحابا ... هذه الرياح يرسلها المولى عز وجل لتثير السحب ثم يسيّر السحب حيث يشاء ويسوقه الى بلد ميت فيحيي به الأرض بعد موتها .

---

(١) سورة فاطر آية/ ٩ : ١٢ .

فهذا الدليل الواقعي الملموس الدال على مقدرة الله العظيمة فيه دلالة أيضا على عدم استبعاد النشور في الآخرة .

وهو من جانب آخر مشهد بهيج مثير يهز القلوب حقا حين تتأمله وهي في حالة يقظة ... وبخاصة في الصحراء، حيث يمر عليها الانسان وهي قاحلة جرداء، ثم يمر عليها بعد فترة فيرى فيها الخضرة من آثار الماء . (١)

ثم ينتقل السياق من مشهد الحياة النابضة في الموات الى معنى نفسي ومطلب شعورى : معنى العزة والمنعة والاستعلاء، ويربطه بالقول الطيب الذى يصعد الى الله والعمل الصالح الذى يرفعه الله ، وفي المقابل صفحة التدبر السيء والمكر الخبيث وهو يهلك ويبور .

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئآت لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) (٢)

أى من كان يريد العزة والقوة والمنعة فليذهب الى المصدر الأول وهو الله وهذه حقيقة أساسية حين تستقر في قلب أى انسان يقف أمام الدنيا كلها عزيزا كريما ثابتا في وقفته ، انه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر ولا لعاصفة طاغية ، ولا لحدث جلل ، ولا لوضع ولا لحكم ولا لدولة ولا لمصلحة

---

(١) في ظلال القرآن م ٥ ص ٢٩٢٩ بتصرف .
(٢) سورة فاطر آية / ١٠

ولا لقوة من قوى الأرض جميعا ولماذا ؟ لأن العزة لله جميعا : ومن أسبابها ووسائلها لمن يطلبها عند الله أن يقدم القول الطيب والعمل الصالح لأن العزة استعلاء على شهوة النفس واستعلاء على القيد والذل والخضوع لغير الله ، ثم هي خشية لله ومراقبة له في السراء والضراء .

والذين يمكرون السيئآت يمكرونها طلبا للعزة الكاذبة فيظهرون أمام أنفسهم والناس أنهم أقوياء وأعزاء ، والحقيقة أن المكر السيء قولا وعملا ليس سبيلا الى العزة ولو حقق القوة الطاغية الباغية في بعض الأحيان لأن المكر السيء نهايته الى البوار والهلاك والى العذاب الشديد . (١)

ويتناول السياق بعد ذلك نشأة الانسان وعن عمره الطويل أو القصير ، وعلم الله جل شأنه بذلك يقول تعالى : (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) . (٢)

ويبين الاستاذ سيد قطب رحمه الله مافي هذه الآية الكريمة من عبر ويلفت النظر الى ضرورة تدبر كل جملة فيها فيقول ما خلاصته :

ان التراب عنصر لا حياة فيه ، والنطفة عنصر فيه الحياة والنقلة من غير الحي الى الحي نقلة بعيدة أكبر وأضخم من كل أبعاد الزمان والمكان ...... وتأمل هذه النقلة لا ينتهي ولا يمله القلب الحي المتدبر لاسرار هذا الوجود العجيب .

---

(١) في ظلال القرآن م ٥ ص ٢٩٣٠ ، ٢٩٣١ بتصرف .
(٢) سورة فاطر آية/ ١١

والنقلة من النطفة الى النوعين المتميزين (الذكر والأنثى) نقلة بعيدة كذلك ، فأين الخلية الواحدة في النطفة من ذلك الكائن الشديد التركيب والتعقيد الكثير الأجهزة المتعدد الوظائف ؟

ثم ان تعاون أعضاء الانسان وتناسقها وتجمعها لتكون مخلوقا متميزا عن غيره حتى عن أقرب الناس اليه بحيث لا يتماثل مخلوقان اثنان أبدا .

وحين تتزاوج الأفراد تصبح قادرة على اعادة النشأة بنطف جديدة - باذن الله - تسير في نفس المراحل ... ان هذا كله لعجب لا ينقضي منه العجب .

وما تحمل من انثى من اناث الانسان أو اناث الحيوان والطير والاسماك والزواحف والحشرات وسواها مما نعلمه ومما لا نعلمه حتى ما يبيض منها يعلمه الله فعلم الله بكل حمل وبكل وضع هو علم مطلق لا يتصوره الذهن البشري ولا يلتفت اليه ، والمولى عز وجل وجهه الى ذلك ليكون دليلا قاطعا على أن الله هو منزل هذا القرآن [1] ... ومثل هذا قوله تعالى :

(وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) [2] فنحن اذا تتبعنا جميع الأحياء في هذا الكون من شجر وطير وحيوان وانسان وسواه على اختلاف الاحجام والاشكال والأنواع والأجناس والمواطن والأزمنة ... ترى منها المعمر ومنها ناقص العمر ، والتعمير كما نعلم يكون بطول الأجل ومرور الأعوام ، كما يكون بالبركة في العمر وانفاقه انفاقا طيبا بالأعمال الصالحة والمشاعر الحسنة والآثار الجميلة ، وكذلك

---

(١) في ظلال القرآن م ٥ ص ٢٩٣٢ بتصرف .

(٢) سورة فاطر آية / ١١

يكون نقص العمر اما بقصره في عدد السنين أو بنزع البركة منه وانفاقه في اللهو والكسل والعبث والفراغ ٠

وكل ذلك في كتاب ... كل ذلك من كل كائن في الكون الذى لا يعلم حدوده الا الله ٠

ويضيف الاستاذ سيد رحمه الله : ان الاشياء تكون كالأحياء فمنها المعمر ومنها ناقص العمر كالصخرة المعمرة أو المنتهى أجلها فاذا هي محطمة ، أو كالنهر المعمر الفائض أوغيره الغائض ماؤه أو كالأشياء التي يصنعها الانسان كالجهاز أو الثوب أو البناء فمنه المعمر ومنه القصير العمر المعرض للتحطيم والهدم ٠

ثم يقول :

وان تصور الأمر على هذا النحو ليوقظ القلب الى تدبر هذا الكون بحس جديد وأسلوب جديد ... حيث يستشعر يد الله وعينه على كل شيء فيصعب عليه بالتالي ان ينسى أو يغفل أو يضل ... وهكذا يصنع القرآن القلوب.[1]

ثم ينتقل السياق الى الحديث عن تنويع الماء فهذا عذب سائغ ، وهذا ملح مر ، وكلا هما يفترقان ويلتقيان بتسخير الله في خدمة الانسان :

(وما يستوى البحران ٠ هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) ٠[2]

---

(١) في ظلال القرآن م ٥ ص ٢٩٣٣ بتصرف ٠

(٢) سورة فاطر آية/ ١٢

ويتحدث الاستاذ سيد عن هذه الآية ويزيدها توضيحا بذكر مافيها من نعم تستحق الشكر فيقول مايفيد بأن ارادة التنويع في خلق الماء واضحة وفيها حكمة ظاهرة فبالنسبة للماء العذب نحن نعرف جانبا من حكمة الله فيما نستخدمه وننتفع به وهو قوام الحياة لكل حي .

أما الماء الملح المر فيقول أحد العلماء : " وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهر - ومعظمها سام - فان الهواء باق دون تلويث في الواقع ، ودون تغير في نسبته المتوازية اللازمة لوجود الانسان ، وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء - البحار والمحيطات - الذى استحدث منه الحياة الغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات .... وأخيرا الانسان نفسه " .

ثم يلتقي البحران المختلفان في تسخيرهما للانسان حيث نأكل منهما اللحم الطرى وهو الأسماك والحيوانات البحرية على اختلافها ونستخرج الحلية من اللؤلؤ والمرجان ، ونرى الفلك تمخر البحار والأنهار أى تشقها بما أودع الله الأشياء في هذا الكون من خصائص :

* ككثافة الماء وكثافة أجسام السفن .
* و الرياح .
* والقوى التي عرّفها الله للانسان كقوة البخار وقوة الكهرباء[1]

وقد سخر الله لنا هذا كله لنبتغي من فضله بالسفر والجد والعمل والتجارة وبسر لنا أسباب الشكر وجعلها حاضرة بين أيدينا فياليتنا نؤدى حق شكره كما ينبغي لجلال وجهه الكريم ولكرمه العظيم ونعمه التي لا تحصى .

---

(١) في ظلال القرآن م٥ص ٢٩٣٤ بايجاز .

ثم يتأمل المؤلف في بعض ظواهر هذا الكون كالليل والنهار ودخولهما في بعضهما ويشعر بكونهما من نعم الله الكبرى على الناس ويدعو الى النظر فيهما ٠

* **رابعا :**

تأمله في بعض ظواهر هذا الكون كالليل والنهار ودخولهما في بعضهما وشعوره بكونهما من نعم الله الكبرى على الناس ودعوته الى النظر فيهما وشكر المولى خالقهما ، فنراه مثلا :

(١) يعلق على الآية الكريمة : (**يُولِجُ اليلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اليلِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجرى لأجلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ وَالَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَملِكُونَ مِن قِطمِيرٍ**)[1]

يقول انهما مشهدان رائعان : مشهد دخول الليل في النهار ، والضياء يغيب قليلا قليلا ، والظلام يدخل قليلا قليلا ، حتى يكون الغروب وما يليه من العتمة البطيئة الدبيب ، ومشهد دخول النهار في الليل حينما يتنفس الصبح وينتشر الضياء رويدا رويدا ويتلاشى الظلام رويدا رويدا حتى تشرق الشمس ويعم الضياء وكلها مشاهد تطوف بالقلب في سكون وتغمره بشعور من الروعة والتقوى وهو يشعر شعورا قويا بيد الله تمد هذا الخط، وتطوى ذاك الخط"[2]

ويقول أيضا : ـ رحمه الله ـ " وتسخير الشمس والقمر وجريانهما للاجل المرسوم لهما ٠٠٠٠ وهو الآخر ظاهرة يراها كل انسان سواء كان

---

(١) سورة فاطر آية / ١٣

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الخامس ص ٢٩٣٥ ٠

يعلم عن هذين الجرمين شيئا أولا يعلم ، وحركتهما في الظهور والاختفاء يراها كل بصر ولا تحتاج في تدبرها الى علم وحساب فهى آية معروضة في صفحة الكون لجميع العقول ... ونحن ندرك اليوم علمها الظاهر أكثر مما كان يدركه المخاطبون بهذا القرآن ، لاول مرة ، والمهم في هذا كله أن توحى الينا ماكانت توحيه اليهم ، وأن تثير فينا من التدبر ، ورؤية يد الله المبدعة وهى تعمل في هذا الكون العجيب ماكانت تثير فيهم .... والحياة حياة القلوب ".[1]

(٢) ويذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - في موضع آخر من سورة القصص[2] متعلقة بهذا الموضوع ما نصه : " والناس لطول ما اعتادوه من كر الجديدين ينسون جدتهما المتكررة التى تبلى ولا يروعهم مطلع الشمس ولا مغيبها الا قليلا ، ولا يهزهم طلوع النهار ، واقبال الليل الا نادرا ، ولا يتدبرون مافى تواليهما من رحمة ربهم وانقاذ من البلى والدمار أو التعطل أو الملل والهموم ".[3]

(٣) ونرى اهتمام المؤلف - رحمه الله - بالعبر المستفادة من بعض الآيات التى تناولت السموات والارض والليل والنهار كقوله تعالى :

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الخامس ص ٢٩٣٥ باختصار وتصرف .
(٢) سورة القصص آية/ ٧١ - ٧٣
(٣) في ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٢٧٠٨ .

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ واخْتِلَٰفِ الَّيلِ والنَّهَارِ لأَيَٰتٍ لِأُولِي الأَلبَٰبِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَٰتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .(١)

حيث يذكر : " ان مشهد السموات والارض واختلاف الليل والنهار لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وادركنا ، لو تلقيناه جديدا كأننا نفتح عليه عيوننا لاول مرة ، لو استنقذنا حسنا من همود الالف وخمود التكرار لا رتعشت له رؤ انا ولاهتزت له مشاعرنا ولاحسسنا أن وراء ما فيه من تناسق لابد من يد تنسق "(٢)

فنرى أن اهتمام الاستاذ سيد قطب بالنظر في آيات الله وآلائه كان بمنظار " الجدة والمفاجأة " والغاء منظار " الالف والعادة " لاستخلاص العبر منها وخاصة في عصرنا الحاضر ، ولدعوتنا نحن المسلمين الى التفكر فيها ... يقول رحمه الله في موضع آخر : " " ان القرآن يبقى جديدا أبدا لانه يجدد أحاسيس البشر بالمشاهد والمناظر في الكون والنفس وهى لا تنفذ ولا تستقصيها البشرية في أجلها الموعود ".(٣)

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٩٠ ـ ١٩١
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب م ١ ص ٥٤٥
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٤ ص ٢٠٤٧

والسياق القرآني هنا يصور خطوات الحركة النفسية التي تكون نتيجة استقبال مشهد السموات والأرض واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب يصورها تصويرا دقيقا موحيا يجعل القلوب تلتفت الى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون وفي التخاطب معه بلغته والانطباع باشارته وايماءاته ومن ثم يجمع السياق القرآني بين توجه القلب الى ذكر الله وبين التفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار يوحي بحقيقتين هامتين :

* **الأولى :** أن التفكر في خلق الله وبكل مافي هذا الكون ... هو عبادة لله من صميم العبادة .

* **الثانية :** أن آيات الله في خلق الكون لا تتجلى عن حقيقتها الموحية الا للقلوب الذاكرة العابدة التي يكون مجرد التفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار منهما لها للحقيقة الكافية فيها ، ولادراك أنها لم تخلق عبثا ولا باطلا ... نعم أن لهذا الكون حقيقة وهو يسير وفق نظام معين وليس متروكا للفوضى ، وهو بمعنى لغاية مقدرة وليس متروكا للمصادفة .

ويتساءل المؤلف رحمه الله عن العلاقة الوجدانية بين ادارك مافي خلق هذا الكون من حق وبين الارتعاشة المنطلقة بالدعاء المتضمن الخوف من النار .

ثم يجيب بقوله : ان ادراك الحق في تصميم هذا الكون وفي ظواهره معناه عند أولي الألباب أن هناك تقديرا وتدبيرا وأن هناك حكمة وغاية وحقا وعدلا وراء حياة الناس فلابد اذن من الحساب والجزاء على ما قدموه من أعمال حتى يتحقق العدل ولن يتحقق الا في دار غير هذه الدار .... فهي سلسلة من منطق الفطرة تتداعى حلقاتها سريعة في حسهم لذلك تقفز صورة النار في خيالهم فيطلبون الوقاية منها . ومن ثم فخوفهم من النار انما هو خوف قبل كل شيء من الخزى الذى يصيب أهلها خوف باعثه الأكبر الحياء من الله وذلك لشعورهم القوى بأنه لا ناصر لهم الا الله وأن الظالمين مالهم من أنصار.

وبالنظر في الدعاء كله نجده يمثل الاستجابة الصادقة العميقة لايماء هذا الكون والحق الكامن فيه ، في القلوب السليمة المفتوحة ، ويسير بحساسية هذه القلوب ورقتها وشفافيتها وتقواهد وحيائها من الله .

---

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ٥٤٥ :٥٤٧ بتصرف وايجاز .

كما يذكر أنه بهذا المنظار الذى يدعونا اليه القرآن الكريم" يخلق الانسان خلقا جديدا بحس جديد ، ويمتع بحياة جديدة ويوهب متاعا جديدا لا نظير له في كل ما يتصوره في الارض من متاع ... وعلى هذا النحو الرفيع من التأمل والادراك يريد القرآن الناس ".[1]

كما نلاحظ اهتمامه ببيان العبر من الآيات الموضحة لقيمة الحياة الدنيا بيانا يناسب كل آية في موضعها ، فقوله تعالى :

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2]

يبين فيه الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - أن هذه الحياة الدنيا بكل مافيها من ألوان الزينة والزخارف والمتع .... والتى ينخدع لها الناس ويفتنون بها ما هى الا عبارة عن زرع سقى بماء السماء فزها واخضر وأزهر وأثمر وجاء وقت حصاده ، ووقت متاع أهله به ، ولكن يأتى أمر الله

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٣٣٨١

(٢) سورة يونس آية / ٢٤ .

جل وعلا ليلا أو نهارا (فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) هكذا في ومضة ، وفي جملة ، وفي خطفة .... وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس ويضيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع هذه هي - الدنيا - لا أمن فيها ولا اطمئنان ولا ثبات ولا استقرار ولا يملك الناس من أمرها شيئا الا بمقدار، وبالبعد الشقة بين دار يمكن أن تطمس في لحظة ودار السلام التي يدعو اليها الله جل جلاله .[1]

(وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).[2]

وأيضا قوله تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ).[3]

ويهتم المؤلف بما فيه من عبر فيوضح أن الحياة الدنيا قد تبدو في بعض الاعين والاحاسيس أمرا عظيما هائلا ، ولكنها حين توزن بميزان

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٣ ث ١٧٧٥ بتصرف .
(٢) سورة يونس آية / ٢٥
(٣) سورة الحديد آية/ ٢٠

الآخرة تظهر شيئا زهيدا تافها ، فهي : لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر ، والمثال المصور لها (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما) وينتهي شريط الحياة كلها بهذه الصورة المتحركة ٠٠٠٠ ينتهي بمشهد الحطام ٠

أما الآخرة فلها شأن آخر ٠٠٠٠ يستحق أن يحسب حسابه وأن يستعد له : (**وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ**) [1] فهي لا تنتهي في لمحة كالدنيا ٠٠٠٠ انها حساب وجزاء ودوام يستحق الاهتمام : (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**)[2] وهذه الحقيقة لايقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية والاستعلاء على غرور المتاع الزائل ومن ثم ، ليحقق كل مؤمن عقيدته وايمانه ٠ [3]

وأخيرا أقول ان ما ذكرته من أمثلة تدل على اهتمام مؤلف الظلال بالعبر المستفادة من الآيات ماهو الا شيء يسير ، لانه ـ رحمه الله ـ

---

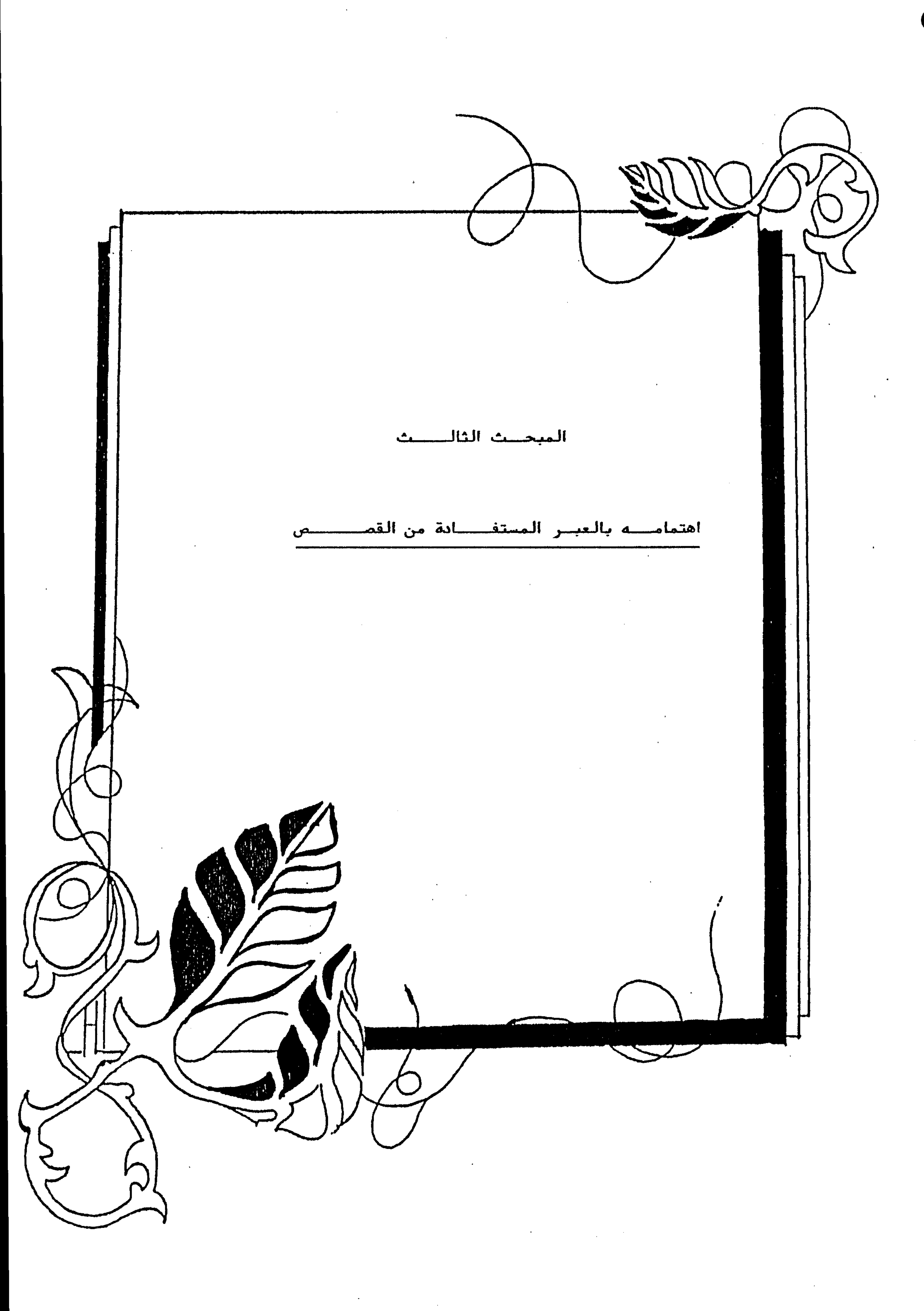
(١) سورة الحديد آية/ ٢٠

(٢) سورة الحديد آية/ ٢٠

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٣٤٩١ ٠

كانت له وقفات طويلات أمام أغلب الآيات ، وكان يدعو القراء دائما الى تدبر الآيات القرآنية وتأملها جيدا والى تذوق نعم الله واستشعارها بالمنظار الجديد - منظار الجدّة وكأنها ترى لاول مرة - لان القرآن الكريم نفسه يدعو الناس الى ذلك التأمل والادراك ليؤثر بالتالي في النفوس فتحمد الله وتشكره وتصحح ايمانها به .

* * *



المبحـــث الثالـــــث

اهتمامـــــه بالعبـــر المستفـــــادة من القصـــــــص

* **المبحث الثالث : اهتمامه بالعبر المستفادة من القصص :**

لقد سبق أن ذكرت أن مؤلف الظلال - رحمه الله - اهتم بالعبر المستفادة من الآيات ، وفى هذا المبحث سأبين بمشيئة الله أنه اهتم أيضا بالعبر المستفادة من القصص الواردة في كتاب الله ، ومن أمثلة ذلك :

* **أولا :**

ماذكره في نهاية قصة نوح عليه السلام - الواردة في سورة هود (١) من عبر حيث قال : ونخلص من هذه القضية العرضية الى عبرة هذا الحادث الكونى العظيم وهى - في الحقيقة - عبر شتى لا عبرة واحدة ، وألخصها في النقاط الآتية :

(١) ان قوم نوح هؤلاء هم ذرية آدم عليه السلام ، وما من شك أنه علم بنيه الاسلام - القائم على التوحيد المطلق - جيلا بعد جيل ٠

(٢) وأن الاسلام كان هو أول عقيدة عرفتها البشرية في الارض غير أنها انحرفت عنه بفعل الشيطان المسلط عليها ٠

(٣) ان الوشيجة التى تجتمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين فليست هى وشيجة الدم والنسب ولا رابطة

---

(١) سورة هود من آية/ ٢٥ : ٤٩

الارض والوطن ، ولا القوم والعشيرة ، ولا رابطة اللون واللغة ولا الجنس والعنصر ولا الحرفة والطبقة .... وانما يجعل الاسلام العقيدة هى الآصرة الوحيدة التي يقوم عليها التجمع الانسانى في المجتمع الاسلامى .

(٤) ان القلة القليلة التى اتبعت نوحا عليه السلام والتى تبلغ اثنى عشر شخصا هى حصيلة دعوته - التى بلغت ألف سنة الا خمسين عاما - وثمرة عمره الطويل .

ووجود هذه البذرة المسلمة في الارض شيء عظيم في ميزان الله ، شيء يستحق أن يسخر الله لها القوة الكونية الهائلة وأنه ليس عليها الا أن تثبت وتستمر في طريقها والا أن تصبر حتى يأتى الله بأمره والا أن تثق أن وليها القدير لا يعجزه شيء في الارض ولا فى السماء ، وأنه لن يترك أولياءه الى اعدائه ، الا فترة الاعداد والابتلاء ، وأنها متى اجتازت هذه الفترة فان الله سيصنع لها وسيصنع بها في الارض ما يشاء وهذه هى عبرة الحادث الكونى العظيم . (١)

كما ذكر الاستاذ سيد قطب عبرة أخرى من قصة نوح عليه السلام الواردة في سورة نوح عليه السلام : وهى أنه يجب على الداعية لله التحلى

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٤ ص ١٨٨١ - ١٨٩٣ بتصرف .

بالصبر وعدم فقدان الامل ، وعليه استخدام شتى الاساليب ومختلف الوسائل وهذا ما فعله نوح عليه السلام فى دأب طويل وفى صبر جميل وفى جهد نبيل ألف سنة الا خمسين عاما ـ يرصد فيهم بريق الامل ويشم منهم بارق الايمان ولكنهم ما ازدادوا على الايام الا عتوا [1] ثم عاد الى ربه الذى أرسله اليهم يقدم حسابه ويبث شكواه فى هذا البيان المفصل .

قال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا). [2]

قال سيد ـ رحمه الله ـ ومن هذا البيان الدقيق نطلع على تلك الصورة النبيلة من الصبر والجهد والمشقة ، وهى حلقة واحدة في سلسلة الرسالة السماوية لهذه البشرية الضالة العصية فماذا كان بعد هذا البيان ؟ ....

---

(١) قصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى ص ١٨
(٢) سورة نوح من آية/ ٥ : ٩

وبعد كل هذا الجهاد .... وبعد كل هذا العناء[١]! . بعد أن جاءهم من كل سبيل وطلع عليهم من كل جهة يمكن أن ينشد الانسان فيها وجه الحق ويتعرف عليه[٢] - كان العصيان والاصرار على الكفر لذا دعا عليهم بالهلاك والاستئصال وذلك بعد أن أوحى الله اليه أنه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن لقوله تعالى[٣] :

(وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .[٤]

ومن ثم فدعوته على قومه بالهلاك والانتقام منهم لان هذا هو اللائق بهم وبأمثالهم[٥] ، فنوح عليه السلام لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما[٦] ، وكان جهاده وصبره على ايذاء قومه بما لا طاقة لاحد على تحمله ولا قدرة له عليه ، كما أنه لم يضعف عن

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد السادس ص ٣٧١٥

(٢) القصص القرآني لعبد الكريم الخطيب ص ٢٠١

(٣) أي لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك : الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣٢٧ ، والكشاف للزمخشري ج ٢ ص٢٦٨

(٤) سورة هود آية/ ٣٦

(٥) عصمة الانبياء والرد على الشبهة الموجهة اليهم للدكتور محمد أبو النور الحديدي ص ٢٥٨ .

(٦) مصداق قوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظلمون " . العنكبوت آية/ ١٤ .

ابداء النصح والتذكير ابتغاء مرضاة الله[١]، ولم تهن له ارادة أو تتزعزع له عقيدة .[٢]

وبعد استخلاص كل هذه العبر من قصة نوح عليه السلام يرشد المؤلف رحمه الله المسلمين الداعين الى الله وينصحهم نصيحة طيبة يقول فيها " والذين يسلكون السبيل الى الله ليس عليهم الا أن يؤدوا واجبهم كاملا بكل ما في طاقتهم من جهد ثم يدعوا الامور لله في طمأنينة وثقة .... وعندما يغلبون عليهم أن يلجأوا الى الناصر المعين كما لجأ عبده الصالح نوح : (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ)[٣] ثم ينتظروا فرج الله القريب ، وانتظار الفرج من الله عبادة فهم على هذا الانتظار مأجورون " .[٤]

---

(١) النبوة والانبياء لمحمد على الصابوني ص ١٤٨

(٢) مع الأنبياء لعفيف طبارة ص ٨٠

(٣) سورة القمر آية / ١٠

(٤) المجلد الرابع ص ١٨٩٣ من ظلال القرآن لسيد قطب .

ثانيا :

ماذكره المؤلف - سيد قطب رحمه الله - تعقيبا على قصة هود عليه السلام مع قومه والواردة في سورة هود مبينا ما يمكن استباطه منها من عبر وأوجزها في النقاط الآتية :

(١) ان الدعوة الخالدة التي جاءت في كل رسالة وعلى لسان كل رسول كانت الى توحيد العبادة لله جل شأنه غير المتمثل في مجرد أداء الشعائر التعبدية له ، وانما في جميع الأمور لأن مدلول كلمة العبادة التي يدخل بها المسلم في الاسلام معناه الدينونة الكاملة لله في كل شأن ، بل في منهج الحياة كلها .

(٢) ان الأمر الذى استحق قوم هود - عليه السلام - الهلاك واللعنة عليه في الدنيا والآخرة هو : جحودهم بآيات ربهم وعصيان رسله واتباع أمر الجبارين من عبيده لقول الحق تبارك وتعالى : (**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**). (١)

(٣) ان توحيد الألوهية والربوبية والقوامة والحاكمية ومصدر الشريعة هو التوحيد الذى استحق أن يرسل من أجله كل هؤلاء الرسل وذلك ليس لحاجة الله له فهو سبحانه غني عن العالمين ، ولكن لتصلح حياة البشر وتستقيم وتستوى وتصبح حياة لائقة بهذا الانسان الذى كرمه الله تبارك وتعالى وميّزه عن جميع مخلوقاته .

(٤) ان الحقيقة التي كشف عنها هود عليه السلام لقومه هي حقيقة

---

(١) سورة هود آية ٥٩

العلاقة بين القيم الايمانية والقيم الواقعية العملية في حياة الناس وحقيقة اتصال طبيعة الكون بالحق الذى جاء به هذا الدين .... وهي حقيقة في حاجة الى جلاء وتصفية وتثبيت .

ودلل الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - على هذه الحقيقة بآيات كثيرة من سورتي الأنبياء والحج .[١]

(٥) ان الرجل الواحد الذى يكون معه الحق و يكون على ثقة في ربه - الذى يجد حقيقته في نفسه واضحة - يستطيع أن يواجه بكل شجاعة العتاة الجبارين بل أعتى أهل الأرض وأغناهم وأكثرهم حضارة مادية في زمانهم والذين أغدق عليهم الله من المال والنعمة والقوة والقدرة على التصنيع والتعدين الشيء الكثير فما كان موقفهم من رسوله الا العناد والاصرار والاستهتار بالوعيد والجرأة على الله .

لذا استطاع مواجهتهم وتحديهم بدون أى مبالاة بما سيفعلون . فهذا المؤمن القوى - هود عليه السلام - ينبغي أن يكون قدوة لأصحاب الدعوة في كل مكان وفي كل زمان حتى يستطيعوا أن يقفوا من أقوامهم مثل هذا الموقف العظيم الباهر ، ويومها سيتحقق وعد الله بالنصر لأوليائه .[٢]

واستنبط المؤلف رحمه الله بعض العبر الموجودة في قصة صالح عليه السلام مع قومه فذكرها في التعقيب على القصة وأوجزها في النقاط الآتية:

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٤ ص ١٩٠٣ : ١٩٠٥ بتصرف وايجاز .
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٤ ص ١٩٠٦ بتصرف وايجاز .

(١) ان الايمان لايحتاج الى الخوارق والمعجزات أنه دعوة سهلة ميسرة تستوعبها العقول والقلوب ٠

(٢) ان الرجل الصالح الراجح العقل والخلق يقف منه قومه موقفا قاسيا معاديا لأنه آتاهم بأمر يخالف ما وجدوا عليه الآباء من الدينونة لغير الله ٠

(٣) ان الرجل الصالح الذى غمر الايمان قلبه يستطيع مخاطبة قومه بكل تعقل وبكل جرأة مبينا توكله على الله وخسارته الفادحة ان عصاه وخالفه ٠

(٤) ان القلب البشرى اذا ابتعد وانحرف عن العقيدة الصحيحة توغل في ضلاله وشروده ولم تعد لديه القدرة على استيعاب أو تفهم أى منطق عقلي أو فطرى بسيط ٠

(٥) ان القضية هنا هي ذاتها قضية الرسالة الاساسية على مدار التاريخ ٠٠٠٠ قضية الألوهية ٠٠٠ القضية الدائمة التي تدور عليها معركة الاسلام مع الجاهلية في كل زمان ٠ (١)

أما ما ورد في قضية شعيب عليه السلام مع أهل مدين فهو لا يختلف عن قصص الأقوام السابقة من ناحية الدعوة الى عقيدة التوحيد ٠٠٠ بل هناك قضية أخرى هي شديدة الصلة بالعقيدة في الله تضاف اليها وهي قضية الامانة والعدالة في التعامل مع الناس ، ذلك أن أهل مدين كانوا

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ١٩٠٩ : ١٩١٠ بتصرف وايجاز ٠

ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس أشياء هم ، ويتحكمون في طرق القوافل ويفرضون ما يشاء ون من المعاملات الجائرة .

فيمكن استخلاص العبر المستفادة من قصة شعيب عليه السلام مع قومه - والتي ذكرها الاستاذ سيد قطب رحمه الله في أثناء سرده للقصة - فيما يأتي :

(١) علاقة عقيدة التوحيد والدينونة لله وحده بالأمانة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء علاقة وطيدة ، وهي في نفس الوقت ضمان لحياة انسانية أفضل ، وضمان للعدل والسلام بين الناس لأنه مستند الى الخوف من الله وهذا يحول بين تأرجحه بين المصالح والأهواء .

(٢) الشرك الذى كان يزاوله قوم شعيب - عليه السلام - هو ذاته الشرك الذى تزاوله اليوم البشرية بجملتها - أى اليهود والنصارى والمسلمون - فالجميع يفصلون بين العقيدة والشعائر وبين الشريعة والتعامل .

(٣) سلوك المصلح يؤثر أكثر من كلماته فلابد من مراعاته لكل كلمة يقولها أو كل تصرف يصدر منه حتى لايخالف فعله قوله ، وهذا ما أكده شعيب عليه السلام **(وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)**.

(٤) رغبة شعيب عليه السلام في الاصلاح العام كانت مجردة عن أى كسب شخصي أو أى فرصة غير نظيفة ، ومعلوم أن الاصلاح لوجه الله تعالى يعوض الكسب الطيب والمجتمع المتضامن المتعاون .

(٥) بيان أن أصحاب النفوس الفارغة من العقيدة السليمة والمثل الرفيعة لا يرون حرمة للعقيدة ولا للحق ولا للدعوة ، ولا يجعلون لها أى وزن أو اعتبار ، ويرون أن العشيرة وصلة الدم هي الأحق بالاعتبار في حسابهم .

(٦) بيان أن عصبية المسلم ينبغي أن تكون لربه ودينه وليست لرهطه وقومه .[1]

* ثالثا :

ماجاء به المؤلف عند تفسير قوله تعالى :

(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّٰلِحِينَ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ١٩١٧ : ١٩٢٣ بتصرف .

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ).[1]

حيث قال ما يفيد : ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من أرض قومه سأل ربه ان يمن عليه بولد صالح فاستجاب له ربه وبشره بغلام حليم[2] ، فلما كبر هذا الابن الوحيد واستطاع أن يسعى ويعمل مع والده[3] رأى الاب الشيخ في منامه ان الله يشير اليه بذبحه وأن يتولى ذلك بيده هو لأن الرؤى عند انبياء الله عليهم السلام بمثابة الوحي والامر المباشر[4] - فيدرك على الفور أنه أمر بالتضحية فما يكون منه الا القبول والرضى والطمأنينة ، نرى ذلك وهو يعرض على ابنه هذا الامر الهائل في هدوء عجيب : (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ).[5] يعرضه عليه حتى لا يأخذه على غرة ويذبحه قهرا وليمتحن ايمانه وليكون ذلك أطيب لقلبه ولينال الابن هو الآخر أجر الطاعة وليسلم ويتذوق حلاوة التسليم ولذة التطوع .

---

(١) سورة الصافات من آية / ٩٩: ١٠٧

(٢) المقصود بالغلام هو اسماعيل عليه السلام كما جاء في تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٤ وفي البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ١٥٩ .

(٣) أي بغلام ذي حلم اذا كبر : تفسير الطبري جـ ٢٣ ص ٤٨ ولان الصغير لا يوصف في طفولته بذلك : تفسير ابي السعود جـ ٤ ص ٢٧٣ .

(٤) قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ص ١٠١ ، مع الانبياء لعفيف طباره ص ١٢٤ .

(٥) سورة الصافات آية/ ١٠٢

فماذا رد الغلام على أبيه الشيخ ؟ :

(قَالَ يَـٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ)

انه يتلقى الامر لافى طاعة واستسلام فحسب ٠ ولكن فى رضى كذلك وفى يقين ، كما انه لم يأخذ الامر بطوله ولا شجاعة ولم يظهر لشخصه ظلا ولا حجما ولا وزنا ٠٠٠٠ وانما أرجع الفضل كله لله ان هو أعانه على ما يطلب اليه ، وأصبره على ما يراد به ٠

(فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ)

يالادب مع الله وبالروعة الايمان وبالنبل الطاعة ، ويا لعظمة التسليم ٠

ويمكن أن أوجز العبر التى استخلصها الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ من قصة ابراهيم عليه السلام والواردة فى سورة الصافات ـ فى النقاط التالية :

(١) لفت النظر الى مظهر الاسلام في حقيقته وأنه يتمثل في الثقة والطاعة والطمأنينة والرضى والتسليم ٠٠٠٠ والتنفيذ ٠

(٢) وذكر أن هذه القصة تفيد في معرفة كيفية الادب مع الله ، والاستعانة به فى حالة الضعف ، وارجاع الفضل له أولا وأخيرا على التضحية وعلى الطاعة ٠

(٣) ووضح أن الله لا يريد أن يعذب عباده بالا بتلاء ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء ، وأنه متى خلصوا له واستعدوا للاداء بكلياتهم فقد أدوا ، وقد حققوا التكليف ، وقد جازوا الامتحان بنجاح ٠٠٠٠ ولقد عرف الله

من ابراهيم واسماعيل صدقهما فما كان منه جل وعلا الا أن فدى هذه النفس ـ التى اسلمت وأدّه ـ بذبح عظيم ٠ [١]

(٤) وختمها بقوله : " ومضت بذلك سنة النحر في الاضحى ٠ ذكرى لهذا الحادث العظيم الذى يرتفع منارة لحقيقة الايمان ، وجمال الطاعة وعظمة التسليم ٠ والذى ترجع اليه الامة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها ابراهيم عليه السلام الذى تتبع ملته والذى ترث نسبه وعقيدته ولتدرك طبيعة العقيدة التى تقوم بها أو تقوم عليها " ٠ [٢]

كما ذكر الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ عبرا أخرى من قصة ابراهيم عليه السلام الواردة في سورة الشعراء ألخصها في النقاط الآتية :

(١) ضرورة العيش بكيانه كله معربه ، والتطلع اليه في ثقة والتوجه اليه في حب ٠

(٢) الشعور بالتقوى والادب والتحرج يجعله يشعر بقيمة نعم الله عليه العظيمة وقيمة عمل العبد وهى ضئيلة ٠

(٣) طلب اللحاق بالصالحين دلالة أكيدة على التواضع والتحرج والاشفاق من التقصير والخوف من تقلب القلوب ٠

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٥ ص ٢٩٩٥ ، ٢٩٩٦ بتصرف ٠
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٥ ص ٢٩٩٦

(٤) الشعور بهول اليوم الآخر وادراك حقيقته يجعله يستحي من ربه ويخشى الخزى أمامه .

(٥) ادراك حقيقة القيم في يوم الحساب وأنه لا تنفع المرء أي قيمة سوى قيمة اخلاص القلب كله لله وتجرده من كل شائبة ومن كل مرض ومن كل غرض .[1]

وبعد .... فهاتان حلقتان من قصة ابراهيم عليه السلام وردتا في سورتي الشعراء والصافات ، وكانتا متناسبتين مع موضوع كل سورة موافقة لاهدافها وسياقها العام ففي سورة الشعراء مثلا جاءت حلقة الرسالة الى قومه وحواره معهم حول العقيدة لان موضوع السورة هو العقيدة ملخصة في عناصرها الاساسية :

(١) توحيد الله

(٢) الخوف من الآخرة

(٣) التصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) التخويف من عاقبة التكذيب .[2]

---

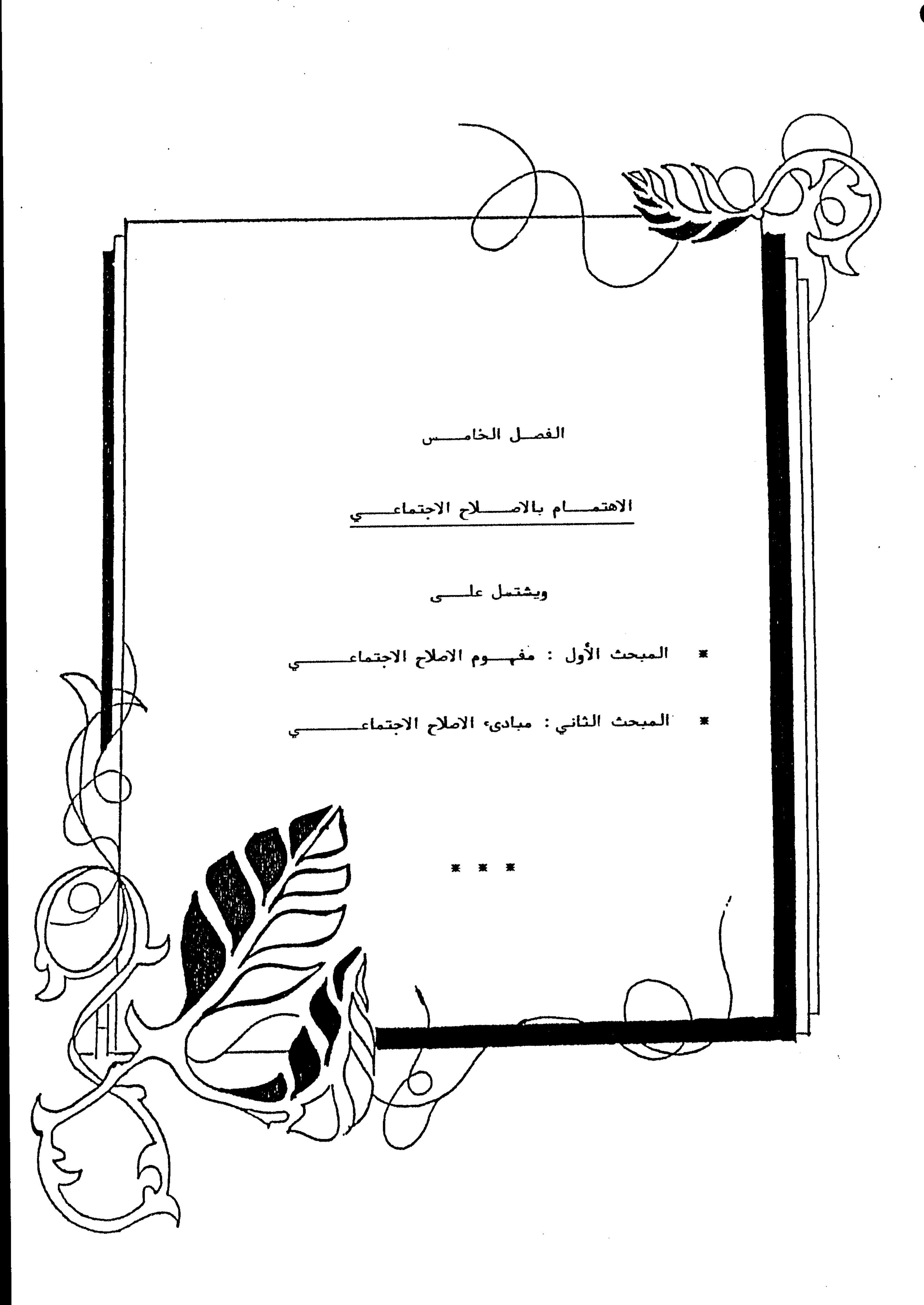
(١) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الخامس ص ٢٦٠٣ ، ٢٦٠٤ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٢٥٨٣ .

وفي سورة الصافات جاءت قصة الذبح والفداء وبرزت فيها الطاعة والاستسلام لله في أروع صورها وأرفعها ، وبلغت الذروة التي لايبلغها الا الايمان الخالص فيرفع النفوس الى ذلك الافق العالي الرفيع .... وذلك لان السورة تستهدف بناء العقيدة في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله .[1]

* * *

(١) فى ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٢٩٨٠ .



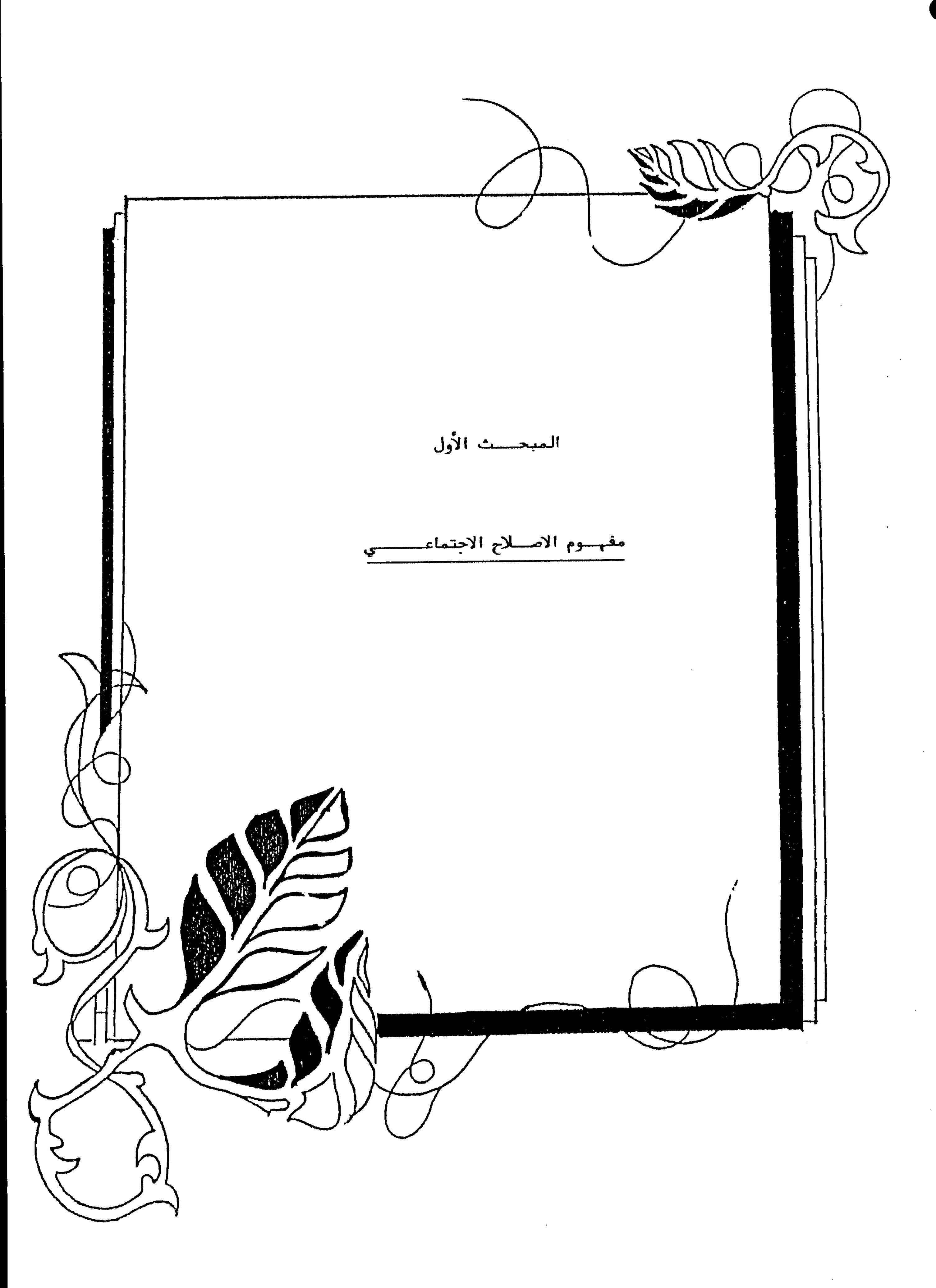
الفصل الخامس

الاهتمام بالاصلاح الاجتماعي

ويشتمل على

* المبحث الأول : مفهوم الاصلاح الاجتماعي
* المبحث الثاني : مبادىء الاصلاح الاجتماعي

* * *



المبحـــث الأول

مفهـوم الاصــلاح الاجتمـاعـــي

الفصـــل الخا مــــــس

الا هتمــام بالاصـــلاح الا جتماعـــــــي

المبحــث الأول : مفهـــوم الاصلاح الاجتماعـــي :

حتى ندرك معنى الاصلاح الاجتماعـــى نرجع ابتداء الى كتب اللغـــــة ٠

جاء في لسان العرب : الصلاح : ضد الفساد ، صلح يَصْلَحُ ويصلُـــح

صلا حـــا ً وصلوحـــا ً ٠

والاصلاح : نقيض الا فساد والصلح : السلم ،[1] وجاء في المعجم الوســـيط:

أصلح في عملــه أو أمره : أتى بما هـو صالح ، نافع ، وأصلح بينهمــــــا

أو زان بينهما أو ما بينهما من عداوة وشقاق ،

وفي التنزيل العزيز :

(وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَـــــا)[2]

والصالح المستقيم المؤ دى لواجباته ، والصلاح : الاستقامة والسلا مة مــــن

العيب والصلح : انهاء الخصومة ، والمصلحة : الصلاح والمنفعـــــــة[3]

وفي أساس البلا غـة : فلان من الصلحاء ، ومن أهل الصلاح ، وتقـــــــول

كيف لايكون من أهل الصلاح من هو من أهل صلاح وهو من أسماء مكـــــــة

شرفهـــا اللـه تعالى ٠[4]

وجمع الشيء عن تفرقـة يجمعه جمْعاً ، وجمعه وأجمعه فاجتمع ، وتجمع

---

(١) لسان العرب جـ ٢ ص ٤٦٢

(٢) سورة الحجرات آ ية / ٩

(٣) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥٢٠

(٤) أساس البلا غة للزمخشرى ص ٣٥٧ ٠

القوم : اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا والجمع اسم لجماعة الناس والجمع : المجتمعون[1]، وجاء في المعجم الوسيط :

جمع المتفرق جمعا : ضم بعضه الى بعض وجمع الله القلوب : ألّفها.

ويقال : جمع القوم لأعدائهم : حشدوا لقتالهم وفي التنزيل العزيز ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾.[2]

ويقال استجمع القوم : تجمعوا من كل صوب.[3]

عرف الاستاذ حسين رشوان المجتمع بأنه : عبارة عن سلوك "جماعة مكونة من أعضاء يخيون حياة متساندة ووسيلتهم في ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة ".[4]

وعرفه الشيخ محمد المبارك تعريفاً قريبا من هذا التعريف ومفصلا له قال فيه : المجتمع هو مجموعة من الافراد يربط بينها رابط مشترك يجعلها تعيش عيشة مشتركة وتنظم حياتها علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم ، قد يكون هذا الرابط الارض وما يقوم عليها من مصالح مشتركة كالمجتمع السويسرى - البلجيكى - الالمانى - العراقى.

وقد يكون الجنس والاهل وما يتصل به من لغة وثقافة وتاريخ ومبادىء وهو المجتمع القومى كالمجتمع العربى ، والمجتمع التركى ، والمجتمع اليابانى.

---

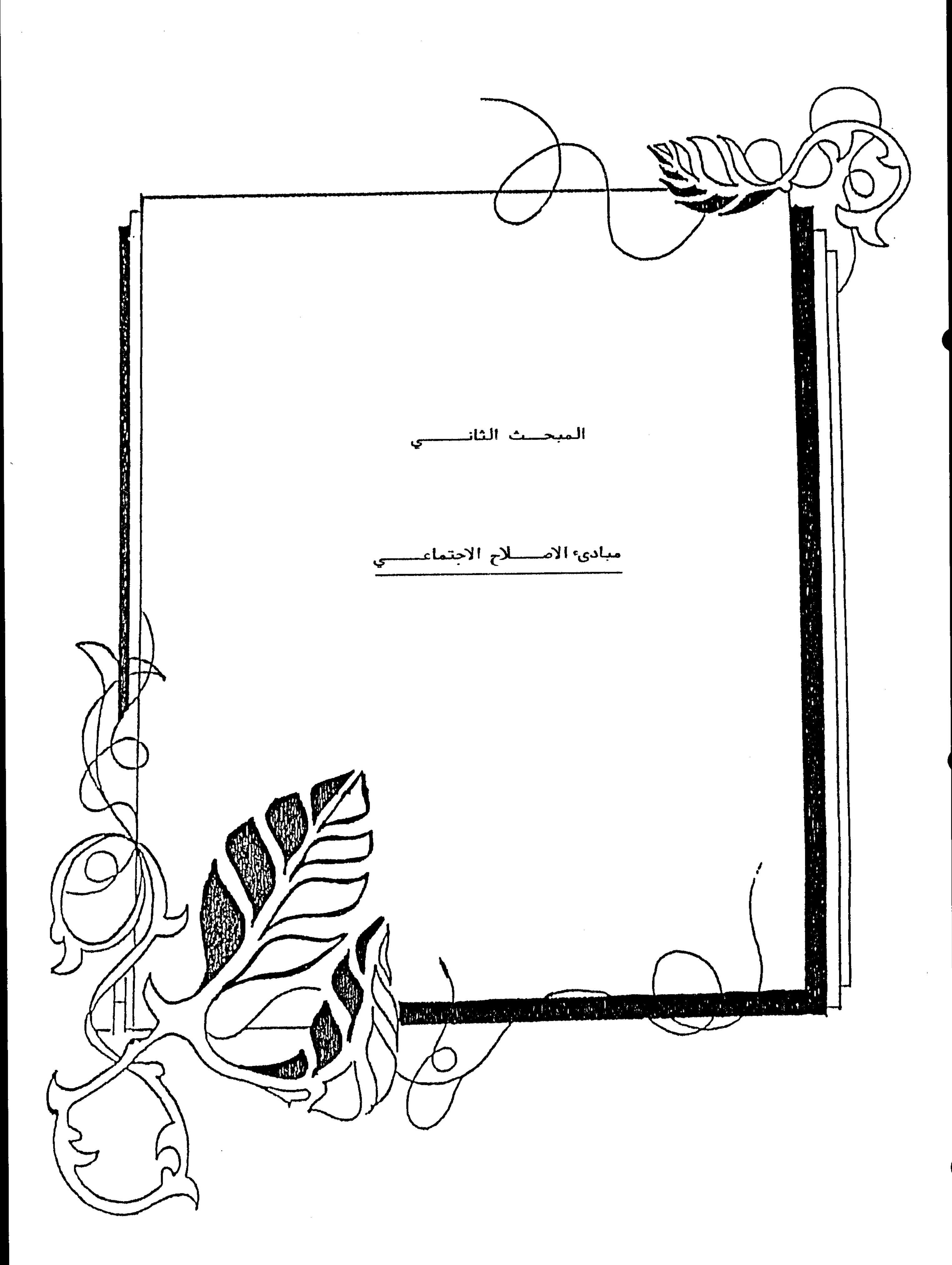
(١) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٤٩٨
(٢) سورة آل عمران آية / ١٧٣
(٣) المعجم الوسيط للدكتور ابراهيم أنيس عبد الحليم منتصر ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٥
(٤) ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى تأليف حسين عبد الحميد رشوان ص ٣ المكتب الجامعى الحديث - الاسكندرية ١٩٨٣ م.

وقد يكون الرابط المبادىء السائدة والمعتقدات المشتركة وما يتولد عنها من مشاعر وافكار وسلوك وهو المجتمع العقائدى كالمجتمع الاسلامى . [١]

اذن فمعنى الاصلاح الاجتماعى : هو أن يستقيم أمر الجماعة التى يربطها رابط مشترك من أرض أو جنس أو عقيدة وينفع بعضها بعضا باجتماعهم وتأليف قلوبهم وازالة أى خصومة أو فساد بينهم ، وهذا ما تضمنه القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن ثم ما اهتم به مؤلف الظلال على النحو الذى سأشير اليه في المباحث القادمة ان شاء الله .

* * *

(١) المجتمع الاسلامى المعاصر لمحمد المبارك ص ٧



المبحـــث الثانـــــــي

مبادىء الاصـــلاح الاجتماعـــــي

المبحث الثانـي : مبادىء الاصلاح الاجتماعي :

الا ول : القرآن الكريم :

نعلم ان القرآ ن الكريم كتاب الله الذى ختمت به الكتب السماوية أنزله الله تعالى على خاتم الا نبياء والمرسلين ليكون للعالمين نذيرا (تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَى عَبدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالمِينَ نَذِيرًا)(١) بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ) (٢)

وهو الكتاب المعجز الذى تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله فثبت به الاعجاز ، وباعجازه ثبتت الرسالة الخالدة وهو دستور الله لاصلاح الخلق وقانون الاله وهداية أهل الارض ضمنه الله تعالى كل تشريع ووضع فيه كل نهضة وجعله محققا سعادة البشر وهو حجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزته الكبرى حيث يشهد رسالته وينطق بنبوته ، ويدل على صدقه وأمانته :

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(٣)

---

(١) سورة الفرقان آ ية / ١

(٢) سورة الشعراء آ ية / ١٩٣ : ١٩٥

(٣) سورة النجم آ ية / ٢ : ٤

وهو المحفوظ الذى كتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [١]

وهو المتعبد بتلاوته دون سواه فالعباد مأجورون على ترديد ألفاظه ولو من غير فهم ، فاذا تمعنوا وفهموا كان أجرهم أكبر .

يقول تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ). [٢]

فلا شتماله على هذه الخصائص جميعها كانت الانسانية وما تزال تترسم خطاها منه وتبنى عليها في كل عصر ما يلائمها ، فكان وما يزال وسيبقى صالحا لكل زمان ومكان . هذا ولقد تضمن القرآ ن العظيم مقاصد شتى أصلحت شأن البشرية كلها [٣] اذكر منها :

* **المقصد الاول : هداية القرآن :**

وبتفرع الى ثلاثة أقسام :

الاول : كون هداية القرآ ن عامة فالقرآ ن الكريم كان وما يزال وسيبقى هداية للثقلين الجن والانس ، يصلح عقا ئدهم ويوحدها ويعرفهم بخالقهم المستحق للعبادة . هذا هو المقصد الرئيسى للقرآ ن والحقيقة الكبرى له .

---

(١) سورة الحجر آية / ٩

(٢) سورة فاطر آية / ٢٩ ـ ٣٠

(٣) مناهل العرفان جـ ٢ ص ٢٠ ، ٢٧

قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ) [١]

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [٢]

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ). [٣]

وقد أكد هذا المقصد الاستاذ سيد في الظلال ووقف أمامه طويلا يقول رحمه الله :

" فتعريف الالوهية الحقة أو بيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية ، وتعريف العبودية وحدودها التي لا تتعداها .

والوصول من هذا كله الى تعبيد الناس لالهم الحق واعترافهم بالربوبية والقوامة والحاكمية له وحده .

هذا الموضوع الرئيسي للقرآن كله . وما وراءه ان هو الا بيان لمقتضيات هذه الحقيقة الكبيرة في حياة البشر بكل جوانبها " . [٤]

ويؤكد سيد رحمه الله قائلا : " ان حياة البشر في الأرض لا تصلح ولا تستقيم الا اذا استقامت هذه الحقيقة في اعتقادهم وتصورهم وكذلك

(١) سورة الذاريات آية / ٥٦
(٢) سورة سبأ آية / ٢٨
(٣) سورة الاحقاف آية / ٢٩ : ٣٠
(٤) في ظلال القرآن ٣ : ١٧٥٣

في حياتهم وواقعهم "[١]، ثم نراه يتحدث عن الحاكمية باعتبارها أخص خصائص الالوهية - في نظره - فيقول : " إنها قضية الاقرار بألوهية الله وربوبيته وقوامته على البشر بلا شريك أو رفض هذا الاقرار . ومن هنا هي قضية كفر أو ايمان ... وجاهلية أو اسلام " . [٢]

ويذكر : " المنهج القرآني يتكيء كثيرا جدا على هذا المبدأ " الحاكمية المطلقة له لتقريره في كل مناسبة ، ولا يمل تكراره حيثما جاءت مناسبته أمام كل تشريع للصغير والكبير من الأمور ذلك أن هذا المبدأ هو العقيدة وهو الديه وهو الاسلام وليس وراءه من هذا الدين كله الا التطبيقات والتفريعات " . [٣]

كما يرى - رحمه الله - أن الحاكمية كذلك من خصائص الربوبية ... وهذا لايعنى أن يناقض سيد كلامه لان الربوبية والألوهية عنده متلازمتان يقول رحمه الله : " اله واحد ومالك واحد واذن فحاكم واحد ومتصرف واحد واذن فشريعة واحدة ومنهج واحد واذن فطاعة واتباع وحكم بما أنزل الله فهو ايمان واسلام أو معصية وخروج وحكم بغير ما أنزل الله فهو كفر وظلم وفسوق ". [٤]

---

(١) في ظلال القرآن : ٣ : ١٧٥٣

(٢) في ظلال القرآن : ٢ : ٨٨٩

(٣) في ظلال القرآن : ٣ : ١١٩٣

(٤) في ظلال القرآن : ٢ : ٨٢٨ باختصار .

الثاني : كون هدايته تامة[1] وشاملة :

وذلك لانها ضمت أرقى وأوفى ماعرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله وشملت جميع ما يحتاج اليه الخلق في العبادات والعقائد والاخلاق والمعاملات على اختلاف انواعها ونظمت علاقة الانسان بربه وبالكون الذى يعيش فيه ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد ...... نلاحظ على سبيل المثال :

(١) ربط التشريعات والاحكام بالعقيدة والايمان بالله والاخلاص له :

هذا الربط وهذا المقصد أكده الاستاذ سيد في الدرس الذى تضمن اثنى عشر حكما من أحكام الزواج والمعاشرة والايلاء والطلاق والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة من سورة البقرة - تلك الاحكام التى تنظم جوانب من العلاقات الاجتماعية وتصليحها ، وتربط كل توجيه منها أو حكم بمراقبة الله وخشيته وتقواه .

يقول رحمه الله : " ان الاحكام تجيء في جو يشعر القلب البشرى انه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الالهى للحياة البشرية .

وأصلا من أصول العقيدة التى ينبثق منها النظام الاسلامى وأن هذا الاصل موصول بالله سبحانه وتعالى مباشرة . ومن ثم فهو موصول بغضبه ورضاه وعقابه وثوابه وموصول بالعقيدة وجودا وعدما .

---

(١) مناهل العرفان جـ ٢ ص ٢٠ بتصرف .

ومنذ اللحظة الاولى يشعر الانسان بخطر هذا الامر وخطورته ويعلم أن الله يتولى بذاته جل وعلا تنظيم حياة هذا الكائن والاشراف المباشر على تنشئة الجماعة المسلمة تنشئة خاصة تحت عينه تبارك وتعالى .[١]

ثم يذكر هذه الاحكام حكماً بعد آخر موضحاً أن التعقيبات والتوجيهات المتعلقة بها مرتبط تنفيذها بتقوى الله بقلبه وحساسية ضميره .

* **الحكم الاول :** يتضمن النهى عن زواج المسلم بمشركة ، وعن تزويج المشرك من مسلمة والتعقيب بقوله تعالى :

(أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٢]

* **الحكم الثانى :** يتعلق بالنهى عن مباشرة النساء في المحيض .

والتعقيبات بقوله تعالى :

(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

وبقوله تعالى :

(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[٣]

---

(١) في ظلال القرآن ١ : ٢٣٦ باختصار .
(٢) سورة البقرة آية / ٢٢١
(٣) سورة البقرة آية / ٢٢٢ ـ ٢٢٣

* **الحكم الثالث :** حكم الايمان بصفة عامة والتعقيب بقوله تعالى

(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

وبقوله تعالى : (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (١)

* **الحكم الرابع :** حكم الايلاء والتعقيب بقوله تعالى :

(فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢)

* **الحكم الخامس :** حكم عدة المطلقة وانه لا يحل لها كتم ما فى رحمها

وذلك بقوله تعالى :

(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ

يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . (٣)

* **الحكم السادس :** عدد الطلقات ، ثم حكم استرداد شيء من المهر والنفقة

والتعقيب بقوله :

(وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا

حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) . (٤)

---

(١) سورة البقرة آية / ٢٢٤ ـ ٢٢٥

(٢) سورة البقرة آية / ٢٢٦ ـ ٢٢٧

(٣) سورة البقرة آية / ٢٢٨

(٤) سورة البقرة آية / ٢٢٩

* **الحكم السابع :** حكم الامساك بمعروف أو التسريح باحسان بعد الطلاق والتعقيب بقوله تعالى :

(ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1]

* **الحكم الثامن :** حكم الرضاعة والاسترضاع والاجر والتعقيب بقوله تعالى :

(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [2]

* **الحكم التاسع :** حكم عدة المتوفى عنها زوجها والتعقيب بقوله تعالى :

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .[3]

* **الحكم العاشر :** حكم التعريض بخطبة النساء في أثناء العدة والتعقيب بقوله تعالى :

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [4]

* **الحكم الحادى عشر :** حكم المطلقة قبل الدخول في حالة فرض المهر أو عدمه والتعقيب بقوله تعالى :

(وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .[5]

---

(١) سورة البقرة آية / ٢٣٢ .
(٢) سورة البقرة آية / ٢٣٣
(٣) سورة البقرة آية / ٢٣٤
(٤) سورة البقرة آية /٢٣٥
(٥) سورة البقرة آية / ٢٣٧

* **الحكم الثاني عشر** : حكم المتعة للمتوفى عنها زوجها وللمطلقة والتعقيب بقوله تعالى : (١)

(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (٢)

والتعقيب العام على هذه الاحكام بقوله تعالى :

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٣)

(٢) احتياج الانسان الى عبادة تجعل نفسه سخية يحقّر اليها الشح والامساك العالق بها كعبادة الزكاة مثلاً لننظر الى قوله تعالى :

(وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (٤)

سنرى ان القرآن الكريم يوجه الانسان ويرشده الى ما يصلح معه حاله ويجعل صلة المودة قائمة بينه وبين من يعطيه الرزق أصلا ، ويجعلها صلة دائمة لانه يؤدى ماعليه لله ويمتثل أوامره بايتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل ، ويبين له أن المبذرين المنفقين أموالهم في الباطل وفى الشر وفي المعصية هم رفقاء الشياطين (وكان الشيطان لربه كفورا) لانه لايؤدى حق النعمة ، فاذا لم يجد الشخص ما يؤدى به حق الضعفاء ... عليه أن يرجيهم الخير ويقول لهم قولا لينا ميسورا ففي القول الميسور عوض وأمل وتجمل . (٥)

---

(١) هذه الاحكام موجودة في ظلال القرآن م ١ ص ٣٢٧ و أيضا في كتاب المنهج الحركي للدكتور الخالدى ص ٦٣ : ٦٥

(٢) سورة البقرة آية / ٢٤١

(٣) سورة البقرة آية / ٢٤٢

(٤) سورة الاسراء آية / ٢٦ - ٢٧

(٥) في ظلال القرآن : جـ ٤ : ٢٢٢٢ بتصرف

بل يبين القرآن الكريم أن الانفاق في سبيل الله واسداء العون للغير لايسعد به الضعفاء فقط بل ترتد نتيجته الى البازلين أنفسهم حيث يزداد رصيدهم عند الله ويبعد الحقد والحسد عنهم .

قال تعالى : (هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم)[1]

ويقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله معلقا على هذه الآية فما يبذله الناس ان هو الا رصيد لهم مذخور ، يجدونه يوم يحتاجون الى رصيد يوم يحشرون مجردين من كل ما يملكون ، فاذا بخلوا بالبذل فانما يبخلون على أنفسهم ويقللون من رصيدهم ويستخسرون المال في ذواتهم واشخاصهم ..... أجل فالله لايطلب اليهم البذل الا وهو يريد لهم الخير ويريد لهم الكنز والذخر وما يناله شيء مما يبذلون وما هو في حاجة الى ما ينفقون : (والله غني وأنتم الفقراء) فعلاً فأنتم الفقراء في الدارين وفي الحالين ، ففي الدنيا الى رزقه ، وفي الآخرة الى أجره وكرمه وفضله .[2]

ويحث القرآن العظيم على الصدقات باختلاف أصنافها من زكاة أو هبة أو نفقة ، ويبين في مواطن كثيرة أن البذل اذا كان عن اخلاص لله تعالى ورحمة بالضعفاء فهو يغسل الذنوب ويمحو الخطايا ويضاعف

---

(١) سورة محمد آية / ٣٨

(٢) انظر في ظلال القرآن : ٦/ ٣٣٠٣ .

من الاجـر قال جل شأنه :

(إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1]

وقال تعالى : (إِن تُقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) . [2]

* **فالقول الاول :**

يوضح ان اخفاء الصدقة حين تكون تطوعا أولى وأحب الى الله وأبعد عن الرياء ، أما حين تكون اداء للفريضة (الزكاة) فان اظهارها فيه معنى الطاعة وظهور هذا المعنى فيه خير وفي الحالتين - الاخفاء والاظهار - يكفر المولى عز وجل بها من السيئآت ماشاء وفي هذا تشجيع وحث للمؤمنين على الانفاق في سبيل الله .

* **القول الثاني :**

يعتبر القرآن أن ما ينفقه المؤمن من زكاة أو صدقة بمثابة قرض لله تبارك وتعالى واستغنى عن أموال عباده التى هى في الحقيقة والاصل من رزق الله

---

(١) سورة البقرة آية / ٢٧١

(٢) سورة التغابن آية / ١٧

فما أعظمه جل شأنه وما أكرمه يرزق عباده ويعطيهم ثم يسألهم فضل أموالهم[1] ويعتبره قرضا ، وحتى يحبب اليهم هذا الامر يذكر (يضاعفه لكم) مكان الواحد عشرة الى سبعين الى سبعمائة ضعف أكثر مما يشاء من التضعيف[2] ، وفوق هذا الجزاء مثوبة أخرى " ويغفر لكم" فالمولى عز وجل فوقها يشكر لاهل الانفاق بحسن الجزاء لهم وبامتثالهم أمره ، ويحلم عن معاملتهم بالعقوبة اذا قصروا في ذلك الامر أو تقاعسوا .[3]

* **الثالث : كون هداية القرآن واضحة جلية :**

حيث جاءت في اسلوب فذ معجز مؤثر واستدلال بسيط عميق وبأمثال تخرج أدق المعقولات في صورة أجلى الملموسات وحكم بالذات تبهر الالباب ، وقصص حكم يقوى الايمان ويهذب النفوس ، وتصوير رائع لمستقبل الابرار والفجار يجعله كأنما تراه الابصار شديد الوضوح . وهذا كله لاجل تربية الافراد المسلمين واعدادهم الاعداد السليم القويم وبالتالى تنشئة الامة المسلمة الفريدة المستقيمة في كل شيء في أفكارها ومناهج حياتها واهتماماتها وأهدافها .

---

(١) في ظلال القرآن : ٦ : ٣٥٩١
(٢) جامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٨٣
(٣) تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٧٧

فأى مؤ من يتدبر قصص القرآن بشكل عام لابد أن يكون له تأثيره في نفسه واصلاح في حاله وهداية لضميره وبالتالي طريقه . نلاحظ مثلا قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام في بحثه عن الاله الواحد الذى يملك الكون بأمره واهتدائه لرب العالمين ، قال الله تعالى :

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الْأَفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (١)

ويزيد الاستاذ سيد قطب توضيح هذه الآيات - رغم وضوحها - بقوله ان الصلة بين الفطرة والهها هى صلة الحب والآصرة هى آصرة القلب ، وفطرة ابراهيم عليه السلام لاتحب الآفلين ، والرب الذى يعرفه ابراهيم بفطرته وقلبه لا يغيب لانه لو غاب فمن ذا الذى

---

(١) سورة الانعام آية / ٧٦ : ٧٩

يرعى هذه الخلائق ويدبـر أمرهـا ، اذن لا يصلح الكوكب أو القمـر
أن يأون ربـا .

وكذلك الشمس فمع أنهـا أضخم الاجرام المنظورة وأشدهـا ضوءا وحرارة ،
وأكثرهـا نفعـا الا أنهـا تغيب ايضا .

اذن الرب لايكون في كوكـب يلمع ، ولا قمـر يطلع ، ولا شمس تسطـع
انه موجـود في قلبـه وفطرتـه وفي عقلـه ووعيـه ، انه خالـق لكـل
ما تراه العيـن ويحسه الحس ويدركـه العقل .[1]

* * *

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف : ٢: ١١٤٠ ، ١١٤١

المقصد الثاني : اعجاز القرآن :

ويتفرع هذا المقصد الى فرعين :

(١) ان يكون هذا القرآن آية لتأييد النبي صلى الله عليه وسلم تشهد[١] برسالته وتبين مكانته ومنزلته ، وكذلك توصي باتباعه وطاعته .

* قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [٢]

* وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [٣]

* وقال ايضا : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [٤]

* وقال جل شأنه : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .[٥]

فهذه الآيات جميعها قصدت بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنزلته وشهدت برسالته ، وقد بين ذلك الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - فقال : " ان هذه الآية / انا أرسلناك بالحق " فيها من التثبيت

---

(١) مناهل العرفان جـ ٢ ص ٢٤ بتصرف .
(٢) سورة البقرة آية / ١١٩
(٣) سورة التوبة آية / ٣٣
(٤) سورة الاحزاب آية / ٤٥ : ٤٦
(٥) سورة الاحزاب آية / ٤٠

مايقضى على شبهات المضللين ومحاولات الكائدين ، وفيها بيان أن وظيفته صلى الله عليه وسلم التبليغ وأداء الرسالة وتبشير الطائعين وانذار العصاة .[١]

وقال ايضا : " فوظيفة النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون (شاهدا) عليهم شهادة ثابتة بالحق لا تغير فيها ، وأن يكون (مبشرا) لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران وفضل وتكريم ، وأن يكون (نذيرا) للغافلين فلا يؤخذوا على غرة ولا يعذبوا الا بعد انذار (وداعيا الى الله) لا لدنيا ولا لمجد ولا لعصبية ولا لمغنم ولا لسلطان ولا غيره وهذا كله باذن الله له ، وأن يكون سراجا منيرا يجلو الظلمات ويكشف الشبهات وينير الطريق " .[٢]

وبالنسبة للآيات القرآنية التي أوصت باتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته وعدم مخالفة أمره وشاقته فهى آيات كثيرة اذكر منها :

* قوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[٣]
* وقوله تعالى : (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا).[٤]
* وقوله تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[١٠]

م ١ ص ١٠٧

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ١٠٧
(٢) في ظلال القرآن ٥ : ٢٨٧٢ بايجاز
(٣) سورة آل عمران : ١٣٢
(٤) سورة النساء آية / ٨٠
(٥) سورة النساء آية / ١١٥

ويعقب الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ على هذه الآيات بقوله : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرسل ليجبر أي شخص على الهدى ويكرهه على الدين وليس موكلا بحفظه من العصيان والضلال ووظيفته الا ولى والاخيرة أنه رسول لا ينشيء ولا يحدث ولا يخلق ، وانما يبلغ ماجاء به من عند الله فطاعته فيما يأمر به وهى طاعة وليس هناك طريق آخر لطاعة الله غيرطاعة الرسول ، [(١)]

ويقول في موضع آخر : " الرسول صلى الله عليه وسلم جاء يحمل من عند الله منهجا كاملا للحياة ويشتمل على العقيدة والشعائر التعبدية ، والذى يشاق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كل من ينكر منهجه جملة ، أو يؤ من ببعض ويكفر ببعض فيأخذ بشق منه ويطرح شقا .

واذا تبين للشخص الهدى وعلم منهج الله ثم شاق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه فعندئذ يكتب الله عليه الضلال و يلحقه بالكفار والمشركين الذين توجه اليهم ، ويحق عليه العذاب المذكور في الآية :[(٢)] (وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) [(٣)]

---

(١) في ظلال القرآن ٢: ٧١٩ بايجاز

(٢) في ظلال القرآن ٢: ٢٧٥٩

(٣) سورة النساء آية / ١١٥

(٢) تنطق بالهدى ودين الحق ظاهرا. على الدين كله الى قيام الساعة
(قل لـن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١) .
ان يكون هذا القرآن الذى أتى به خاتم المرسلين معجزة خالدة.
هذه المعجزة الباقية نراها دائما تقدم للبشرية مايصلحها من
عقيدة صحيحة ترفع همة العبد وعبادة قويمة تظهر نفس الانسان ،واخلاق
فاضلة عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض وأحكام شخصية
ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد وتضمن له
حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة .
يقول مؤلف الظلال رحمه الله : (فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات
يحاول الانس والجن أن يحاكوها انما هو كسائر مايبدعه الله يعجز
المخلوقون ان يصنعوه ... ،ان اعجاز القرآن أبعد مدى من اعجاز نظمه
ومعانيه ،وعجز الانس والجن عن الاتيان بمثله هو عجز كذلك عن ابداع
منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به)(٢) .

ووجوه اعجاز القرآن كثيرة تحاج كل مكذب وتتحدى كل منكر وتدعوا
أمم العالم الى مافيه من هداية واصلاح وسعادة لبنى الانسان ولسنا
هنا بصدد ذكرها وانما اذكر على سبيل المثال وجها
واحدا منها :
ان سياسته في الاصلاح كانت وافية بكل احتياجات البشر ممايدل على
أنه من المستحيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أوغيره -
وهو الرجل الأمى أن يأتى به من عند نفسه وهذا الوجه من أوجه
اعجاز القرآن كانت له أساليب وطرق شتى اكتفى
بذكر شيء منها :

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٨
(٢) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٢٥٠

(١) تكرار مايستحق التكرار من الامور المهمة حتى يجد سبيله الى النفوس النافرة والطباع العصية فتسلس له القيادة ،وتلقى اليه السلم ،مثال ذلك تقرير القرآن لعقيدة التوحيد واستصاله لشأفة الشرك بوساطة الحديث عنهما تكرارا ومرارا: تارة يصرح وتارة يلوح . وتارة يوجز وأخرى يطنب ،وتارة يذكر العقيدة مرسلة وأخرى يذكرها مدللة ،وتارة يشفعها بدليل واحد ،وأخرى بجملة أدلة وتارة يضرب لها الامثال وأخرى يسوق فيها القصص وتارة يقرنها بالوعد وأخرى بالوعيد [١] .

(٢) استغلاله الغرائز النفسية استغلالا صالحا بعد أن يهذبها بالدليل وصقلها بالبرهان ،فغريزة التقليد والمحاكاة مثلا قد نأى بها القرآن عن اتباع الامثلة السيئة من الجهلة والفسقة :

(واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان ءاباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون) [٢] .

يقول مؤلف الظلال رحمه الله: (اذا كان هؤلاء الذين تعنيهم الآية هم المشركون أو هم اليهود فالآية تندد بتلقى شيء في أمر العقيدة من غيرالله ،وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا أدراك) [٣] .

فالقرآن نأى بها عن اتباع الامثلة السيئة للجهلة وذهب بها الى مقام أمين من وجوب اتباع الامثلة الطيبة والتأسي بمن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [٤] .

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني جـ ٢ ص ٢٥٨

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠

(٣) في ظلال القرآن م ١ ص ١٥٥ باختصار .

(٤) سورة الاحزاب آية ٢١ .

(أولئك الذين هدى الله فبهدٰهم اقتده قل لااسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعٰلمين)[(١)] .

وكذلك غريزة حب البقاء والعلو في الانسان وارتباطه بما يشده الى هذه الارض من مال أو بنين صحة أوغيره قد نأى بها القرآن أيضا عن الظلم والبغى :

(المال والبنون زينة الحيٰوة الدنيا والبٰقيٰت الصٰلحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)[(٢)] .

يقول مؤلف الظلال رحمه الله :(انهما زينة ولكنهما ليسا قيمة، فلا يجوز أن يوزن بهما الناس ولابد أن يقدوا على أساسهما في الحياة .... واذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فان الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا عندما تتعلق بها القلوب ويناط بها الرجاء ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء)[(٣)] .

فالقرآن نأى بها عن الظلم والبغي وذهب بها الى حيث الدفاع عن النفس والعرض والدين والوطن وقاد بها عباد الله الى الحق والخير ،اذ وعدهم حياة ثانية فيها الخلود والبقاء والنعيم الدائم.

(مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهر أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين أتقوا وعقبى الكٰفرين النار)[(٤)] .

* وقال سبحانه : (زين للناس حب الشهوت من النساءوالبنين والقنطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المئاب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنت تجرى من تحتها الأنهرخلدين فيها

---

(١) سورة الانعام آية / ٩٠
(٢) سورة الكهف آية / ٤٦
(٣) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٢٧٢ .
(٤) سورة الرعد آية / ٣٥

وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [1]

وفي تلك الحياة الباقية الملك الواسع والاستعلاء العادل

(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) [2]

* * *

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٤ : ١٥

(٢) سورة الانسان آية / ٢٠

المقصد الثالث : التعبد بتلاوته :

فالله يتعبد خلقه بتلاوة هذا الكلام المقدس ويقربهم اليه ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ولو من غير فهم ،فاذا ضموا الى التلاوة فهما زادوا أجرا على أجر (١) .

* قال تعالى :

(ان الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقنهم سرا وعلانية يرجون تجرة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور) (٢) .

يقول مؤلف الظلال رحمه الله : (وتلاوة كتاب الله لاتعنى المرور على كلماته بصوت حسن أو بغير صوت فقط وانما تعنى تلاوته - وليست مجرد قراءة - عن تدبر وتفكر وتأمل وبالتالى ادراكه والتأثر به ومن ثم العمل والسلوك الحسن ،ويتبع هذه التلاوة اقامة الصلاة والانفاق من رزق الله سرا وعلانية ثم الرجاء بكل هذا (تجارة لن تبور) لانهم يعرفون أنهم يتعاملون مع الله وحده وهى أربح معاملة وأربح تجارة .. تجارة توفيهم أجورهم وتزيدهم من فضل الله وكرمه (انه غفور شكور) .) (٣) .

---

(١) مناهل العرفان : ج ٢ ص ٢٥ بتصرف
(٢) سورة فاطر آية ٢٩ : ٣٠
(٣) في ظلال القرآن م ٥ ص ٢٩٤٣ بتصرف

المقصد الرابع : بيان حقيقة الدنيا :

والله يبين للعباد في القرآن الكريم حقيقة الحياة الدنيا وقيمتها بالنسبة الى الآخرة دار الخلود ونصوص ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

(وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .(١)

* وقوله تعالى :

(سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).(٢)

هذا المقصد أكد عليه الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ فعن الآية السابقة نراه يقول : " والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي ، وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمرا عظيما هائلا ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئا(٣) زهيدا تافها : لعب ولهو . وزينة وتفاخر . وتكاثر .... هذه هي الحقيقة .

* * *

(١) سورة العنكبوت آية / ٦٤
(٢) سورة الحديد آية / ٢٠
(٣) في ظلال القرآن : ٦ : ٣٤٩١ .

الثاني : السنة النبوية الشريفة :

لما كان القرآن الكريم محتويا على الاصول غير متضمن لجميع التفاصيل فيه من الاجمال الشيء الكثير فوض الله سبحانة وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بيانه بقوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

فامتثل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الامر فكان المبين عن الله والرحمة المهداة فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم للكتاب وأسوته الحسنة هما السنة ذاتها ذلك أن تعريف السنة : هو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ". (٢)

فما يذكره قولا - صلى الله عليه وسلم - من بيان للقرآن العظيم هو مأمور به :

(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٣)

وما يفعله امتثالا هو مأمور به أيضا ليعلم الناس أحكام دينهم :

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). (٤)

---

(١) سورة النحل آية / ٤٤

(٢) السنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي ص ٤٧ والسنة قبل التدوين ص ١٦ .

(٣) سورة النحل آية / ٦٤

(٤) سورة آل عمران آية / ١٦٤

يقول الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ ما معناه في هذه الآية " ان المولى الجليل يخاطب الناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بكلماته العظيمة ويحدثهم عن ذاته الجليلة وصفاته الكريمة ، ‥ يخاطبهم ليدعوهم لما يحييهم ‥‥ وليرشدهم الى ما يصلح قلوبهم وأحوالهم وفي نفس الوقت يزكيهم وينقهم ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم من أرجاس الشرك الوثنية والخرافة والاسطورة وما تبثه في الحياة من شعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالانسان وبمعنى انسانيته يطهرهم وينقيهم مما تلوثت به مشاعرهم وتقاليدهم وقيمهم ومفاهيمهم ‥‥‥ (١)

ويقول الدكتور زاهر الالمعي في هذه الآية أيضا :" وذهب جمهور العلماء الى أن الحكمة هنا شيء آخر غير القرآن وهى ما اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أسرار دينه وأحكام شريعته ، ويعبر عنها العلماء بالسنة (٢)" وهذا تفسير وجيه لان الله تعالى عطفها على الكتاب والعطف يقتضى المغايرة ، لانها في معرض المنة من الله علينا بتعليمنا اياها ولايمن الا بما هو حق وصواب فتكون الحكمة واجبة

---

(١) في ظلال القرآن ١ : ٧٥ بتصرف ، ونفس المقر في ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٤ ٠

(٢) انظر الرسالة للامام الشافعي تحقيق احمد شاكر ص ٧٨ وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٨٤ ، ٤٢٤ ، والقرطبي جـ ١ ص ٥١٦ ٠

الاتباع كالقرآن ، ولم يوجب علينا الا اتباع القرآن والرسول ، فتعين أن تكون الحكمة هى ما صدر عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم من أفعال أو أقوال وتقريرات في معرض التشريع .[١]

واذكر في هذه المناسبة مقالة طيبة للاستاذ سيد قطب - رحمه الله - في مفاضلته بين الرسالات عند تفسيره لقوله تعالى :

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)[٢] الآية

يقول منها ما معناه : " مضت الرسالات واحدة تلو الاخرى تأخذ بيد البشرية وتصعد بها في الطريق على هدى وعلى نور ولكن البشرية كانت تشرد من هنا وهناك وتحيد عن المنهج ، وتبحث عن رائد جديد .... وفي كل مرة تتكشف لها الحقيقة الواحدة في صور مترقية تناسب تجاربها المتجددة .... حتى جاءت الرسالة الاخيرة وأشرق بها عهد الرشد العقلى فالمولى عز وجل خالق البشر قد علم أن هذه الرسالة الاخيرة وما ينبثق عنها من منهج للحياة شامل هى خير ما يكفل للحياة النمو والتجدد والانطلاق .[٣]

والاستاذ سيد - رحمه الله - يقصد هنا كما نعلم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم المعلم الناجح والحاكم العادل والقائد العظيم ، وهكذا

---

(١) دراسات في التفسير الموضوعى للدكتور زاهر الالمعى : ص ٣١٠ .
(٢) سورة البقرة آية / ٢٥٣
(٣) في ظلال القرآن بتصرف جـ ١ ص ٢٨١ : ٢٨٣

كان طيلة حياته جزاه الله عنا خير الجزاء فكل ما يتعلق بالامة الاسلامية في جميع أمورها صغيرها وكبيرها وما يخص جميع الافراد في مختلف مجالات الحياة مما لم يرد في القرآن فهو من السنة النبوية الشريفة القولية أو الفعلية أو التقريرية .

هذه السنة ينوه بذكرها الاستاذ سيد - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [(١)]

فيقول : " والله قد سن شريعة أودعها قرآنه وأرسل بها رسولا يبينها للناس ولا ينطق عن الهوى ، فسنته صلى الله عليه وسلم من ثم شريعة من شريعة الله وجزء واجب النفاذ والايمان يتعلق بهذه الطاعة وهذا التنفيذ [(٢)] حقا ان الايمان يتعلق بهذه الطاعة لان رب العزة والجلال قد أمرنا بطاعته صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة فقال تعالى :

(قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ) [(٣)]

---

(١) سورة النساء آية / ٥٩

(٢) في ظلال القرآن المجلد الثاني ص ٦٩٠

(٣) سورة آل عمران آية / ٣٢

(فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ)(١)

(وَمَن لَّم يُؤمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعتَدنَا لِلكَٰفِرِينَ سَعِيرًا)(٢)

* ونهانا أيضا عن مخالفته فقال عز وجل :

(وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُم عَنهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)(٣)

* وقوله تعالى أيضا :

(فَليَحذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَن أَمرِهِ أَن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أَو يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ) .(٤)

* وقوله تعالى ايضا :

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِم حَرَجًا مِّمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيمًا) .(٥)

بل يكفى السنة فخرا - والمتمثلة في أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وتقريراته - أن يجعلها رب العزة والجلال طريقا للوصول اليه لمن

---

(١) سورة التغابن آية / ٨
(٢) سورة الفتح آية / ١٣
(٣) سورة الحشر آية / ٧
(٤) سورة النور آية / ٦٣
(٥) سورة النساء آية / ٦٥

أراد غفرانه وأراد جنته .

* قال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١)

* وقال تعالى : (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا). (٢)

* وقال جل شأنه : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) . (٣)

ولقد حث المصطفى نفسه صلى الله عليه وسلم وجوب العمل بسنته خاصة بعد وفاته في احاديث كثيرة اذكر منها :

(١) ما أخرجه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى ، قالوا : يارسول الله ومن يأبى؟؟ قال : " من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" . (٤)

(٢) ماذكره أبو داود في سننه عنه صلى الله عليه وسلم قال : " **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا**

---

(١) سورة آل عمران آية / ٣١
(٢) سورة النساء آية / ٨٠
(٣) سورة الاحزاب آية / ٢١

(٤) رواه البخاري في كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم جـ ٨ ص ١٧٧ وجـ ١٣ ص ٢١٤ من فتح الباري .

عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " .[(١)]

(٣) ما رواه البخارى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " دعوني ما تركتكم فانما أَهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافُهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ".[(٢)]

والمولى عز وجل انما جعل السنة الشريفة المتمثلة - كما قلت سابقا - في أقوال النبي وأفعاله وتقريراته طريقا لغفرانه ولنيل جنته لانه حينما أرسل برسالة عاليمة خالدة واصطفاه لها أدى الرسالة كما ينبغي لجلال وجهه ، ولا تصاف هذا النبي الانسان بصفات جليلة عظيمة تليق بأصلح مرب وأحكم قائد .... هذه الصفات أثنى عليها تبارك وتعالى في محكم آياته بقوله جل شأنه :

(فَبِمَا رَحمةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضُّوا مِن حَولِكَ) .[(٣)]

وذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - كلاما طيبا في هذه الآية حيث قال : " فهى رحمة الله التى نالته ونالتهم فجعلته صلى الله عليه وسلم رحيما بهم لينا معهم ولو كان فظا ما تجمعت حوله القلوب

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ، جـ ٥ ، ص ١٣ ، ١٤ ، ورواه الترمذى في كتاب أبواب العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، جـ ٤ ، ص ١٥٠ ، وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى في كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم جـ ١٣ ، ص ٢٢٠ من فتح البارى .

(٣) سورة آل عمران ، آية / ١٥٩ .

والمشاعر والناس عموما ودائما في حاجة الى قائد حكيم عطوف ذى قلب كبير يعطهم ولا يحتاج منهم الى عطاء ، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا ، وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم وقلبه للناس حيث وسعهم بره وحلمه وعطفه ووده الكريم ٠ (١)

هذا الرسول الكريم المتصف بأفضل السجايا وأكمل الاخلاق والذى نعته رب العزة بقوله تعالى :

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢) والذى نعته أمره أن يبين الكتاب للناس وأرسله هدى ورحمة للمؤ منين ٠ هذا الرسول ينبغى اتباعه بل تجب طاعته دون أى جدال أو نقاش لاننا نعلم أن الايمان يتعلق بهذه الطاعة وأن أى أمر من الامور الدينية أو الدنيوية لا يصلح ولايكمل الا ببيان المصطفى صلى الله عليه وسلم وارشاداته وتوجيهاته وأحكامه فمثلا :

* **في مجال العبادات :**

نرى ان القرآ ن الكريم لم يبين عدد ركعات الصلاة ولا هيئتها ولا أوقاتها ولا شروطها حينما أمر باقامة الصلاة ، وانما فعلها النبى صلى الله

---

(١) فى ظلال القرآ ن جـ ١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١ بايجاز ٠
(٢) سورة القلم آ ية / ٤

عليه وسلم وأداها أمام الصحابة رضوان الله عليهم وقال " صلو كما رأيتموني أصلى " (١)

ونظرا لجهل بعض الاعراب بقدسية المساجد التى تؤدى فيها الصلوات - وظهارتها فقد دخل اعرابى المسجد - النبوى - فبال فيه فتناوله الناس - أى أنبوه وزجروه عن فعله ذاك - بين لهم النبى صلى الله عليه وسلم كيفية تعليم الجهلة أمور دينهم باسلوب ميسر لا تشديد فيه ولا تعقيد حيث قال : " دعوه وهريقوا على بوله سجلا(٢) من ماء أو ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " . (٣)

وأيضا بين لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم - وهو الاب الرحيم والمعلم الحليم - عدم جواز استقبال القبلة الا بكل طهارة فقال : " انما انا لكم مثل الوالد أعلمكم فاذا أتى احدكم الخلاء فلا تستقبلوها - أى القبلة - ولا تستدبروها " . (٤) لان القبلة جعلت مركزا مقدسا يتحد عنده توجيهنا الى ربنا عند صلاتنا - وعند دعواتنا - والى

---

(١) رواه البخارى كتاب الاذان باب الاذان للمسافرين جـ ٢ ص ٩٣ من فتح البارى .
(٢) السحل أو الذنوب هى الدلو الملآى بالماء ، ولايقال لها ذلك وهى فارغة فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر جـ ١ ص ٢٧٩ .
(٣) رواه البخارى كتاب الوضوء باب ترك النبي والناس الاعرابى حتى فرغ من بوله جـ ١ ص ٢٧٩ . من فتح البارى .
(٤) مسند احمد جـ ٢ ص ٢٥٠ ونحوه في البخارى في كتاب الصلاة باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق جـ ١ ص ٤١٨ من فتح البارى .

ذلك يشير الاستاذ سيد - رحمه الله - حيث يقول : " ان الصلاة لقاء مع الله ، ووقوف بين يديه - سبحانه وتعالى - ودعاء مرفوع اليه ونجوى وأسرار فلابد لهذا الموقف من استعداد ، ولابد من تطهر جسدي، يصاحبه تهيئؤ روحي " .[1]

كما يقول : " قبلة واحدة تجمع هذه الامة وتوحدها على اختلاف مواطنها وأجناسها وألسنتها وألوانها فتحس الامة في مشارق الارض ومغاربها أنها جسم واحد وتتجه الى هدف واحد ، وتسعى لتحقيق منهج ينبثق من كونها جميعا تعبد ألها واحدا ".[2]

وكذلك الامر بالنسبة للصوم حيث وضح صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بهذه الفريضة مما لم يرد ذكره في القرآن الكريم لقوله عليه الصلاة والسلام : " اذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه "[3]

وقوله عليه الصلاة والسلام : " من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا "[4] كما أنه صلى الله عليه وسلم بين مقادير الزكاة وأوقاتها وأنواعها ووضح مناسك الحج

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢ ص ٨٤٩ .

(٢) في ظلال القرآن جـ ١ ص ١٣٤ باختصار .

(٣) رواه البخاري في كتاب الصيام باب الصائم اذا أكل أو شرب ناسيا جـ ٤ ص ١٣٥ من فتح الباري والترمذي في كتاب الصوم باب ماجاء في الصائم يأكل ويشرب ناسيا جـ ٢ ص ١١٢ .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في فضل من فطر صائما جـ ٢ ص ١٥١ ، وقال فيه : حديث حسن صحيح .

وشعائره وكل ما يتعلق بتلك العبادات وغيرها ولولا ذلك البيان وذلك الايضاح ما استقام ولا صلح ولا تكامل ايمان أحد من البشر فجزاه الله عنا خير الجزاء ٠

* **اما في مجال المعاملات:**

فكان لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فضل كبير في بيانها واصلاحها وتقويمها سواء كان في معاملة المسلم لاخيه المسلم - في النسب أو في الدين - أو معاملة المؤ من لابويه ، أو معاملة المرأة لزوجها أو بالعكس أو معاملة التاجر للمشترى أو الحاكم للمحكوم أو بالعكس أو الفرد الواحد للجماعة أو الجار لجاره أو غير ذلك من المعاملات مادية كانت أو أحوالا شخصية ، وأمثلة ذلك كثيرا جدا وعديدة ومتنوعة أذكر منها الاحاديث التالية :

يقول صلى الله عليه وسلم : " من نفس عن مؤ من كربة من كرب[1] الدنيا نفس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة ". ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ٠ والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه ٠ ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله

(١) وهي الشدائد العظيمة وليس كل أحد يحصل له ذلك في الدنيا فادخر الله ثوابها ليوم القيامة ولان الكرب في الدنيا كلا شيء بالنسبة الى كرب يوم القيامة : جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣١٩ ٠

له طريقا الى الجنة " . (١)

هذا الحديث الشريف كما نرى حديث عظيم يجمع من العلوم والاداب الاجتماعية الاسلامية الشيء الكثير ففيه فضل تنفيس الكرب وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يستطيع من علم أو مال أو معاونة أو نصيحة وغير ذلك وفيه جزاء ستر المسلم وفضل المشى الى العلم وفضل انظار المعسر وهذا الفضل الاخير أشار اليه مؤلف الظلال بقوله :

" ان المعسر في الاسلام - لا يطارد من صاحب المال أو من القانون والمحاكم ، انما ينظر حتى يوسر ..... .

والله جل جلاله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه كله أو بعضه عند الاعسار ويحببه في ذلك ويذكر أنه خير لنفسه وخير للمدين وهو خير للجماعة كلها ولحياتها المتكاملة ". (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر : " اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ج٣ص١٣٤ وج٥ ص٧٠ من فتح البارى ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ج ١٧ ص٢١ بشرح النووى واللفظ له ، والترمذى فى كتاب الحدود باب ماجاء فى الستر على المسلمين ج ٢ ص ٤٤٠ ، وقال فيه حسن صحيح ، وأبو داود فى كتاب الآداب باب المعونة للمسلم ج ١٣ ص ٢٨٩ من عون المعبود .

(٢) فى ظلال القرآن ج ١ ص ٣٣٣ بايجاز وذلك عند تفسيره للآية ٢٨٠/ من سورة البقرة .

ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ".

وفي رواية أخرى " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"(١)

وهذا ايضا حديث عظيم شامل لمبادىء وتعاليم اسلامية صالحة تصلح شأن الفرد وبالتالى الجماعة حيث يبين ما يجب ان يكون عليه تعاملنا من الابتعاد عن الظن السيء المحرم وهو ما يستمر عليه صاحبه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر ، والابتعاد أيضا عن التحسس والتجسس ، وعن التنافس والحسد وعن التباغض والتدابر ومن ثم الامر بما يصيرنا ويجعلنا اخوانا مسلمين ، ومن ذلك أداء حقوق المسلم على المسلم عن رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض وتشييع الحنازة واجابة الدعوة والابتداء بالسلام عند اللقاء والنصح بالغيب والابتعاد عن السخرية والاحتقار والغيبة ، وأمثال ذلك مصداق ماجاء في القرآن العظيم كمثل قوله تعالى :

---

(١) رواه البخاري في كتاب البر باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ج ١٠ ص ٤٠٠ من فتح الباري ، ومسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس ج ١٦ ص ١١٨ : ١٢١ بشرح النووي ، وأنظر المعجم المفهرس ، ج ١ ص ٤٦٤ واللفظ لمسلم .

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) .(١)

يذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله في تفسيره لهذه الآية قوله : " بهذا يطهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيء فيقع في الاثم ويدعه تقياً بريئا يكن لاخوانه المودة والبراءة من الشكوك والطمأنينة التى لا يعكرها القلق - وما أروح الحياة في مجتمع برىء من الظنون ، أما التجسس وهو الحركة التالية للظن وقد يكون لكشف العورات ، فالقرآن الكريم لا يقاومه تطهيرا للقلب فقط ، ولكن الامر أبعد من هذا أثرا ، لانه مبدأ عظيم يتعلق بالنظام الاجتماعى الاسلامي حيث للناس حرياتهم وحرماتهم وحركاتهم التى لا يجوز ان تنتهك ولا أن تمس بحال من الاحوال(٢) ، ثم يذكر بعض الاحاديث الناهية عن التجسس وينتقل للحديث عن الغيبة فيقول : " أن القرآن يعرض مشهدا للغيبة تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الارواح حساسية وهو أن يأكل الاخ لحم أخيه ميتا .... حيث يكرهونه ، وبالتالى يكرهون الغيبة .... ومن ثم هذا النص تحول الى أدب عميق في النفوس والقلوب ..... وتشدد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليثير الفزع

---

(١) سورة الحجرات آية / ١٢

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣٤٥ ، ص ٣٣٤٦ بايجاز .

والاشمئزاز من شبح الغيبة البغيض " .[١]

ثم يذكر أيضا أربعة أحاديث شريفة في تعريف الغيبة وذكر عقابها .

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام فى حديث آخر " دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلا هى أطعمتها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت هزلا "[٢] فهذا الحديث الشريف فيه بيان لعقوبة من تسول له نفسه أن يعامل أى أحد كان من الانس أو من الحيوان وخاصة الاليف منه ـ معاملة قاسية تخلو من أى نوع من الرحمة ، فالمؤمن لابد أن يستشعر الرحمة وان يتخلق بها بقدر الامكان وأذكر هنا أن الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ قال كلاما طيبا فى تفسيره لقوله تعالى :

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [٣]

واذكر منه أن المولى جل وعلا كتبها على نفسه وجعلها عهدا منه لعباده بمحض ارادته ومطلق مشيئته وهى حقيقة هائلة لا يثبت الكيان البشرى لتمليها وتأملها وتذوق وقعها ، ورحمته جل وعلا تفيض على عباده وتسعهم جميعا وبها يقوم وجودهم وتقوم حياتهم وهى تتجلى فى كل لحظات الحياة ، ففى حياة البشر خاصة لا نملك أن نتابعها ولكن نذكر منها لمحات :ـ

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣٤٧ بتصرف يسير .
(٢) صحيح مسلم كتاب التوبة باب سعة رحمة الله جـ ١٧ ص ٧٢ بشرح النووى .
(٣) سورة الانعام آية / ١٢ .

(١) في وجود البشر أنفسهم٠

(٢) في تسخير ماقدر الله أن يسخره للانسان من قوى الكون ٠

(٣) في تعليم الانسان واعطائه الاستعداد للمعرفة ٠

(٤) في رعاية الخلق بارسال الرسل ٠

(٥) في تجاوزه عن السيئة اذا فعلت بجهالة ثم تاب صاحبها ٠

(٦) في مجازاته عن السيئة بمثلها على الحسنة بعشر أمثالها ٠ ونعجز ونقصر عن رحمه الله فى مظاهرها ٠٠٠٠٠ فلحظة واحدة يفتح الله فيها أبوا ب رحمته لقلب عبد مؤمن فيتصل به ويعرفه ويطمئن اليه ويأمن فى كنفه٠٠٠٠٠ ان هذه اللحظة لتعجز الطاقة البشرية عن تمليها واستجلائها فضلا على وصفها والتعبير عنها فلننظر كيف مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الرحمة بما يقربها للقلوب شيئا ما[(١)] ٠ ثم ذكر ثلاثة عشر حديثا منها ما رواه مسلم بلفظ: " ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة ، كل رحمة طباق مابين السماء والارض فجعل منها فى الارض رحمة واحدة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة ٠[(٢)]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التوبة باب سعة رحمة الله جـ ١٧ ص ٦٩ بغير لفظ " واحدة " ولفظ " الله تعالى "٠

(٢) في ظلال القرآن بتصرف جـ ٢ ص ١٠٤٩ : ١٠٥٠

ثم قال - أى مؤلف الظلال - وهكذا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه هدى القرآن ليتذوقوا رحمة الله من خلال مزاولتهم للرحمة أليس أنهم انما يتراحمون برحمة واحدة من رحمات الله الكثيرة وعقّب بحقيقة طيبة مستفادة : " ان الطمأنينة الى رحمة الله تملا القلوب بالثبات والصبر ، وبالرجاء والامل وبالهدوء ، والراحة فهو فى كنف ودود يستروح ظلاله ، والشعرر بهذه الحقيقة على هذا النحو يؤثر تأثيرا قويا فى خلق المؤمن .

فهو يرى نفسه مغمورا برحمة الله مع تقصيره وذنبه[1] ، فيعلمه ذلك كله كيف يرحم ...... وكيف يعفو ..... وكيف يغفر .

والحاصل ان ما ذكرته هو قليل جدا من كثير فالحديث عن السنة وعن مدى الاستفادة منها فى الاصلاح الاجتماعى فى كل مجال من مجالاته[2] يتطلب تأليف كتاب خاص بهذا الموضوع ، لان السنة تحدثت بل شملت حياة المسلمين جميعها فلم تترك صغيرة ولا كبيرة الا وتحدثت عنها ، ومن ثم رحمته صلى الله عليه وسلم ورأفته بالمسلمين جعلته يتناول كل شيء يصلح حالهم ومجتمعهم منذ نشأتهم حتى وفاتهم ، وليس

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٠ بتصرف .

(٢) وسترى طرفا من ذلك فى مبحث " الاخلاق "

أدل على ذلك الا بمعرفة الحسنة ، فأفعاله صلى الله عليه وسلم وتقريراته وأقواله اذا أمتثلها كل فرد مسلم صلح فى نفسه وحاول اصلاح غيره ومن ثم كلنا نعلم أن صلاح الفرد يعنى صلاح المجتمع وخاصة اذا وضع كل مسلم نصب عينيه قوله صلى الله عليه وسلم " لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه " .[1]

أى من الخير ٠ والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والاخروية وتخرج المنهيات .[2]

* * *

---

(١) رواه البخارى فى كتاب باب من الايمان أن يحب لاخيه ما يحب لنفسه جـ ١ ص ٥٣ من فتح البارى ، ومسلم فى كتاب الايمان باب خصال الايمان ، أن تحب لاخيك جـ ٢ ص ١٦ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ١ ص ٥٤

الثالث : العقيدة :

لقد كان سيد قطب - رحمه الله - يهتم في فهم العقيدة والكتابة عنها بأخذها من مصادرها الموثوقة ، وهي القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترك ما عداهما ، وقد أوضح منهجه هذا بقوله : " ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم الا نواجهه بمقررات سابقة اطلاقا ، لا مقررات عقلية ولا مقررات شفوية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - محاكم اليها نصوصه أو نستلم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة ، ليست هناك اذن مقررات سابقة نحاكم اليها كتاب الله ، انما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداء ، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا وهذا وحده هو المنهج الصحيح في مواجهة القرآن الكريم وفي استلهامه خصائص التصور الاسلامي ومقوماته .[1]

ويقول ايضا - رحمه الله - : " وقضية الجبر والاختيار كثر فيها الجدل في تاريخ الفكر الاسلامي بين أهل السنة والمعتزلة والمجبرة والمرجئة[2]

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ص ١٦ ، ١٧

(٢) المعتزلة : أصحاب وأصل بين عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري ، والمجبرة أو الجبرية : من الجبر وهو اسناد فعل العبد الى الله . والمرجئة : قوم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر معصية : التعريفات للجرجاني ص ١٩٨ - ٦٥٠ - ١٨٤ طبع مصطفى البابي الحلبي / مصر .

وتدخلت الفلسفة الاغريقية وغيرها في هذا الجدل فتعقد تعقيدا لا تعرفه العقلية الاسلامية الواضحة الواقعية .... ولو أخذ الامر بمنهج القرآن المباشر الميسر الجاد ما اشتد هذا الجدل . وما سار في ذلك الطريق الذى سار فيه " . [1]

ومما يدل ايضا على أن منهجه سلفى في أخذ العقيدة . التزامه بقواعد المنهج السلفى وهى :

(١) تقديم الشرع على العقل حيث قال : " وعلى أن العقل البشرى ليس ندا للشرع وانما هو تابع له : والعقل البشرى ليس ندا لشريعة الله فضلا على أن يكون الحاكم عليها وأقصى ما يتطلب من الادراك البشرى أن يتحرى دلالة النص وانطباقه لا أن يتحرى المصلحة أو عدم المصلحة فيه ، فالمصلحة متحققة أصلا بوجود النص من قبل الله تعالى . [2]

(٢) رفض التأويل الكلامى [3] ، وقد ذكر في ذلك قوله " والذين أثاروا قضايا القضاء والقدر والجبر والاختيار وارادة العبد وكسبه .... ليجعلوا منها مباحث لاهوتية ، تخضع لما تتصوره عقولهم من فروض وتقديرات ، وانما يجانبون منهج القرآن في عرض هذه القضية في صورتها الواقعية التقريرية البسيطة ". [4]

---

(١) في ظلال القرآن م ٣ ص ١٢٢٦
(٢) في ظلال القرآن م ٢ : ص ٧٢٣ باختصار .
(٣) الامام ابن تيمية وقضية التأويل للدكتور محمد السيد الجليند ص ٦٧
(٤) في ظلال القرآن : ٢ : ص ١٠٦٦

(٣) الاستدلال بالآيات القرآنية والاحاديث النبويـــة :

وقد استعملـه في مواضع كثيرة منها :

أ - عند تفسير قوله تعالى :

(الْمُلْكُ يَوْمَـئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَفِرِيـنَ عَسِـيراً وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيـهِ يَقُولُ يَلَيْتَـنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)(١)

فبعد أن بين ان مظاهر الانقلاب الكونى - الذى سيحدث يوم القيامة - تشمـل الارض والسماء والكواكب وغيرها ، قال : كما جاءت في سور متعددة :

* (إِذَا الشمسُ كُورتْ وإِذَا النُّجُومُ انكَدَرتْ وإِذَا الجِبَالُ سُيِرتْ وَإِذَا العِشَـارُ عُطِلتْ وإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ وإِذا البِحَارُ سُجِّرَت) (٢)

* (إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرتْ وإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ وإِذَا القُبُورُ بُعثِـرَتْ). (٣)

* (إِذَا رُجَّتِ الارضُ رَجًّا وبُسِتِ الجِبَالُ بَساً فكَانتْ هَبَـآءً مُنبَثـاً) (٤)

* (إِن لكَ فِي النَّهَارِ سَبحاً طَوِيـلاً) (٥)

* (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَآءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَـتْ) (٦)

---

(١) سورة الفرقان آية / ٢٥ ، ٢٦

(٢) سورة التكوير آية / ١ : ١٣

(٣) سورة الانفطار آية / ١ ـ ٤

(٤) سورة الواقعة آية / ٤ : ٦

(٥) سورة المزمل آية / ١٤

(٦) سورة المرسلات آية / ٨ : ١٠

ب ـ وعند تفسير قوله تعالى :

(تنزيل من رب العالمين) [1]

حيث يذكر أن مصدر هذا الكتاب هو رب العالمين الذى يعلم العلم الشامل الدقيق اللطيف ، ثم أورد عددا من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : [2]

* (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين). [3]

* وقوله تعالى :

(يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير). [4]

* وقوله تعالى :

(وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتب إن ذلك على الله يسير) . [5]

وقد سار في منهجه هذا على طريق السلفية ولا أقصد في ذلك المبالغة فمصطلح السلف وان كان يراد به الصحابه والتابعون من أهل القرون الثلاثة الا ولى .... الا أنه يتسع فيشمل مختلف العلماء والدعاة والمصلحين

---

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٥٥٩
(٢) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٦٨٧
(٣) سورة الانعام آية / ٥٩
(٤) سورة الحديد آية / ٤
(٥) سورة فاطر آية / ١١

من أهل السنة والجماعة على مختلف مراحل وفترات التاريخ الاسلامي ، ومصطلح السلفيين على ذلك يصلح أن يتمثل فى أى عالم ملتزم في أى زمان ومكان بالكتاب والسنة .(١)

وللاستاذ سيد قطب - رحمه الله - مواقف وعبارات كثيرة تدل على منهجه السلفى في العقيدة اذكر منها :

" لابد من أن تلقى عن التصور الاسلامى الفلسفة الاسلامية ومباحث علم الكلام والجدل ونعود الى القرآن الكريم نستمد منه مباشرة : " مقومات التصور الاسلامى " مع بيان خصائصه التى تفرده من بين سائر التصورات ... ان مقومات هذا التصور يجب ان تستقى من القرآن مباشرة وتصاغ صياغة مستقلة تماما " .(٢)

" ان من لم يكتف بالقرآن الكريم في أخذ العقيدة تأثر بالفلسفة الاغريقية باء بالتقصير والتخليط كما باء أساتذتهم الاغريق ودسوا في التفكير الاسلامى ماليس في طبيعته وفي التصور الاسلامى ماليس في حقيقته ...... وذلك هو المصير المحتوم لكل محاولة للعقل البشرى وراء مجاله وفوق طبيعة خلقه وتكوينه " .(٣)

* * *

---

(١) الامام ابن تيمية وقضية التأويل للدكتور محمد السيد الجليند ص ٥٢
(٢) خصائص التصور الاسلامى ص ١٣ باختصار وتصرف
(٣) في ظلال القرآن ١ : ص ١٠٦ باختصار .

هذا ومما يدل على اعتبار العقيدة من مبادىء الاصلاح الاجتماعي الأساسية مايلـــــي :

(١) ماذكر عند تفسيره لقوله تعالى﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ • وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾[١]

حيث ذكـــر تعليقا مفيدا على هذه الآيات بيّن فيه أن السبب في عـــدم اقتناع القرشيين بماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيـــد المطلق لله هو عدم سماعهم بهذا في الملة السابقة ، فقد كانت عقيدة التثليث قد شاعت في المسيحية ، وأسطورة العزير قد شاعت في اليهودية لذا حرص الاسلام حرصا شديدا على تصفية عقيدة التوحيد من كل ماعلـــق بها من الاساطير والانحرافات ... وهذا الحرص كان لأن التوحيد حقيقـــة أولية كبرى يقوم عليها هذا الوجود كله ، ولأنه في الوقت ذاته قاعـــدة لا تصلح الحياة البشرية كلها في أصولها وفروعها الا اذا قامت عليها .[٢]

ثم توسع المؤلف - رحمه الله - في بيانه لقيمة هذه الحقيقة على اعتبـــار كونها حقيقة أولية كبيرة يقوم عليها الوجود ويشهد بها كل مافـــي الوجود وانه لا يستقيم أمر هذه البشرية الا عليها وذلك فيما يقارب الصفحتين ثم قال - رحمه الله - : وعلى الجملة فادراك هذه الحقيقة ضروري لصـــلاح

---

(١) سورة ص آية/ ٥ : ٧

(٢) في ظلال القرآن م٥ ص ٣٠١٠ بتصرف وايجاز .

الضمير البشري واستقامته واستنارته ، ووضوح الارتباطات بينه وبين خالقه ثم بينه وبين الكون حوله ، ثم بينه وبين مافي الكون من أحياء وأشياء وما يتبع هذا من تأثرات أخلاقية وسلوكية واجتماعية وانسانية عامة في كل مجال من مجالات الحياة .(1)

(٢) ماذكره - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ : لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (2)

حيث ذكر ما معناه في بيان هذه المنة : أنها جعلت لوجوده الانساني حقيقة متميزة ، وجعلت له دورا في نظام الكون عظيما ، وأن أول مايصنعه استقرار هذه الحقيقة في قلبه هو سعة تصوره لهذا الوجود كله ولدور الانسان فيه ، وصحة تصوره للقيم والأشياء والاشخاص والاحداث من حوله ، وأنسه بالله خالقه وخالق هذا الوجود ، وشعوره بقيمته وكرامته ، وأنه يملك أن يقوم بدور مرموق يرضى الله عنه ويحقق الخير لهذا الوجود كله بكل مافيه وكل من فيه .(3)

ومن هذه المعرفة لحقيقة الوجود تختفي مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفة المنشأ والمصير ، وعدم رؤية المطوى من الطريق وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه ، ووراء رحلته في ذلك الطريق .

---

(١) في ظلال القرآن م ٥ ص ٣٠١١ بتصرف يسير وايجاز .

(٢) سورة الحجرات آية/ ١٧

(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٥١ بايجاز وتصرف يسير .

كما أن هذه الحقيقة ما تكاد تستقر في القلب حتى تتحرك لتعمل ولتحقق ذاتها في الواقع ... ذلك سر قوة العقيدة في النفس ، وسر قوة النفس بالعقيدة ، سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض . الخوارق التي تغير وجه الحياة من يوم الى يوم ، وتدفع بالفرد وبالجماعة الى التضحية بالعمر الفان المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تفنى وتقف بالفرد الضئيل أمام قوى السلطان وقوى المال وقوى الحديد والنار فاذا هي كلها تنهزم أمام العقيدة الدافعة في روح فرد مؤمن .

ثم بيّن المؤلف - رحمه الله - بعض تلك الخوارق التي تصنعها العقيدة في حياة الأفراد والجماعات والتي منها قوله :

ان العقيدة الدينية فكرة كلية تربط الانسان بقوى الكون الظاهر والخفية وتثبت روحه بالثقة والطمأنينة وتمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة بقوة اليقين في النصر ، وقوة الثقة في الله ، وهي تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والاحداث والأشياء ، وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه وتجمع طاقاته وقواه كلها وتوجهها في اتجاه واحد في قوة . وفي ثقة وفي يقين .[1]

وصدق الله العظيم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

---

(١) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٥٣ بايجاز وتصرف يسير .

فهي المنة الكبرى التي لا يملكها ولايهبها الا الله الكريم لمن يعلم أنه يستحق هذا الفضل العظيم ٠

ونحن بالنظر في هذين الموضعين نرى أن الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - اهتم بالعقيدة الاسلامية اهتماما بالغا مبينا فيه كون العقيدة الدينية هي المحور الاساسي في حياة الناس كما أن لها دورا عظيما لا ينكر في اصلاح حياتهم الاجتماعية واستقامة أمورهم وشئونهم الدينية والدنيوية٠

* * *

الرابع : التشريع وحكمته وتعليل الاحكام :

لقد شرع الله لعباده كل مافيه الخير والمصلحة وكل ما شرعه من عبادات ومعاملات وأنظمة وغيره مما هو متضمن لحكم ربانية شاملة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [1] ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [2]

ومحاولة الوقوف على تلك الحكم ينبغي أن تكون لزيادة اليقين والاطمئنان من قبل المؤمن ولا ينبغي أن تكون لاجل التوقف عن الالتزام بأداء العبادات وتطبيقها .

وتفسير مؤلف الظلال - رحمه الله - لآيات التشريع والاحكام كانت فيه تلك المحاولة .... بل أكثر منها ، وكانت احدى قواعد منهجه في التفسير ، فقد حرص كثيرا على الوقوف أمام آيات الاحكام والتشريع ليعلل ويبين الحكم والاسرار والارشادات ونحو ذلك .

وهو لم يكثر من الوقوف أمام تلك الآيات لتعليل الاحكام وبيان الحكمة لاى غرض ، وانما لضوابط ذكرها حتى لا يساء فهمه من منهجه في هذا الموضوع اذكر منها :

(١) ان احكام الله وأوامره ينبغي أن يأخذها المسلم بالتسليم والتطبيق لانها " من لدن حكيم خبير " ولا يجوز له أن يعلق التزامه بها وأداؤه لها بوقوفه على حكمتها وسببها ، " ولا يجوز له أن يجعلها

---

(١) سورة الانعام آية / ٨٣

(٢) سورة يوسف آية / ٦

خاضعة لعقله البشرى القاصر فيعطيه السلطة ليحكم بالحكم النهائي في أمر الدين ، ويجعل منه نداء لشرع الله ، بل هو المسيطر على شرع الله "[1] " فدور العقل المؤ من هو ادراك الحقيقة الا ولى : وهى ان هذا الدين من عند الله ، فاذا ادرك ذلك فليس له الا ان يسلم تلقائيا بكل ما ورد في هذا الدين ولا يهم عندئذ أن يدرك حكمته الحقيقية أولا يدركها . فالحكمة متحققة حتما مادام من عند الله ، والمصلحة متحققة حتما مادام من عند الله ". [2]

(٢) أن المؤمن يزداد ثقة بهذا الدين ويتعمق ايمانه ويقوى يقينه بمعرفته للحكم والاسرار الموجودة الظاهرة والخفية - والمتعلقة بأوامر الله أو احكامه التي يكلف بها العباد .

* ومثال : الحكمة الظاهرة الصريحة جاء في قوله تعالى :

﴿ اتلُ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِنَ الكِتَـٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنهَىٰ عَنِ الفَحشَآءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكرُ اللَّهِ أَكبَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا تَصنَعُونَ ﴾ [3]

وفرق كبير بين اقام الصلاة وبين أدائها ، فهى حين تقام تكون شكلا ومضمونا ذكرا لله ...... وذكر الله أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع ، وأكبر من كل تعبد وخشوع . [4]

---

(١) في ظلال القرآن المجلد الثاني ص ٧٢٢ بتصرف . و انظر (المنهج الحركى) للخالدى ص١٨١
(٢) في ظلال القرآن المجلد الثاني ص ٧٢٣ بتصرف .
(٣) سورة العنكبوت آية / ٤٥
(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الخامس ص ٢٧٣٨ بتصرف

" والقلب الذى يسجد لله حقا ويتصل به على مدار الليل والنهار يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود ويحس أنه أقوى الخلق لانه موصول بالخالق ، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الارض وحاجات الارض ٠٠٠٠ وهذا كله مصدر قوة للضمير ، مصدر تحرج وتقوى وعامل هام من عوامل تربية الشخصية ، وجعلها ربانية التصور ربانية الشعور ، ربانية السلوك ". (١)

* ومثال الحكمة الخفية جاء في قوله تعالى :

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). (٢)

حيث ذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - : " أن ما وصل اليه العلم الحديث من اكتشاف الدودة الشريطية وبويضاتها المتكيسه وانه يمكن ابادتها والقضاء عليها بواسطة وسائل الطهر الحديثة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ان اكتشاف متأخر احتاج الناس فيه الى قرون طويلة ليكشفوا آفة واحدة . فمن ذا الذى يجزم بأن ليس هناك آفات أخرى في لحم الخنزير لم يكشف عنها بعد ؟ أفلا تستحق الشريعة التى سبقت هذا العلم البشرى بعشرات الفروق أن نثق بها وندع كلمة الفصل لها ". (٣)

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الاول ص ٤٠ بتصرف يسير .
(٢) سورة البقرة آية / ١٧٣
(٣) في ظلال القرآن المجلد الاول ص ١٥٦ بتصرف يسير .

(٣) ان المؤ من ليس له أن يجزم بأن ما ادركه هو الحكمة المقصودة من التشريع ومن الاوامر لانه قد تكون هناك حكم أخرى وأسرار خفية لم يدركها بعقله البشرى القاصر ، فمثلا عدم فرضية الجهاد وقتال المشركين في مكة كان لحكم وأسرار قد يدركها العقل البشرى ، أو بعضها ولكن ليس له أن يجزم بأنها المقصودة من النص ٠

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : أما حكمة هذا فلسنا في حل من الجزم بها ، لان الله لم يبين لنا حكمة ذلك وليس لنا أن نفرض على أوامره أسبابا وعللا ، قد لا تكون هى الحقيقة أو قد تكون ، ولكن وراءها علل وأسباب أخرى لم يكشف لنا عنها، (١)

والتيمم كذلك فباعتبار كونه بديلا عن الوضوء والغسل فلابد من حكمة تتحقق فيها جميعا غير " مجرد النظافة " : انها ـ ربما ـ كانت هى الاستعداد النفسى للقاء الله بعمل ما يفصل بين شواغل الحياة اليومية العادية وبين اللقاء العظيم الكريم ٠٠٠٠ ومن ثم يقوم التيمم ـ في هذا الجانب ـ مكان الغسل أو مكان الوضوء " ٠ (٢)

(٤) ان المؤ من ليس له الجزم بأن ما ادركه من حكمة هو المقصود من النص القرآني وينفى كل ما عداه من حكم أو أسرار أو أسباب توصل اليها

---

(١) انظر في ظلال القرآن المجلد الثانى ص ٧١٣

(٢) انظر في ظلال القرآن المجلد الثانى ص ٦٧٠ ٠

غيره من البشر بل واجبه أن يذكر أن ما توصل اليه من حكم هو مجرد احتمال لا جزم ولا تحديد وأنه قد تكون هناك حكم أخرى لم يهتد اليها فهذا هو اللائق بالمؤمن الذى يخترم عقله البشرى ، ويكون مؤدبا قبل ذلك في تعامله مع خالقه ·

يقول الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - : " وأولى أن نقول دائما : أن هذا ما استطعنا أن نستشرفه من حكمة النص أو الحكم · وأنه قد تكون دائما هناك أسرار من الحكمة لم يؤذن لنا في استجلائها وبذلك نضع عقلنا البشرى في مكانه أمام النصوص الالهية ·" (١)

ونراه يقول في مسألة تعدد الزوجات والحكمة منها : " هذه الرخصة - التعدد - مع هذا التحفظ - ترك التعدد عند خوف العجز عن العدل - يحسن بيان الحكمة والصلاح فيها خاصة في زمان جعل الناس يتعالون فيه على ربهم الذى خلقهم · وكان الملابسات والضروريات التى جدّت اليوم يدركونها هم ويقدرونها ولم تكن في حساب الله سبحانه ، ولا في تقديره يوم شرع للناس هذه الشرائع " (٢)، (٣)

وبعد حديثه عن هذه المسألة في عدد من الصفحات نجده يقول في نهايتها : ومن ثم ما يصنعه الناس أو ما يفهمونه ليس هو الذى يحدد أصل النظام الاسلامى أو مفهوم الاسلام الاساسى الا أن يكون مطابقا للاصل الاساسى الثابت المستقل عن واقع الناس ومفهومهم "· (٤)

---

(١) الظلال : المجلد ٢ ص ٦٦٩ بتصرف يسير ·
(٢) الظلال : المجلد :١ ص ٥٧٨ بتصرف ·
(٣) هذه الضوابط الاربعة مقتبسة من كتاب (المنهج الحركي في ظلال القرآن) للدكتور صلاح الخالدى ص ١٨١ : ١٨٣ ·
(٤) الظلال المجلد ١ ص ٥٨٤ ·

ويبين الحكم أيضا من العقوبات في التشريع الاسلامي فيذكر في

عقوبة السرقة كونها ملائمة لفعل السارق .

وينقل كلاما للشيخ عبد القادر عوده ويوافقه فيه أذكر منه :

" ان الشريعة حاربت الدافع - وهو زيادة الكسب والثراء - في نفس الانسان

بتقرير عقوبة القطع ، لان قطع اليد أو الرجل يؤدي الى نقص الكسب

اذ اليد والرجل كلاهما أداة العمل أيا كان ، ونقص الكسب يؤدي الى

نقص الثراء وهذا يؤدي الى نقص القدرة على الانفاق وعلى الظهور .
ويدعو الى شدة الكدح وكثرة العمل والتخويف الشديد على المستقبل .(١)
" ان أساس عقوبة القطع هو دراسة نفسية الانسان وعقليته فهي

اذن عقوبة ملائمة الافراد ، وهي في الوقت ذاته صالحة للجماعة ، لانها

تؤدي الى تقليل الجرائم وتأمين المجتمع ، وما دامت العقوبة ملائمة

للفرد وصالحة للجماعة فهي أفضل العقوبات وأعدلها " (٢) ، (٣)

ويذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - الحكم ويبين العلل وأسباب التشديد

في عقوبة الزنا فيقول : " شدد الاسلام في عقوبة الزنا بوصفه

نكسة حيوانية تذهب بكل المعاني الطيبة الهادفة - من اقامة

---

(١) التشريع الجنائي الاسلامي لعبد القادر عودة جـ ١ ص ٦٥٢ .
(٢) التشريع الجنائي الاسلامي لعبد القادر عودة جـ ١ ص ٦٥٤ - ٦٥٥
(٣) في ظلال القرآن المجلد : ٢ ص ٨٨٤ - ٨٨٥

بيت آمن وانشاء حياة مشتركة وترقب ذرية صالحة - وترد الكائن الانساني مسخا حيوانيا لا يفرق بين انثى وانثى، ولا بين ذكر وذكر مسخا كل همه ارواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة .

ودفع هذه النكسة عن الانسان هو السبب في التشديد في عقوبة الزنا ..... بالاضافة الى الاضرار الاجتماعية التى تعارف الناس على ذكرها عند الكلام عن هذه الجريمة من اختلاط الانساب واثارة الاحقاد وتهديد البيوت الآمنه المطمئنة ....

والاسلام منهج حياة متكامل لا يقوم على العقوبة انما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الاخذ بهذه الاسباب الميسرة ويتمرغ في الوحل طائعا " (١)

وكما رأينا أن هناك حكما كثيرة من التشريعات التى شرعها الله والاوامر التى فرضها ومن تأمل هذه الحكم نلاحظ أن :

* المولى عز وجل حينما شرع التشريعات وفرض العبادات لم يكلف أحدا العمل بما لا يستطيع ، وانما العمل بما يقدر عليه ويطيقه .

* قال تعالى :

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(٢)

* وقال تعالى : (لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)(٣) (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا)(٤)

---

(١) في ظلال القرآن المجلد الرابع ص ٢٤٨٩ بتصرف .
(٢) سورة البقرة آية / ٢٨٦
(٣) سورة الانعام آية / ١٥٢ ، المؤمنون آية / ٦٢
(٤) سورة الطلاق آية / ٧

ثم قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع : " أن المسلم ليس له ان يتبرم بتكاليف ـ المولى عز وجل ولايضيق بها صدرا ، أولايستثقلها وهو يؤ من أن الله الذى فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه ، فاذا ضعف مرة أو تعب مرة أدرك أنه الضعف البشرى لا فداحة العبء ! واستجاش عزيمته واستنهض همته كلما ضعفت على طول الطريق ، [1]

فالصلاة التى هى أقدم عبادة لم تخل منها شريعة من الشرائع لانها من مستلزمات الايمان ولما لها من الاثر العظيم في تهذيب النفوس واصلاحها وصلتها بالمولى عز وجل خالقها فبنوا اسرائيل طلب منهم اقامة الصلاة : (وَإِذ أَخَذنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلوَٰلِدَينِ إِحسَانا وَذِي ٱلقُربَىٰ وَٱليَتَٰمَىٰ وَٱلمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسنا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيتُم إِلَّا قَلِيلا مِّنكُم وَأَنتُم مُّعرِضُونَ) . [2]

وأم عيسى عليه السلام كلفت باقامتها (يَٰمَريَمُ ٱقنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسجُدِي وَٱركَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ). [3]

---

(١) في ظلال القرآ ن المجلد الا ول ص ٣٤٤ باختصار .
(٢) سورة البقرة آ ية / ٨٣
(٣) سورة آ ل عمران آ ية / ٤٣

وابراهيم عليه السلام دعا ربه بتثبيته على اقامة الصلاة : (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) .[1]

وعيسى عليه السلام حدث بنعم الله عليه : (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) .[2]

وموسى عليه السلام خاطبه ربه فقال تعالى :

(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي)[3] .

ومحمد عليه الصلاة والسلام فرضت عليه وعلى أمته الصلاة : (إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) .[4]

هذه الصلاة روعي فيها اطاقة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لها حيث جاء في حديث الاسراء والمعراج محاورة موسى عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ارجع الى ربك فأسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم ..... وقوله صلى الله عليه وسلم فلم أزل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال الله جل وعلا : " يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة " .[5]

وكانت الصلوات المفروضة خمس صلوات في اليوم والليلة صلاة الصبح ركعتان والمغرب ثلاث وغيرهما " أربع ركعات " والافضل ان تكون في جماعة" .

---

(١) سورة ابراهيم آية / ٤٠

(٢) سورة مريم آية / ٣١

(٣) سورة طه آية / ١٤

(٤) سورة النساء آية / ١٠٣

(٥) مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم جـ ٢ ص ٢١٤ .

وصلاة المريض يمكن أن تؤ دى وهو قاعد أو وهو مضطجع ويمكن ان تؤ دى بايماءات خفيفة اذا عجزت أعضاؤه عن الحركة ٠

والمسافر له أن يجمع ويقصر صلاته ، والحائض والنفساء تسقط عنهما الصلاة ٠

انها مجرد خمس صلوات في أوقات متفرقة على مدار الليل والنهار ، وليست أعمالا شاقة ولا مرهقة ، وهى في مجموعها لا تتجاوز الساعة الواحدة من مجموع ساعات النهار والليل أو أقل ٠

ان الصلاة عبارة عن عملية شكر وتقديس وتمجيد لله تعالى ومن ثم تأمل في النفس والكون ٠٠٠٠ انها استمداد روحى يتزود بها الانسان شيئا من الايمان والصبر والحكمة ليواجه ما يصادفه من هموم ومتاعب تؤ ثر على صحته وكما انها تمحوا آثار السيئآت التى لايخلو منها البشر ٠

يقول تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيلِ إِنَّ الحَسَنَٰتِ يُذهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) ٠ (١)

وفي هذا تشجيع على اقامتها ٠ والصلاة ـ كما نعلم ـ بالرغم من كونها داخلة فيما فرضه الله علينا من فروض وما شرعه لنا الا أننا نضرب المثل بها لا نها ركن أساسى في تشريعنا ، وفيما يصلح نفوسنا وبالتالى مجتمعاتنا فهى كما قال تعالى :

(إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنهَىٰ عَنِ الفَحشَآءِ وَالمُنكَرِ) (٢)

---

(١) سورة هود آية / ١١٤
(٢) سورة العنكبوت آية / ٤٥

ونظرا لما ذكرناه - وهو قليل من كثير - من سهولة التشريع ويسره ، وما فيه من حكم و أسرار منها ما علمنا ومنها مالم نعلم ، وجب علينا نحو المسلمين ضرورة الالتزام بالمنهج الرباني في التشريع فهو أمامنا واضح وضوح الشمس وخصائصه ظاهرة بينة اذكر منها :

أولا: انه منهج واقعى :

فأحكامه التشريعية تناسب الحياة البشرية بكل ملابساتها الواقعية " ان هذا الدين منهج الهى للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية في كل بيئة .

وميزته الاساسية أنه لا يغفل لحظة في أية خطة وفى أية خطوة عن فطرة الانسان وحدود طاقته وواقع حياته المادى أيضا ". (١)

ان الاسلام منهج واقعي للحياة ، لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية . انه يواجه الحياة البشرية - كما هى بعوائقها وجواذبها - وملابساتها الواقعية .... يواجهها ليقودها قيادة واقعية الى السير والارتقاء في آن واحد يواجهها بحلول عملية تكافىء واقع الحياة ولا ترفرف في خيال حالم ، ورؤى مجنحة لا تجدى على واقع الحياة شيئا " . (٢)

---

(١) هذا الدين لسيد قطب ص ٤ باختصار .

(٢) في ظلال القرآن ١ ص ٢٢٦ بتصرف يسير .

ولما كان نظام التبني له آثار واقعية في حياة الجماعة العربية وكانت التقاليد الاجتماعية أعمق آثرا في النفوس ٠٠٠٠ كانت مواجهة مثل هذا الواقع شديدة على الكثيرين ومستنكرة في بداية الامر ، ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد فقد مضى القرآن يؤكدها ، ويزيل عنصر القرابة فيها ويردها الى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية : " ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له " فقد فرض له أن يتزوج من زينب ، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الادعياء واذن فلا حرج في هذا الامر ، وليس النبي صلى الله عليه وسلم فيه بدعا من الرسل [(١)] (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [(٢)]

ثانيا : انه منهج ميسر :

فهو لا يعرض النفوس للاذى أو الهلاك أو يرهقها بحيث تعجز عن القيام بفروضه وتشريعاته : (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا). [(٣)]

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال القرآن : " فاذا ضعف مرة أو تعب مرة أدرك أنه الضعف لا فداحة العبء ٠ فلو لم تكن التكاليف في طاقته ما فرضها الله عليه [(٤)] وذكر رحمه الله ٠ (ان القرآن المكي بقي ثلاثة عشر عاما يقرر موضوع العقيدة ويعرضه ابتداء قبل أي شيء ـ ومع

---

(١) في ظلال القرآن ٥ ص ٢٨٧٠

(٢) سورة الاحزاب آية / ٣٧ / ٣٨

(٣) سورة البقرة آية / ٢٨٦

(٤) في ظلال القرآن م ١ ص ٣٤٤ بتصرف ٠

كل عرض يكون جديدا أو مؤثرا - مع أن العقل البشرى المحجوب يرى ذلك أشق بالنسبة لادخال العرب في الاسلام ، ولكن ما أراده الله كان.
وتحقق ماكان مأمولا : زال سلطان الروم والفرس ، وتطهرت الاخلاق وزكت النفوس وزال الظلم وتحقق العدل في كل جوانب الحياة ". (١)

ثالثا : انه منهج ايجابي :

فالسلبية ليست من خصائص هذا المنهج وهى لا تحدث في المسلمين - حين يبتعدون عن الحياة الاسلامية . " فالمسلم حين يؤدى الشهادة يؤديها أولا في ذات نفسه بأن يطابق بين واقع حياته الشخصية في كل جزئية من جزئيات نشاطه وبين مقتضيات التصور الذى يقوم عليه اعتقاده وهو يؤديها ثانية في دعوة الآخرين الى هذا المنهج وبيانه لهم مدفوعا بدوافع كثيرة أولها دافع أداء الشهادة وثانيها حب الخير للناس . وثالثها شعوره بأن تبعة ضلال الناس واذا ضلوا - انما تقع على عاتقه هو مالم يبين لهم .
وهو يؤديها أخيرا بالعمل على تحقيق منهج الله في حياة الناس واقامة النظام الذى ينبثق من ذلك التصور ، واقامة حياة الجماعة الانسانية على أساس هذا النظام ." (٢)

---

(١) معالم في الطريق ص ٢٢ / ٢٩ بتصرف .
(٢) خصائص التصور الاسلامى ص ١٨٦ - ١٨٧ .

والحركة التى هى طابع العقيدة الاسلامية وطابع هذا المجتمع الذى انبثق منها لا تدع أحدا يتوارى ، فالفرد في هذا المجتمع لابد أن يتحرك الحركة في عقيدته وفي دمه ، وفي مجتمعه وفي تكوين هذا المجتمع العضوى . ان الجاهلية من حوله وبقية من رواسبها في نفسه وفى نفوس من حوله ، والمعركة مستمرة ، والجهاد ماض الى يوم القيامة".[١]

رابعا : انه منهج جاد :

فالجدية سمة أصيلة في هذا الدين ومنهجه : (قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) .[٢]

" ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة . حذرهم ان يتبعوا خطوات الشيطان ، فانه ليس هناك الا اتجاهان اثناء اما الدخول في السلم كافة ، واما اتباع خطوات الشيطان . اما هدى واما ضلال ، واما اسلام واما جاهلية ..... وبمثل هذا الحسم ينبغى أن يدرك المسلم موقفه ، فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات " .[٣]

وقوله جل وعلا في السرقة وجزاء السارق : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).[٤]

---

(١) معالم في الطريق ص ١١٨ بتصرف بسير .
(٢) سورة الرعد آية / ٣٠
(٣) في ظلال القرآن م ١ ص ٢١١
(٤) سورة المائدة آية / ٣٨ .

وهو تشريع جاد ينبغي أن ينفذ " وجميع شرائعه التى سنها الله بمقتضى ألوهيته وعبوديتهم له وعاهدهم عليها وعلى القيام بها هى التى يجب ان تحكم هذه الارض وهى التى يجب أن يتحاكم اليها الناس فالله رب الناس يعلم ما يصلح للناس ويضع شرائعه لتحقيق مصالح الناس الحقيقية • وليس أحسن من حكمه وشريعته حكم أو شريعة أخرى ".(١)

خامسا : انه منهج ذو طبيعة مرحلية :

فهو منهج يقابل الواقع بكل مواقفه وحالاته ، ويشرع للناس الامور بما يناسب تلك الحالات •

فمنهج هذا الدين هو الواقعية الحركية ، فهو حركة ذات مراحل كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية وكل مرحلة تسلم الى المرحلة التى تليها ، فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة ".(٢)

" فعندما يتعلق الامر أو النهى بقاعدة ايمانية أو مسألة اعتقادية يقضى الاسلام فيها قضاء حاسما منذ اللحظة الاولى • وعندما يتعلق الامر أو النهى بعادة وتقليد أو بوضع اجتماعى معقد فالاسلام يتريث به

---

(١) في ظلال القرآن م ٢ ص ٨٨٨ بتصرف يسير •

(٢) معالم في الطريق م ١ ص ٢٢٩

ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج ويهيء الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة "[1] فالخمر حرمت على مراحل، والدين الاسلامي ككل تم مراحل .

سادسا : انه يحث على التفاني في سبيل الله :

المنهج الرباني يكلف اتباعه استرخاص أنفسهم وأموالهم في سبيل الله مؤكدا أن هذا العمل له ثواب جزيل وأجر عظيم :

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).[2]

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[3]).

ان القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة ، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الايمان وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة ، وانتصار العقيدة على الالم ، وانتصار الايمان على الفتنة ..[4]

---

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ٢٢٩

(٢) سورة التوبة آية / ١١١

(٣) سورة البقرة آية / ٢٠٧

(٤) معالم في الطريق ص ١٧٦ وانظر في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٨٧٤

سابعا : للمنهج هدف أرضي محدد :

وهو سيادة الاسلام وأنظمته وتشريعاته على الارض وتحطيم الشرك بجواذبه وادياته ، فالجهاد ينبغي - مثلا - أن يكون هدف المسلم منه نيل رضوان الله والفوز بالجنة .

وهذا يتحقق بطاعة الله والتقيد بشريعته ، وليس بنصر مادى[1]، ونيل غنائم وأشياء متعلقة بالارض " انها طبائع الاشياء ... انها أولا طبيعة المنهج الاسلامى التى يعرفها جيدا - ويستشعرها بالفطرة - أصحاب المناهج الاخرى ، طبيعة الاصرار على اقامة مملكة الله في الارض ، واخراج الناس كافة من عبادة العباد الى عبادة الله وحده وتحطيم الحواجز المادية التى تحول بين الناس كافة و بين حرية الاختيار الحقيقية[2]".

ثامنا : انه نابع من مشيئة الهية :

الجهد البشرى مهما أوتى من قوة في تحقيق المنهج الربانى فمرده أولا وأخيرا الى الله جل جلاله :

(وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [3]

قال سيد قطب - رحمه الله - :" ان كل شيء في هذا الوجود مرده الى مشيئة الله وأن ما يأذن للناس من قدرة على الاختيار هو طرف مشيئته ككل .... شأنه شأن ما يأذن به للملائكة من الطاعة المطلقة

---

(١) في ظلال القرآن م ٣ ص ١٥٨٦

(٢) سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة لمحمد توفيق بركات ص ٦٦ بتصرف .

(٣) سورة التكوير آية / ٢٩ .

ولابد من اقرار هذه الحقيقـــة في تصـــور المؤ منين ".[1]

" ان كون هذا المنهـج الالهى متروكـــا تحقيقه للجهد البشرى فـــــى حدود الطاقـة البشريـة وفي حدود الواقـع المادى للحيـاة الانسانيـة فـــى شتى المدارج، وشتى البيئآت ... لايعنى استقلال الانسان نهائيـــــا بهذا الامر وانقطاعـه عن قدر اللـه وتدبيره ومدده وعونـه وتوفيقـــــه وتيسيره ... فتصور الامر على هذا النحو مخالـف في أصوله لطبيعـــة التصور الاسلا مـى ".[2]

ان المسلم ـ اذن ـ حين يبذل الجهـد الصادق يجب ان يترقب العـــــون من اللـه وأن يترقـب نصـر اللـه ، أى تدخلـه سبحانه وتعالـــى بالتأييـد والتيسيـــر .

* * *

---

(١) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٨٤٣

(٢) هذا الدين لسيد قطب ص ١٢

الخامس : الاخـــــلاق :

لاشك أن الاخلاق عنصر مهم بالنسبة للمجتمع واصلاحه فأعظم مؤثر فـــــى الالفـة الاجتماعيـة على الاطلاق هو حسن الخلق ومن ثم فأفراد أى مجتمـــع لايمكن أن يعيشـوا متعاونين متفاهمين سعداء مالم يرتبطوا ببعض بـــروابـط قويـة متينـة من الاخلاق الفاضلـة الكريمـة[1] فاذا انعدمـت هذه الاخـــــلاق وسيطر على النفوس حب الدنيا ومتاعها وشهواتها - والعياذ باللــــــه - فكيف سيكون حال هذا المجتمع ؟ لاشك أنه ستسفك فيه الدماء وتستبـــــاح الحرمات وتضيع القيم والمبادىء ، ويباع الدين والشرف وكل معنــــــــى انسانى عظيم فيغش التاجـر ويظلم القاضى ويتسلط الرئيس ، ويقتــــــل الابن أباه ويبيع الاخ أخاه ، ويزنـى المجرم بعمته أو خالته ويخـــــون الطبيب مهنته ٠٠٠٠٠ الخ ٠

ودفعا لهذا كله حث ديننا الاسلامى القويم على حسن الخلق كثيرا لانــــــه موجب للتجـاب والتآلف والعيش في أمن واستقرار ٠٠٠٠ ومن ثم فعصرنـا الحاضـر يتطلب أن نهيء نفوسنـا تهيئة روحية ايمانيـة خلقية علميـة وذلك للنهوض بمجتمعنـا الاسلامى الى خيـر المستويات مستهدفيـــن مافيه مصلحة ديننا ودنيانـا ٠٠٠٠ واعرف ابتداء معنى الخلق في اللغـــة والاصطلاح ٠

---

(١) الاخلاق الا سلامية وأسسها للدكتور عبد الرحمن الميداني ج ١ ص ٢٩

* **الخلق في اللغـة :** يقول فيه ابن منظـور :

" الخلق والخلق بضم وبضمتين : السجية والطبع والدين ، وتخلق بخلق كذا استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته وقوله تخلق مثل تجمل أى اظهر جمالا وتصنع وتحسن انما تأويله الاظهار ، وفلان يتخلق بغير خلقه أى يتكلفه .(١)

* **الخلق في الاصطلاح :**

" عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال والاقوال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية(٢) فاذا ربيت هذه الهيئة على ايثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة في الخير وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح وأصبح ذلك طبقعا لها تصدر عن الافعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه : خلق حسن .

ونظرا لوجود هذا الاستعداد الاخلاقى عند الانسان كان من الاشياء المهمة والضرورية في بعثة الرسل عليهم السلام تقوم أخلاق الناس قال تعالى :

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ).(٣)

وقال جل شأنه في ثنائه على نبيه صلى الله عليه وسلم لحسن خلقه

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ).(٤)

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٨٨٩ .

(٢) تهذيب الأسماء لابن مسكويه ، ص ٣١ .

(٣) سورة آل عمران آية / ١٦٤

(٤) سورة القلم آية / ٤

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[١]

وقال ايضا في حديث آخر : " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من يوم القيامة من خلق حسن فان الله تعالى ليبغض الفاحش البذى" [٢] .

وذكر في حديث آخر : " ان من أحبكم اليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان من أبغضكم اليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون ، والمتفيهقون ، قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : المتكبرون [٣]،

كما أوصى بقوله صلى الله عليه وسلم : " اتق الله حيث ماكنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ". [٤]

وذكر عليه أفضل الصلاة والسلام : "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء ". [٥]

---

(١) مسند أحمد جـ ٢ ص ٣٨١ ، والمستدرك ٢/ ٦١٣ وفيه " صالح " بدلا من مكارم . وقال صحيح ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الترمذى في كتاب البر باب ماجاء في حسن الخلق جـ ٣ ص٢٤٤ وقال حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذى في كتاب البر باب ماجاء في معالي الأخلاق جـ ٣ ص ٢٥٠ ، وقال فيه هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٤) رواه الرتمذى في كتاب البر باب ماجاء في معاشرة الناس جـ ٣ ص ٢٣٩ وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) رواه لاترمذى في كتاب البر ، باب ماجاء في اللعنة جـ ٣ ص ٢٣٦ ،وقال فيه : حسن غريب .

فهذا الحديث - وغيره كثير - يبين ان الاخلاق لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة في الايمان وان من لم يحسن خلقه فينطق لسانه بالسباب واللعن والخوض في الاعراض ولفظ الكلام القبيح فهو ناقص الايمان ، لم تملا العقيدة نفسه ولم يتمكن الايمان من قلبه ... والمرء لا يتم ايمانه الا اذا أدى ما أمر الله به ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - من عبادات وأخلاق وحسن معاملة للناس .

يقول الدكتور عبد الرحمن الميداني فى كتابه الاخلاق الاسلامية : " بلغت الاخلاق الاجتماعية في الاسلام مبلغا من الرقى العظيم ، جعلها في مركز القمة بما اشتملت عليه من تفصيلات موثقة للروابط الاجتماعية بين الافراد ومؤثرة تأثيرا عميقا في تغذية الجماعة الاسلامية وتنمية روابط المودة والاخاء بين المسلمين ". [١]

ونعلم جميعا أن اخلاق الاسلام بشكل عام - وخاصة الاجتماعية هى شاملة وكاملة وراقية وهى كذلك واقعية نستطيعها ونطيقها ونقدر على اكتسابها بما في وسعنا .

يقول تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [٢]

ويقول جل شأنه : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) . [٣]

---

(١) الاخلاق الاسلامية وأسسها للدكتور عبد الرحمن الميداني ج ١ ص ٥٢

(٢) سورة الحج آية / ٧٨

(٣) سورة البقرة آية / ٢٨٦ .

ثم يذكر الشيخ عبد الرحمن : " أن ما من انسان عاقل الا ولديه قدرة على اكتساب مقدار ما من فضائل الاخلاق : فمتى صمم بارادته أكتساب مقدار ما من خلق الحلم مثلا فانه يستطيعه ، فاذا أهمل تربية نفسه وتركها من غير تهذيب تنمو نمو أشواك الغاب فانه سيحاسب على اهماله وسيجنى ثمرات تقصيره ، وكذلك الامر بالنسبة لخلق حب العطاء وغيره من فضائل الاخلاق ". [1]

وفضائل الاخلاق كثيرة أذكر منها جانبا بسيطا من الاخلاق التى تصلح افراد المجتمع وتسعدهم وتجعلهم يعيشون في بيئة يسودها التآخى والتعاون والمحبة والايثار والعدل والرحمة ... فاذا فقدت هذه الاخلاق وغيرها تفكك افراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ثم أدى بهم ذلك الى الانهيار ثم الدمار والعياذ بالله .

أولا: الاخلاص :

نعلم أن اصلاح النية اخلاص الضمير والفؤاد لرب العالمين يرفعان منزلة أى عمل يعمله الفرد ذلك أن العمل يختلف باختلاف الاسباب والدوافع اليه فقد يكون خيرا أو قد يكون شرا ، فالعبادة خير ان كانت خالصة لله وهى شر ان كانت للمباهاة والتظاهر أمام الناس لان في ذلك فساد القلب بحب السمعة والرياء والمولى عز وجل لا يجهل حقيقة ذلك .

---

(١) الاخلاق الاسلامية للدكتور عبد الرحمن الميداني ج ١ ص ١٨١ بتصرف

يقول تعالى : (رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ .)[1]

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .[2]

ويعلق الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ على هذه الآية بقوله : " لو استحقر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها . بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول وانها وحدها لكافية ليعيش بها الانسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظه لا تغفل عن المحاسبة ".[3]

وأمثلة كون العبادة كذلك كثيرة فالصلاة وان كان يراد بها التوجه الى الله فهى خير ان صحبها خشوع وخضوع ، ونهت بالتالى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وهى شر ان خالطها رياء وايذاء للغير ولسان فاحش ومعاملة سيئة .

والجهاد خير ان كان القتال فيه لاعلاء كلمة الله وأمتثال أمره ، وهو شر ان زهقت روح المجاهد حمية أو شجاعة أو رياء : " فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أى ذلك في سبيل الله فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله

---

(١) سورة ابراهيم آية / ٣٨

(٢) سورة ق آية / ١٦

(٣) في ظلال القرآن م ٦ : ص ٣٣٦٢

هى العليـا فهو في سبيل اللـه " .[1]

والصدقة خير ان أخفيناهـا كما قال عليـه الصلاة والسلام : " حتى لا تعلـم شمالـه ما تنفق يمينـه[2] " . واعطيناها لمستحقيها وهى شر ان قصدنـا بها الرياء أو الاستعلاء على العباد واذلال المعطاة لـه باحراجـه أمام النـاس أو بالمن والاذى .

يقول تعالى : (**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**).[3]

ويوضح هذا الشر الاستاذ سيد بقولـه: المن عنصر كريـه ، لئيم وشعور خسيس فالنفس البشرية لا تمن بما أعطت الا رغبـة في الاستعلاء الكاذب أو فـى اذلال الآخـذ أو في لفت انظار الناس ، فالتوجـه اذن للناس لا للـه بالعطاء والمن يـحيل الصدقة أذى للواهـب وللآخـذ فللواهب بما يثيـر في نفسـه من كبر وخيـلاء وبما يملا قلبـه بالنفاق والرياء والبعد عـن اللـه ، وأذى للآخـذ بما يثير في نفسـه من انكسار وانهزام ومن رد فعـل بالحقد والانتقـام ".[4]

واخلاص العبادة للـه لايكون في الامور التشريعية المفروضة والمستحبـة فقط بل يشمل اخلاص المعاملـة مع الناس لانـهم أولا وأخيرا هـم خلق اللـه .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا جـ١٣ص٤٩

(٢) البخارى في كتاب الاذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة جـ٢ص١٢٠ من فتح الباري .

(٣) سورة البقرة آية / ٢٦٢

(٤) في ظلال القرآن م١ ص ٣٠٦/ ٣٠٧ باختصار .

نعم ان الاخلاص خلق فاضل يدل على الصفاء الداخلي للانسان فهو اذا خالط النفوس أمدها بقوة عجيبة لاتقات الاعمال جميعا ومقاربة الصواب في ذلك ، وعلم أصحابها الزهد في عرض الدنيا أيا كان شهرة أو مالا أو منصبا أو رئاسة - فهو الذى يجعل الاستاذ يتقن درسه ويبذل جهده في الشرح والتدريس بحيث يفهم جميع الطلاب ، ويدفع القاضي الى تدقيق النظر في القضايا وعدم اصدار الحكم الا بعد تبيان الحق فيه ، وهو الذى - أى الاخلاص - يشرح صدر البخيل للانفاق فى بعض وجوه البر خاصة بعد تأمله الآيات الداعية الى ذلك واقتناعه بها والتى منها الآية التى تبين سبب فلاح المتقين :

يقول تعالى : (**ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ**) . (١)

ويفسرها الاستاذ سيد قطب بقوله : " فهم يعترفون ابتداء بأن المال الذى في أيديهم هو من رزق الله ، ومن هذا الاعتراف ينبثق البر بضعاف الخلق ، والتضامن بين عيال الخالق والشعور بالآخرة الانسانية وبالآصرة البشرية .... وقيمة هذا كله تتجلى في تطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر ، وانها تجعل الحياة مجال تعاون لا معترك تطاحن ، وأنها تؤمن العاجز والضعيف والقاصر وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس لا بين أظفار ومخالب وأنياب .... والانفاق يشمل الزكاة

---

(١) سورة البقرة آية / ٣

والصدقة وسائر ما ينفق في وجوه البر "[1] حتى ما ينفقه الرجل على أهله وعياله ، فاذا أخلصه لرب العالمين ارتفع عمله هذا الى عبادة متقبلة لقوله صلى الله عليه وسلم : " اذا انفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة " .[2]

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة ".[3]

والاخلاص هو الذى يجعل الجندى المؤمن يدافع عن حرمات الله ومقدساته ويتحمل في ذلك المشقة والعناء ، وهو الذى يصون التاجر عن أن يخون الذى أتمنه في صنف البضاعة أو قيمتها ، والحاصل ان المخلص مهما كانت مهنته أو عمله والذى يعد من ذوى الالباب نراه دائما بتيقن جميع اعماله ابتغاء مرضاة الله ، نراه يدعو الى الخير وينهى عن الشر ويأمر بالمعروف ويهدى الى الحق والعدل ويقاوم الباطل والظلم ويغير بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ، نراه يعمل كل عمل يبتغى به وجه ربه فيصبر على أذية الناس وينفق على المحتاج منهم سرا أو علانية ويدفع السيئة بالحسنة وهذا ما أشار اليه الاستاذ سيد رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى :

---

(١) في ظلال القرآن م ١ : ص ٤٠ باختصار يسير .

(٢) البخارى في كتاب النفقات وفضل النفقة على الاهل جـ ٩ ص ٤٣٧ من فتح البارى وفيه الاحتساب : القصد الى طلب الاجر . ومسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الآخرين جـ ٧ ص ٨٨ وفيه احتسابها : أى أراد بها وجه الله .

(٣) البخارى في كتاب المزارعة باب فضل الغرس والزرع جـ ٥ ص ٢ من فتح البارى ومسلم في كتاب المساقات باب فضل الغرس والزرع جـ ١٠ ص ٢١٥ .

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ).[1]

وفي وصف أولي الالباب حيث قال : والصبر ألوان، وللصبر مقتضيات صبر على تكاليف الميثاق ، وصبر على النعمة فلا بطر ولا كفر وصبر على حماقات الناس وجها لتهم .... وصبر كله ابتغاء وجه ربهم وينفقون سرا حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة وعلانية حيث تطلب الاسوة وتنفذ الشريعة ، وقاتبلون السيئة بالحسنة في التعاملات الشخصية بين المتماثلين لافي دين الله لانه حينما تحتاج السيئة الى القمع ويحتاج الشر الى الدفع".[2]

فلا مكان لمقابلتها بالحسنة لئلا يتفش الشر ويتجرأ ويستعلى.

ونلاحظ هنا - في الآية السابقة - أن الجزاء مدخر ولكن المولى عز وجل يخبرنا في آية أخرى انه يعجل بجزاء العمل الصالح المخلص المتقن في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة . فيقول جل شأنه :

(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .[3]

---

(١) سورة الرعد آية / ٢٢

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٧ / ٢٠٥٨ باختصار .

(٣) سورة النحل آية / ٩٧

ويعلق مؤلف الظلال على هذه الآية بقوله : " والعمل الصالح مع الايمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الارض ، والحياة تطيب بأمور كثيرة ولا يهم أن تكون بالمال الوفير فقط ، منها الاتصال بالله والاطمئنان الى رعايته وستره ورضاه ومنها الصحة والهدوء والرضى ، والبركة ، ومنها سكن البيوت ومودات القلوب .... والحياة الطيبة في الدنيا لا تنقضي من الاجر الحسن في الآخرة ".(١)

والحديث عن الاخلاص في جميع الاعمال ـ عبادات أو معاملات ـ واتقانها والتفاني فيها يتشعب ويطول ، وله من المآثر الشيء الكثير ، لذا ينبغي علينا ان نخلص لوجه ربنا العظيم ومن ثم نربي أبناءنا وبناتنا على الاخلاص في كل ما يفعلون وكل ما يقولون ، ونبين لهم ان الامة الاسلامية المؤمنة اذا أخلص كل فرد فيها فلم يغش التاجر ولم يهمل الطالب ولم يتكاسل الجندى ، ولم يغتر المدرس ولم يتقاعس الفلاح ولم يندفع القاضى ولم يخن المحاسب . وتحمل كل شخص مسئولية عمله . واتقنه وأخلص فيه لوجه الله تعالى ولم ينتظر المقابل من أهل الدنيا .... صلحت هذه الامة وفلحت وعاشت في أمان واستقرار وراحة بال .

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٤ : ص ٢١٩٣ باختصار .

ثانيا : الرحمـــــة :

نرى المؤ من الصادق الايمان يتميز عن غيره من الناس بأنه ذو قلـــب رحيم حتى يتقبل الاحداث ويتجاوب مع الاشخاص ، ويتألم مع المريض ويحزن مع الحزين ويرفق بالضعيف ويعطف على المسكين ، ويمد يـــده للمحتاج ، وهو بهذا القلب لا يؤذى أحدا ولا يرتكب جريمة ويصبح مصدر خير وبر وسلام وصلاح لمن حوله ٠

وهو يحاول بقدر طاقته البشرية أن يتخلق بأخلاق خالقه العظيم والتي منها الرحمة ، والرحمة في أفقها الاعلى وامتدادها المطلق صفة للمولى تباركت أسماؤه ٠

كما نعلم - فان رحمته شملت الوجود وعمت الكون ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة ٠ (١)

فبرحمته ينزل على عباده الشريعة التى تكفل لهم الخير والسعادة في الدارين ، وبرحمته يرسل لهم الرسول الذى هو رحمة للعالمين ، وبرحمته يغفر للمسيئين وبرحمته يستجيب للمضطرين ، وبرحمته يرزق الجميع وبرحمته يدخل المؤ منين الجنة (٢)٠ كما أنه جل شأنه كتب على نفسه الرحمة ووصف بها نفسه بأنه أرحم الراحمين ٠ والآيات القرآنية كثيرة في الدلالة على سعة رحمته أذكر منها :

---

(١) خلق المسلم للغزالى ص ٢٠٩ بتصرف يسير ٠

(٢) الاخلاق الاسلامية وأسسها د/ عبد الرحمن الميداني ج ٢ ص ١٤ بتصرف

(١) (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).[1]

(٢) وقوله تعالى : (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ)[2]

(٣) وقوله تعالى : (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا).[3]

(٤) وقوله تعالى : (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ).[4]

فكل ما نراه على وجه الارض من تعاطف وبر ومن تراحم وود فهو أثر من رحمة الله العظيمة الواسعة .

يقول صلى الله عليه وسلم : " جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم

---

(١) سورة الانعام آية / ١٢

(٢) سورة الانعام آية / ١٣٣

(٣) سورة الكهف آية / ٥٨

(٤) سورة الانبياء آية / ٨٣ : ٨٤ .

الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ".[1]

ومن رحمته جل وعلا ارساله الرسل لهداية البشر .

يقول الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - " ان الله سبحانه وتعالى انما يرسل رسله رحمة بالعباد فهو غني عنهم وعن ايمانهم به وعبادتهم له اذا أحسنوا لانفسهم في الدنيا والآخرة وتتجلى رحمته أيضا في الابقاء على الجيل العاصي مع قدرته على اهلاكهم ".[2]

ومن رحمته جل وعلا أن ارسل محمد صلى الله عليه وسلم الرسول السهل اللين العطوف الرحيم رحمة للعالمين ، وجعله أكثر عباد الله رحمة وألطفهم عاطفة وأرحمهم صدرا .

يقول تعالى : (**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ**).[3]

ويقول جل شأنه : (**فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ**).[4]

ومن رحمته جل شأنه أنه وضع الرحمة في قلوب الناس ، فبها يتراحمون ويتوادون.

---

(١) البخارى في كتاب الادب باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ج ١٠ ص ٣٦٢ من فتح البارى ، ومسلم في كتاب التوبة باب سعة رحمة الله ج ١٧ ص ٦٨ .

(٢) **انظر : في ظلال القرآن ، م ٣ ، ص ١٢١٠ بتصرف يسير .**

(٣) سورة الانبياء آية/ ١٠٧

(٤) سورة آل عمران آية / ١٥٩ .

ولقد استنكر الاسلام القسوة لانها جفاف في النفس لا يرتبط بمنطق ولا عدالة اما الرحمة فهى أثر من الجمال الالهى الباقى في طبائع الناس يدفعهم الى البر والتعاطف والتآلف[1] واهتم الاسلام بفئة معينة من الناس ووجه الانظار اليها لتحظى أكثر من غيرها بزيادة رحمة روعاية كالوالدين مثلا فرحمتهما بأبنائهما رحمة فطرية لا ينتظر أن مقابلها عوضا ، ولكن الابناء ينبغى أن يقابلوا الرحمة بالرحمة .... وأن يتوجهوا باهتمامهم وبرعايتهم الى جيل الآباء والامهات ليذكروا واجب الجيل الذى أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف .

يقول تعالى :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل

---

(١) خلق المسلم لمحمد الغزالي ص ٢١٣ بتصرف .

لَهُمَـــا قَوْلاً كَرِيمـــاً ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَـا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَـةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـــا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيـــراً).[1]

نلاحظ هنا أن الامر المؤكـد بالاحسان الى الوالدين يجيء في صورة قضـاء من اللـه فيحمل معنى الامر المؤكـد وفيه يستجيش وجدان البر والرحمـة في قلوب الابناء فكلمـة " عندك " تصور معنى الالتجاء والاحتماء فـي حالـة الكبر والضعف وقولـه(فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) هى أول مرتبـة من مراتـب الادب والرعايـة ثم يليهـا (قل لهما قولا كريما) ثم يليهـا (وأخفض لهمـا جناح الذل من الرحمـة) وهنا يشف التعبير ويلطـف ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان ٠٠٠٠ فهى الرحمة ترق وتلطف حتـى لكأنهـا الذل الذى لا يرفع عينـا ولا يرفض أمرا ، وكأنما للذل جنـاح يخفضـه ايذانـا بالسلام ، وأخيرا يكون التوجـه الى اللـه بأن يرحمهمـا لا ن رحمتـه جل وعلا أوسع ورعايتـه أشمل وجنابـه أرحب وهو أقدر علـى جزائهمـا مما لا يقدر عليـه الابناء ٠ [2]

وبر الوالدين والاحسان اليهمـا يتطلب حنانا ورحمـة وصبرا وتسامحـا ومخالفـة لرغبات النفس ومصاحبـة بالمعروف وطاعـة دائمة الا فيمـا يغضب اللـه ٠٠٠٠٠ والآ يات الكريمـة والاحاديث الشريفـة في ذلك كثيـرة

---

(١) سورة الاسراء آية / ٢٣ ، ٢٤

(٢) في ظلال القرآ ن جـ ٤ ص ٢٢٢٢ بتصـرف ٠

ومعظمهما يدل على أن من ادرك والديه أو احدهما فبرهما وأحسن اليهما ورحمهما كبيرين فقد ظفر بتجارة رابحة وعمه فضل الله ورحمته وذلك بادخاله جنته ٠

يقول صلى الله عليه وسلم : " رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه، قيل من يارسول الله ؟ قال : " من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة ".[1]

ويلي الوالدين أولو الارحام فهم أولى الناس بالرحمة لا ن لهم حق قرابة الرحم ثم حق أخوة الاسلام وتكون صلتهم بزيارتهم والسؤ ال عنهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم ومساعدتهم والتصديق على الفقير منهم وزيارة المريض منهم وغير ذلك مما يحتاج اليه كل مسلم من أخيه المسلم ٠

وهناك آيات كريمة وأحاديث شريفة عديدة تحث على صلة الرحم وتبين ما لصاحبها من ثواب جزيل ومعجل في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة وتوضح أيضا ما لقاطع الرحم والعياذ بالله من عذاب معجل في الدنيا مما يدخر له في الآخرة ٠٠٠٠ اذكر منها ذلك :

(١) قوله تعالى في وصف المؤ منين أهل الجنة : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ) ٠[2]

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها جـ ١٦ ص ١٠٩

(٢) سورة الرعد آية / ٢١

(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " .[١]

(٣) وقوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)[٢]

(٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : " لايدخل الجنة قاطع رحم ".[٣]

(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ".[٤]

ولقد أكد الاستاذ سيد رحمه الله على هذه المسألة - صلة الرحم - عند تفسيره لقوله تعالى (واتقوا الله الذى تساء لون به والارحام) فقال " اتقوا الارحام أى أرهفوا مشاعركم للاحساس بوشائجها . والاحساس بحقها وتوقى هضمها ، وظلمها - توقوا أن تؤذوها وأن تجرحوها وتغضبوها أرهفوا حساسيتكم بها وتوقيركم لها .[٥]

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها جـ ١٦ ص ١١٣ بشرح النووى .
(٢) سورة النساء آية / ١
(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها جـ ١٦ ص ١١٣ بشرح النووى .
(٤) رواه الترمذى في ابواب القيامة جـ ٤ ص ٧٤ وقال فيه هذا حديث صحيح .
(٥) في ظلال القرآن ١ : ص ٥٧٥ .

وتليهم رتبة الجيران فالجار حقه عظيم كما هو معروف عند العرب فقد كانوا يحترمون الجوار في الجاهلية ويعتزون ويفتخرون بثناء الجار عليهم .... وقد أكد الاسلام حق الجار وحث عليه وجعله كالقرابة وجعل اكرام الجار والاحسان اليه من متممات الايمان ومن مظاهر التراحم بين المسلمين .

يقول صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ".[١]

ومن أكرامه أن يطعمه من طعامه اذا كان فقيرا ، وان كان غنيا يهدى له منه ، ويشاركه في أفراحه ويواسيه في أحزانه ويرشده وينصحه اذا احتاج لذلك ، ويعوده اذا مرض ، ويسد عنه دينه اذا استطاع أو يعاونه في ذلك ، ويعطف على أطفاله ويرحمهم ، ويحفظه في أهله وماله ولا يتجسس عليه ولا يخونه ولا يحتقر هديته ..... الى غير ذلك من حقوق الجار والاحسان اليه فقد جاء الامر بالاحسان الى الجار ومعاملته بكل مودة ورحمة في القرآن الكريم حيث يقول تعالى :

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ). الآية [٢]

---

(١) رواه البخارى في كتاب الادب باب " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ج ١٠ ص ٣٧٣ من فتح البارى ، ومسلم في كتاب الايمان باب الحث على اكرام الضيف ج ٢ ص ١٨ بشرح النووى واللفظ لمسلم .

(٢) سورة النساء آية / ٣٦

فنلاحظ في هذه الآية الكريمة أن المولى عز وجل يرفع من شأن المعاملات البشرية الانسانية الى درجة عالية من العقيدة في الله فمن هذه العقيدة الطيبة تتبع كل التصورات الاساسية للعلاقات الانسانية جميعها : الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاخلاقية ..... **فعاطفة الرحمة** والحنان والمشاركة تبدأ في البيت في الأسرة الصغيرة عن طريق الوالدين ، ثم يأتي دور الأبناء بعد ذلك برد الجميل والعرفان للوالدين وتنطلق بعد ذلك الى خارج محيط الأسرة ، فالكل يسعى لتقديم العون والحاجة وتقديم الرحمة لذوى القربى واليتامى والمساكين والجار فنجد أن البداية تبدأ بالجار ثم جار الجار وتنتشر في الحي ثم المدينة فتعم المسلمين جميعا .[1]

وبمراعاة حقوق الجيران تحصل المودة وتتوثق الالفة والرابطة الاجتماعية بين المسلمين .... فالتراحم ميزة تميز المجتمع المسلم ونلاحظها أكثر ما تظهر في الاقوياء والجيران والاصحاب وكل من يستحق الرحمة من الضعفاء وذوى الحاجات كاليتامى الذين فقدوا نصيرهم وراعيهم الحنون العطوف عليهم فأصبحوا عرضة للاهمال من جهة ، ومطمعا للطامعين من جهة أخرى ، وكالنساء الضعيفات بأصل فطرتهن اللاتى أوجب الاسلام اكرامهن ومعاشرتهن بالمعروف والصبر على عوجهم والعطف عليهم ومن ماثلهم من الضعفاء والمحتاجين للرحمة ، كالمرضى

---

(١) انظر : ظلال القرآن ، م ٢ ، ص ٦٦٠ .

وأصحاب العاهات فأمثالهم يجب ان نحذر من الاساءة اليهم والاستهانة براحتهم ، بل من الرحمة ان نخفف عليهم مما ابتلاهم به الله وأن نعودهم ونسأل عنهم وندعو لهم ولا نفسنا بالرحمة :(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) (١)

وكذلك الخادم والاجير فهما من الضعفاء المحتاجين ، ينبغي ألا نكلفهم من الاعمال فوق طاقتهم ، الا نغلظ لهم لانهم بشر يتألمون بأجسامهم وتجرح مشاعرهم . يقول صلى الله عليه وسلم : " اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه ". (٢)

ومع ذلك نرى بعض الناس يعامل خادمه بالعنف والشدة ويخاطبه بما لا يجوز ولا يليق بأدب الشخص المسلم ولا بمروءة الشريف الحليم ولا يخشى تلك العاقبة : " لا يرحم الله من لا يرحم الناس " (٣) ولأنه أصبح بذلك مخالفا لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وغير مقتد به : فعن أنس قال : (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر

---

(١) الترمذي في كتاب البر باب ماجاء في رحمة الناس ج ٣ ص ٢١٧ وقال فيه هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري في كتاب الايمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ج١ص١٦ وج١ص ٨١ من فتح الباري ومسلم في كتاب الايمان باب صحبة المماليك ج ١١ ص ١٣٣ بلفظ مختلف .

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ج ١٣ ص ٣٠٣ من فتح الباري ، ومسلم في الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم وتواضعه ج ١٥ ص ٧٧ بشرح النووي وبلفظ الترمذي .

سنين فما قال لى أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت ؟ (١) .

ومن ثم فالاسلام لا يأمرنا بالتراحم والتعاطف مع البشر فقط ، بل يأمرنا بأن نرفق ونرحم الحيوانات أيضا وخاصة الاليف منها والمفيد لنا والذى تظهر منافعه في الآيات الكريمة .

يقول تعالى : (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ). (٢)

ويذكر الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ تعليقا على هذه الآيات فيقول فيه :

" ان القرآن الكريم وهو يعرض هذه النعمة ـ نعمة تسخير الانعام للناس ـ يلبى بها ضرورات البشر ، ففى الانعام دفء من أصوافها وأوبارها ، وفيها منافع بألبانها ولحومها وسمنها .. وفيها جمال الاستمتاع برؤيتها وهى صحيحة وسمينة ، وهذا يتطلب رفقا بها ورحمة ورعاية ـ وبها تحمل الاثقال الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، وفى هذا كله رحمة بالانسان (٣) ، فاذا لم يستشعر الانسان منافعها

---

(١) رواه البخاري في كتاب الادب باب حسن الخلق جـ ٧ ص ١٠٩ ، ورواه الترمذى في كتاب البر باب ماجاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم جـ٣ ص٢٤٨ ، وقال فيه هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في كتاب الادب باب في الحلم وأخلاق النبي جـ ٤ ص ٢٤٦ .

(٢) سورة النحل آية / ٥ : ٨

(٣) في ظلال القرآن م ٢ ص ٢١٦١ بتصرف .

وأرهقهـا وحملهـا فوق طاقتها ذهب مافيها من جمال وزينة ، واذا أهملها وعذبهـا فلم يطعمهـا أو يسقيهـا أو استمتع بمنظـر تعذيبهـا وأنينهـا ، ولم يرحمهـا اكتسب ذنبا عظيما .

يقول صلى الله عليه وسلم : " عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيهـا النار لا هى أطعمتهـا وسقتها اذ حبستها ، ولا هـى تركتها تأكل من خشاش الارض " (١)

والانسان مطالب بالرحمة والرأفة بالحيوانات حتى في حال ارادة ذبحهـا أو قتلهـا . يقول صلى الله عليه وسلم : " ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحـد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " . (٢)

والمرء اذا رحم الناس والدواب بتركهم يأكلون مما زرعه أو غرسه كـان له بكل أكلة صدقة يقول صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم غـرس غرسـا فأكل منه انسان أو دابه الا كان له صدقة " (٣)

بل ان هذا الثواب ليتضاعف بمقدار الرحمة الموجودة في قلب المسلم للنـاس

---

(١) رواه البخارى في كتاب المزارعة باب فضل سقى الماء جـ ٥ ص ٣٢ من فتح البارى ، ومسلم في كتاب قتل الحيات ونحوها باب تحريم قتل الهرة جـ ١٤ ص ٢٤٠ واللفظ لمسلم .

(٢) رواه مسلم في كتاب الصيد باب الامر باحسان الذبح جـ ١٣ ص ١٠٦ والترمذى فى كتاب الديات باب النهى عن المثلة جـ ٢ ص ٤٣١ وقال فيه حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم جـ ١٠ ص ٣٦٨ من فتح البارى ومسلم في كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع جـ ١٠ ص ٢١٥ .

أو للبهائم ٠

يقول صلى الله عليه وسلم : " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه ثم امسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ٠ قالوا يارسول الله وان لنا في البهائم لاجرا ، فقال : " في كل ذات كبد رطبة أجر " ٠[(١)]

وهكذا - فالمجتمع المسلم الذى تسوده عواطف كريمة ومشاعر نبيلة تفيض بالخيرات والرحمات هو مجتمع صالح سعيد كالمجتمع المسلم الاول ، الذى كان الفرد الرحيم فيه يوصي قبل مماته أن يستمر عمله الخير أو ماله الطيب في اعمال البر والرحمة كاطعام الجائع ، وكفالة اليتيم وكسوة العريان ، وأكرام الضيف وتعليم الجاهل ومعاونة المحتاج - المريد الزواج ، ولا كفاية معه ، والكثير العيال الذى لا مهنة ولا كسب له - وبناء دور للعجزة والمساكين ، وبناء أماكن لاقامة حفلات العرائس وجعلها وقفا لله وغير ذلك ٠٠٠٠٠٠

---

(١) رواه البخارى في كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم جـ ١٠ ص ٣٦٦ من فتح البارى ومسلم في كتاب قتل الحيات ونحوها باب فضل سقى البهائم المحرمة جـ ١٤ ص ٢٤١ ، ومالك في الموطأ في كتاب صفة النبي فى ماجاء في الطعام والشراب جـ ٢ ص ٩٢٩ ٠

ثالثا : العـــدل :

نعلم أن العدل هو اعطاء كل ذى حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيـــادة ولا نقصان ومن أجل ذلك كان الميزان رمزا لاقامة العدل .[1]

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).[2]

فالاسلام جاء لينشىء وينظم هذه الامة ويقيم لهـا نظاما ومن ثم جـــاء بالمبادى ء التى تكفل تماسك الجماعة المسلمة ، وتضمن أمنها وأطمئنانها والثقة بين أفرادهـا . ونرى الاسلام قد جاء . العدل الذى يكون قاعـــدة ثابتة للتعامل لا تتأثـر بالهوى أو بالود والبغض ولا تتغير نتيجـــة لنسب أو قرابة أو غنى أو فقـر أو قوة وضعف ، وانما تسير في طريـــق واحـد وتعطى الحق لكل صاحب حق دون تمييز بين الناس بل يتعامـــل مع الجميع بمقتضى ميزان واحـد لا يتغير وهو ميزان الحق والعدل ...... وهذا الامر مكفول لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم .[3]

فالمسلمون ينبغى أن يكونوا جميعـا سواسية دون تفرقة بين فـــرد وفـرد ، أو طبقة وطبقة ، أو بين نساء ونساء ، أما حين تدعو طبيعـــة الحياة للتفاضل فأساس هذا التفاضل هو التمييز بين الافراد بخصائصهـــم

(١) الاخلاق الاسلامية وأسسها د/ عبد الرحمن الميداني جـ ١ ص ٥٦٩

(٢) سورة النحل آية / ٩٠

(٣) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢١٩٠ بتصرف .

الفطرية المكتسبة فنرى أن العلماء يقدموا في مجال العلم ويقدم الشجعان في مجال الشجاعة ، وفى مجالات الاعمال يقدم الاكفاء لها ، وفى مجال التربية يقدم الاقدر عليها ، ويقدرم في مجال الولاية الجدير بها .... وهكذا في مختلف المجالات فالعدل يحتاج الى بصر نافذ ومهارة فائقة وخبرة بالاشياء والاعمال ومعرفة بقيمتها الذاتية والا صار الناس الى ظلم كبير وشنيع ... وعلى سبيل المثال في مجال الولاية يظهر لنا مفهوم العدل بوضوح حيث ينبغى أن نتيقن تمام التيقن قبل ان نعين فلان من الناس في منصب لا يستحقه .

ومراعاة العدل بين الناس في نصوص الشريعة الاسلامية كثيرة جدا يمكن أن نضعها في ثلاث نقاط رئيسية هي :

أولا: العدل في مجال الحكم والقضاء والشهادة :

حيث أوجب الاسلام التزام جانب العدل في الحكم والقضاء وفى اداء الشهادات دون أن نميز بين الناس أو نحابى أحدا على أحد .

يقول تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ). [1]

فدور هذه الامة الاسلامية يتمثل في الوصية على البشرية والعمل على اقامة العدل في الارض دون اعتبار لاى مودة أو شنآن أو أى أثر في

---

(١) سورة المائدة آية / ٨

اقامة العدل ودون خوف من الناس فهذه تكليف القوامة والوصاية والهيمنة ، ودون أن تتأثر بانحرافات الغير وأهوائهم وشهواتهم حتى لا تنحرف عن منهجها وشريعتها وطريقها القويم قدر شعرة بهدف ارضاء أحد أو تأليف قلبه انما المهم العمل لله ولتقواه . (١)

ولتأكيد هذا المبدأ : " وهو عدم التأثير بالنواحي العاطفية في اقامة العدل بين الناس "

جاء قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (٢)

ويذكر الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - تعليقا وتوضيحا على هذه الآية يقول فيه : (ان الاسلام يأخذ بيد البشر وضمائرهم الى مستوى رفيع من الاخلاق ومن العقيدة حتى تكون مراقبة الله سائرة في دمائهم فلا يزلون نتيجة ضعفهم البشري حيث يدفعهم تحيزهم للقرابة الى نصرتها وسندها خاصة في موقف أداء الشهادة لهم أو عليهم أو حينما نقضي بينهم وبين الناس فينبغي أن نقول كلمة الحق والعدل مقدمين مخافة الله وتقواه على مناصرة ذوى القربى وفاء لهم. (٣)

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢ ، ص ٨٢٩ بتصرف .

(٢) سورة الانعام ، آية / ١٥٢ .

(٣) في ظلال القرآن ، م ٣ ، ص ١٢٣٣ بتصرف .

وكذلك يبشر المولى عز وجل الحاكم العادل المقسط ـ الغير متأثر بأي أحد أو بأي ظرف من ظروف محبته تبارك وتعالى بقوله جل شأنه : (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). (١)

واعتقد أن ليس بعد محبة الله جل جلاله الا الحياة الطيبة في الدنيا والعيشة الرضية في الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم : " المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ". (٢)

ثانيا : العدل في مجال حق الحياة :

وهذا حق فالاسلام لم يعتبر بالفوارق الشخصية بين المسلمين بل عدل بينهم جميعا بأن جعلهم معصومي الدماء لقوله صلى الله عليه وسلم : " لايحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " . (٣)

فمن العدل أن يقتل القاتل عمدا أو عدوانا بحكم الاقتصاص مهما كانت رفعة منزلته الاجتماعية وعظم خصائصه الفردية بالنسبة لاخيه القتيل المسلم

---

(١) سورة المائدة آية / ٤٢

(٢) رواه مسلم في كتاب الامارة باب فضيلة الامير العادل ج ١٢ ص ٢١١ بشرح النووي.

(٣) البخاري في كتاب الديات باب " قول الله ان النفس بالنفس " ج ١٢ ص ١٧٦ من فتح الباري ، ومسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ج ١١ / ص: ١٦٤ .

وذلك لان أصل الحياة متساو بين الشخصين والحياة نعمة وهبها الخالق فلا يحق لاحد أن يعتدى عليها أو يعدمها فان اعتدى أحد على هذه النفس فقد استحق القصاص العادل والقرآن كما نعلم لا يعترف بالفروق الشخصية والاجتماعية ولا يقر الا وصف الايمان المشترك بين جميع المسليمن ٠

يقول المولى تبارك وتعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ). (١)

فعلاقة المسلمين ببعضهم مهما اختلفت ديارهم قائمة على السلم والامن فلا قتل ولا قتال الا في حد أو قصاص لانه لايوجد سبب مهما بلغت عظمته يكون قدارا على فك وشيجة العقيدة بين مسلم ومسلم ، ومن ثم لايقتل المسلم المسلم مطلقا بعد أن ربطت بينهم هذه الوشيجة الوثيقة الا اذا كان هذا القتل خطأ فله في هذه الحالة احكام وتشريعات ، أما القتل عمدا وعدوانا فهو كبيرة ولايكفر عنها دية ولا عتق رقبة وجزاؤها من الله عذاب أليم وبئس المصير لان هذه الجريمة ليست قتل نفس فقط ، بل هى قتل وشيجة كريمة عظيمة تربط المسلمين ببعضهم الا وهى وشيجة الايمان والعقيدة ٠ (٢)

---

(١) سورة النساء آية / ٩٢

(٢) في ظلال القرآن م ٢ ص ٧٣٥ : ٧٣٦ بتصرف ٠

ومن نماذج العدل في مجال حق الحياة العدالة المطلوبة التى ينبغى أن تقوم في المعاملة بين الزوجين وخاصة في حالة تعدد الزوجات فالزواج لابد أن يحرص أشد الحرص على العدل والتسوية بين زوجاته في جميع الحقوق المبذولة لهم ٠٠٠٠٠ فالتوجيه الدينى أكد عليه بتحرى العدل ما استطاع وأن يجاهد نفسه ليقوم بواجب العدل ٠

قال تعالى : (وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) (١)

فاذا خشى الزوج عدم اقامة العدل بين زوجاته فعليه أن يكتفى بواحدة أو بما ملكت يمينه بعدا عن الوقوع في الظلم ٠ لقوله تعالى :

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)(٢)٠

فقد يؤدى ميل الزوج عن احدى زوجاته دون الاخرى الى أن يقتلها ويتخلص منها من اجل الاذى أو يوقع بها الاذى أيا كان نوعه ، وفى ذلك ظلم لهذه الزوجة المسكينة ٠

وأيضا من نماذج العدل في حق الحياة الذى دعا اليه الاسلام تحريم وأد البنات والتخلص منهم بقصد التخلص من العار والفضيحة أو خشية الفقر وقلة الرزق ، فالله قد تكفل لكل مخلوق برزقه ٠

---

(١) سورة النساء آية / ١٢٩

(٢) سورة النساء آية/ ٣

قال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا) .(١)

بل حث الاسلام ورغب في حسن تربية البنات ونشأتهن النشأة الحسنة التي تؤهلهن كي يكن أمهات فاضلات في المستقبل ووعد على ذلك بالاجر الحسن فقال عليه الصلاة والسلام : " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ـ وضم أصبعيه ".(٢)

وفي رواية أخرى : " من ابتلى من البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار " (٣)

ثالثا : العدل في مجال المعاملات الادبية :

فمجالات تبادل السلمين مظاهر الاخاء الايماني عديدة وكذلك ما أمر الله به المسلم من اكرام أخيه المسلم فتتمثل في عدة جوانب :

الاول : رد التحية بمثلها : أو بأحسن منها مهما كانت الفوارق بينهما وفي هذا جاء قوله تعالى :

(وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا).(٤)

---

(١) سورة الاسراء آية / ٣١

(٢) رواه مسلم في كتاب البر باب فضل الاحسان الى البنات ج ١٦ ص ١٨٠ بشرح النووى

(٣) رواه مسلم في كتاب البر باب فضل الاحسان الى البنات ج ١٦ ص ١٧٩ .

(٤) سورة النساء آية / ٨٦

فالاسلام يسعى في محاولة دائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى بين أفراد المسلمين وافشاء السلام ، والرد على التحية بأحسن منها من أفضل الوسائل الموصلة لذلك . فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم " أي العمل خير ؟ . قال : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف "[1] فهذا في افشاء السلام وهو سنة أما الرد عليه فهو فريضة بموجب الآية الكريمة والعناية بهذا الامر يبدو أثرها الواقعي في اصفاء القلوب وتعارفها وتوثيق صلات المودة بين افراد المجتمع .[2]

الجانب الثاني : النهي عن السخرية : واللمز والتنابز بالالقاب مهما كان الداعي لذلك وفي هذا يقول تعالى :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ) [3] الآية

ففي هذه الآية يهتف القرآن للمؤمنين ويناديهم بهذا النداء الطيب يا أيها الذين آمنوا فينهاهم عن السخرية ببعضهم فلا يسخر قوم من قوم أو رجال برجال أو نساء من نساء فلعل هذه الفئة التي سخروا منها هي أفضل في ميزان الله وهو ميزان التقوى والايمان والعمل الصالح

---

(١) البخاري في الايمان باب اطعام الطعام جـ ١ ص ٥٣ من فتح الباري ، ومسلم في كتاب الايمان باب تفاضل الاسلام جـ ٢ ص ٩

(٢) في ظلال القرآن م ٢ ص ٧٢٦ بتصرف .

(٣) سورة الحجرات آية / ١١

فهذا الميزان هو الذى يرفع ويخفض بين الناس دون الموازين البشرية الاخرى.
ويستحث القرآن عاطفة الاخوة الايمانية ويذكر المؤمنين بأنهم نفس
واحدة فمن لمز أحدا من المؤمنين فقد لمز جميع المؤمنين ونهاهم
عن التنابز بالالقاب الكريهة على نفوس أصحابها لان من حق المؤمن
على المؤمن الا يناديه الا بما يحب لا بما يكره ويستاء به من الالقاب
لان في ذلك أذى له .[1]

الجانب الثالث : العدل في اعطاء الناس حقوقهم من الكيل والميزان :

في مجالات البيع والشراء فقد أمر الاسلام افراده بايفاء الكيل والوزن لمستحقيه
دون زيادة ولا نقصان وتوعد من طغى وظلم في الكيل والميزان بأشد
الوعيد فجاء قوله تعالى حاثا على ذلك .

(وَأَوفُواْ الكَيلَ والمِيزَانَ بِالقِسطِ لَا نُكَلِّفُ نَفسًا إِلَّا وُسعَهَا)[2]

وهذا مجال التبادل التجارى بين الناس في حدود طاقة التحرى والانصاف والسياق
يربطها أى الحدود - بالعقيدة لان المعاملات في الاسلام شديدة الصلة بالعقيدة
فالذى يوحى ويأمر بها هو الله . ولذا ارتبطت بقضية الالوهية
والعبودية ، وهذا الربط يوضح طبيعة هذا الدين في مساواة العقيدة
بالشريعة والعبادة بالمعاملة فهى جميعا من مقومات هذا الدين .[3]

---

(١) الظلال م ٦ ص ٣٣٤٤ بتصرف .
(٢) سورة الانعام آية / ١٥٢
(٣) فى ظلال القرآن م ٣ ص ١٢٣٢ بتصرف

الجانب الرابع : في الاصلاح بين الفئآت المتقابلة من المسلمين :

والعمل على كل ما يعيد الى نفوسهم المحبة والمودة وينزع منها

العداوة والبغضاء فقد حث المولى تبارك وتعالى على ذلك فقال :

(وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). (١)

وهنا يقول الاستاذ سيد - رحمه الله - ان هذه الآية هي قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع الاسلامي من الخصام والتفكك تحت تأثير الاهواء والنزوات .... فهو يكلف المؤمنين الذين يشهدون الواقعة خصام الطائفتين - بالاصلاح - بينهم ومحاولة اعادة الصفاء والمودة اليهم فان بغت احدى الطائفقتين ولم تقبل الرجوع الى الحق ورفضت الصلح أو رفضت قبول حكم الله في الامور المتنازع فيها فعلى المؤمنين في هذه الحالة مقاتلة البغاة حتى يرجعوا ويقبلوا حكم الله وأمره وهو الاصلاح بين المؤمنين فاذا تم قبولهم لحكم الله فحينئذ يقوم المؤمنون بالاصلاح القائم على العدل الدقيق طلبا لطاعة الله ومرضاته (٢)

---

(١) سورة الحجرات آية / ٩

(٢) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٣٤٣ بتصرف وايجاز .

وأملا في ثوابه المدخر للمصلحين العادلين والذى ذكره أفضل خلق الله وأعدلهم حكما حيث قال صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة ؟ قالوا بلى . قال اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هى الحالقة ".

وفي رواية تتمم هذه الرواية : " هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " . (١)

الجانب الخامس : عدالة الآباء في ايفاء الابناء جميع حقوقهم الواجبة عليهم والتى تبدأ باختيار الام الصالحة الطاهرة البيئة المستقيمة السيرة والسلوك ففى هذا احسان وعدل للاولاد يضمن لهم نشأة زكية ووجهة سليمة .

فاذا خرج الولد الى الوجود فينبغى على الوالدين تكريمه بقدر ما يسمح به حالهما ومن ذلك اختيار اسمه حتى لا يتأذى به ويسن للاب أن يظهر شكر نعمة المولى عليه - رزقه الولد أو البنت - بطعام يصنعه للمحتاجين وهو طعام العقيقة كما يجب عليه - أى الوالد - النفقة على الابناء ما داموا عاجزين عن العمل ، ثم تأتى الرعاية المعنوية فللابناء حق الحب والرحمة والعطف والرعاية والتوجيه السليم في كل مرحلة من مراحل عمرهم ، ومن ضمن ذلك حق العدل بين الابناء والتسوية بينهم في جميع الامور لانه اذا خص أحدهم بشيء من الاحسان أو الدعاء أو العطاء

---

(١) رواه ابو داود في كتاب الادب باب في اصلاح ذات البين جـ ٥ ص ٢١٨ واحمد في مسنده جـ ٦ ص ٦٤ .
والترمذى في أبواب صفة القيامة ، جـ ٤ ، ص ٧٣ ، وقال فيه : هذا حديث صحيح .

أدى عمله هذا الى نشوء الحقد والبغضاء في قلوب بعضهم على بعض مما يؤدى الى افساد الصلة بينهم أو قطعها تماما والعياذ بالله بل قد يؤدى زيادة الحقد والكراهية بين الاخوان الى أن يعتدى أحدهم على الآخر بأى نوع من أنواع الاعتداء والايذاء وقد يصل الامر الى القتل مثلا . وهذا مالا يريده الاسلام ، فالاسلام أمر بالعدل في كل شيء وكتب الثواب الجزيل على العمل الصغير العادل المراد به وجهه تعالى :

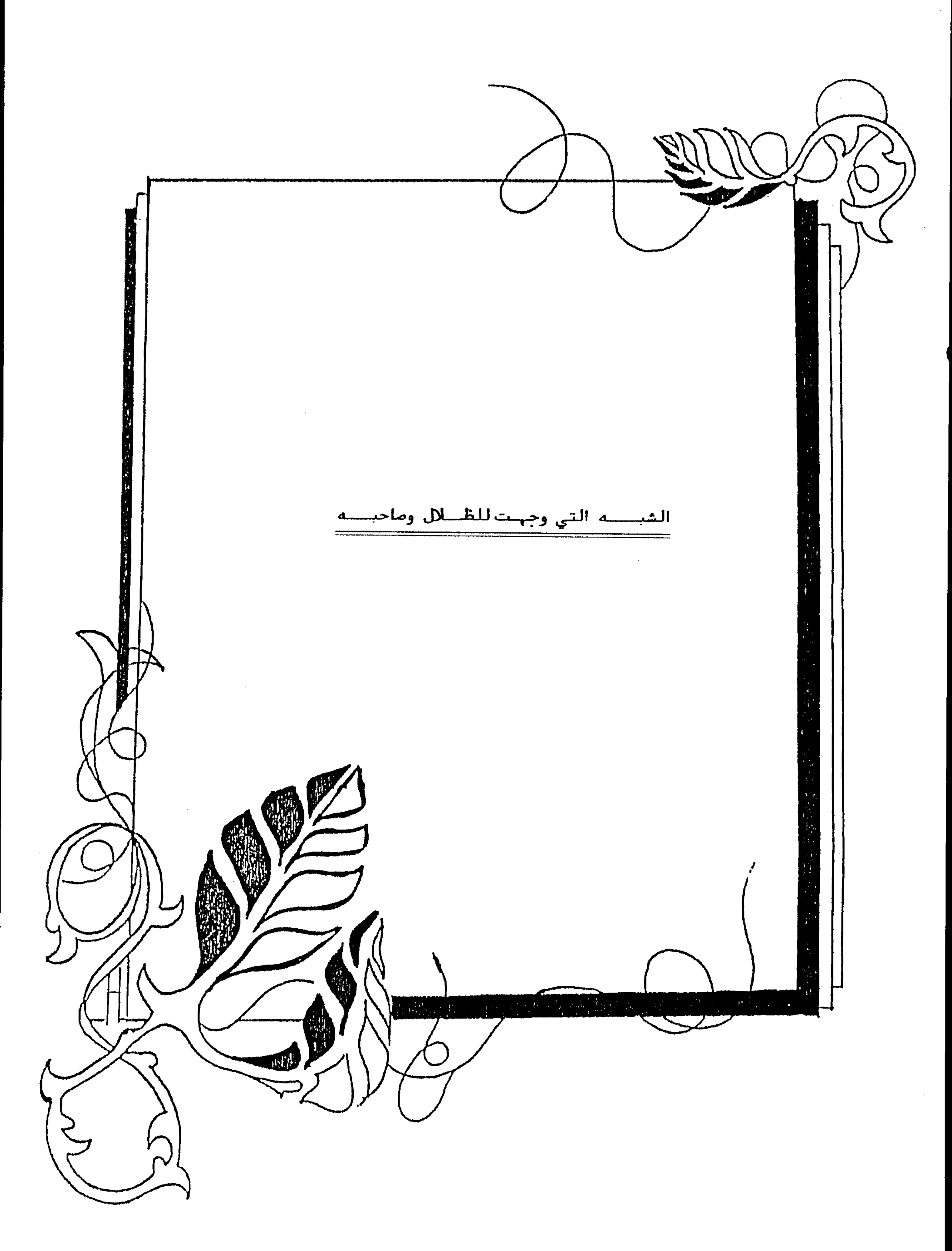
فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت تمرة الى فيها لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد ان تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد أوجب لها بها الجنة أو اعتقها بها من النار " . (١)

وهكذا فلو أردت ان اتناول جميع الآيات والاحاديث النبوية الشريفة التى تحض على العدل وتأمر به لكتبت في ذلك مبحثا طويلا ولكنى اكتفيت بذكر تلك الجوانب لتعلق العدل فيها بالاصلاح الاجتماعى .

* * *

---

(١) مسلم في كتاب البر باب فضل الاحسان الى البنات جـ ١٦ ص ١٨٠ .



الشبـــه التي وجهت للظـــلال وصاحبـــه

الشبـه التي وجهـت للظلال وصاحبـه

وجهت للاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ عدة شبه وانتقادات على بعض كتبه وخاصة الظلال والتي منها :

أولا : شبهة تكفير المسلمين :

فأقول ابتداء : أنه لابد للشخص المسلم أن يستبرىء لدينه ويحتاط في كل كلمة يقولها أما كونه يطلق الكفر على شخص معين من المسلمين فهذا لا يجوز على الاطلاق بل هو من اعظم البغى كما جاء في شرح العقيدة الطحاوية : " وأما الشخص المعين اذا قيل : هل تشهدون أنه من أهل الوعيد ، وأنه كافر ، فهذا لا تشهد عليه الا بأمر تجوز معه الشهادة ، فانه من اعظم البغى أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فان هذا حكم الكافر بعد الموت ".(١)

فاذا كان اطلاق الكفر على الناس بدون دليل يعتبر من أعظم البغى ، فهي اذن تهمة في حق أى مسلم ينبغى أن يدفعها عن نفسه ـ اذا لم يقل بها .

ثم انها ـ أى تكفير المسلمين ـ من أكثر الشبه والانتقادات انتشارا والتي وجهت لكلام الاستاذ سيد قطب رحمه ـ في كتاب " الظلال " والتي استنتجها الذين اتهموه بهذه التهمة الشنيعه من مواضع كثيرة من كتابه اذكر منها :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للامام الطحاوى ص ٣٥٧

(١) عند تفسيره الآية الاخيرة من آيات تحريم الربا والتى يقول فيها المولى تبارك وتعالى :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[(١)]

حيث ذكر - رحمه الله - : " أن من يصر على التعامل الربوى المحرم يصبح من الكافرين الآثمين ، ومثله كل من يحل ما حرم الله ولو قال بلسانه ألف مرة لا اله الا الله محمد رسول الله ، فالاسلام ليس كلمة تقال باللسان انما هو نظام حياة ومنهج عمل وانكار جزء منه كانكار الكل ، وليس في حرمة الربا شبهة وليس في اعتباره حلالا ، واقامة الحياة على أساسه الا الكفر والاثم والعياذ بالله ".[(٢)]

(٢) وعند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾.[(٣)]

يقول ما معناه ان شهادة أن لا اله الا الله تتمثل في الاعتقاد بأنه جل وعلا خالق الكون المتصرف فيه ، وأنه المستحق للعبادة وأن عباده يجب أن يتلقوا منه الشرائع ويخضعوا لحكمه - فاذا لم تتحقق الشهادة بهذا المدلول فمعنى ذلك أن الشخص لم يشهد ولم يدخل في الاسلام بعد كائنا ماكان اسمه ولقبه ونسبه ، وأن أى أرض كذلك لم تتحقق فيها الشهادة بهذا المدلول فهى لم تدن بدين الله ولم تدخل في الاسلام بعد .

---

(١) سورة البقرة آية / ٢٧٦

(٢) في ظلال القرآن ج ١ ص ٣٢٨ بتصرف يسير .

(٣) سورة الانعام آية / ٥٥

ونتيجة لما نراه اليوم كان أشق ما تواجهه حركات الاسلام الحقيقية هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين وطريق المشركين المجرمين واختلاط الشارات والعناوين والتباس الاسماء والصفات .

هذه الاستبانة لابد منها ويجب أن تتضح لاصحاب الدعوة الى الله ويجب ألا تأخذهم في الحق خشية ، ولا خوف ولا لومة لائم ولا قول قائل........[1]

فيظهر لنا هنا أن سيدا أراد توضيح مضمون الشهادة ومدلولها ولم يرد أن يكفر أحدا وانما وضع هذه التهمة اعداء الحركات الاسلامية ليشغلوهم عن اكمال دعوتهم مع أن الفصل في أمر الاسلام والكفر لا يرجع الى سيد قطب ولا الى قول أحد من الناس ، وانما المرجع فيه الى قول الله والى قول رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٣) وعند تفسيره لقوله تعالى :

(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ).[2]

حيث بين الاستاذ سيد : أن النص قاطع في أن طاعة المسلم لاحد من البشر في جزئية من جزئيات التشريع تكون غير مستمدة من شريعة الله ، وغير معترفة له بالحاكمية ... هذه الطاعة تخرجه من الاسلام لله الى الشرك به واستثنى المسلم المكره على طاعة الكفار .[3]

---

(١) في ظلال القرآن م ٢ ص ١١٠٦ / ١١٠٧ بتصرف وايجاز .

(٢) سورة الانعام آية / ١٢١

(٣) في ظلال القرآن م ٣ ص ١١٩٧ بتصرف يسير .

(٤) وعند تفسيره لقوله تعالى :

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).[1]

حيث بين ان اليهود والنصارى لم يتخذوا الاحبار والرهبان أربابا من دون الله بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية لهم ومع هذا فقد حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في الآية التى بعدها لمجرد تلقيهم الشرائع منهم وطاعتهم .... فهذا التلقي والاتباع وحده يكفى لاعتبار من يفعله مشركا بالله الشرك الذى يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين .....
ثم عقب على ذلك بقوله : فاذا اتبع الناس - ويقصد المسلمين - شريعة غير شريعة الله صح فيهم ما صح في اليهود والنصارى من أنهم مشركون خاصة اذا كان اتباعا بغير انكار منهم بوقوع ذلك - أى الاتباع - الا عن اكراه .....[2]

(٥) عند تفسيره للآيات الكريمة :

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [3]

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [4]

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [5]

---

(١) سورة التوبة آية / ٣١

(٢) في ظلال القرآن م ٣ ص١٦٤٢ بتصرف ، وانظر م٢ ص ٨٩٥

(٣)، (٤) ، (٥) سورة المائدة آية / ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

فهنا بين الاستاذ سيد رحمه الله أن هذه الآيات لها حكم العموم وتنطبق على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل وفي أي قبيل ، فالذي لا يحكم بما أنزل الله انما يرفض ألوهية الله وخصائصها ، والتي مقتضاها الحاكمية التشريعية في جانب ، يدعى لنفسه هو حق الالوهية وخصائصها في جانب آخر .... وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الايمان أو الاسلام باللسان والعمل - وهو أقوى تعبيرا من الكلام - ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟

ومن ثم فهو ظالم يحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم الصالحة المصلحة لاحوالهم ، فوق ظلمه لنفسه بايرادها موارد التهلكة وتعريضها لعقاب الكفر وصفة الفسق تضاف أيضا الى صفتي الكفر والظلم من قبل ....

فالكفر يرفض ألوهية الله ممثلا هذا في رفض شريعته والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله واشاعة الفساد في حياتهم ، والفسق بالخروج عن منهج الله واتباع غير طريقه ...... فهي صفات يتضمنها الفعل الاول وتنطبق جميعها على الفاعل ويبوؤبها جميعا دون تفريق ....(1)

هذا وقد أيد الاستاذ محمد بركات الاستاذ سيد قطب في ترادف معاني الكفر والظلم والفسق هنا ومجيئها بمعنى واحد واستشهد لذلك بنصوص قرآنية اذكر منها :-

(١) قوله تعالى : (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).(2)

---

(١) في ظلال القرآن م ٢ ص ٨٩٨ / ٩٠١ بايجاز.

(٢) سورة آل عمران آية / ٨٦

(٢) قوله تعالى : (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ).[1]

ثم ذكر شبهة بالنسبة للحاكمين بغير ما أنزل الله وللمحكومين الراضين بغير حكم الله وهي الجهل ، فكثير من الناس يجهلون وجوب التحاكم الى شريعة الله ويجهلون أن الرضى والطمأنينة بغيرها كفر .

ورد الاستاذ بركات هذه الشبهة بكلام مفصل[2]، ذكره الاستاذ سيد قطب رحمه الله بعد تقرير سيدنا يوسف عليه السلام باختصاص الله جل وعلا بالحكم تحقيقا لاختصاصه بالعبادة وحده :

(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).[3]

حيث قال : " وكونهم لا يعلمون لا يجعلهم على دين الله القيم .... فاذا وجد ناس لا يعلمون حقيقة الدين لم يعد من الممكن عقلا وواقعا وصفهم بأنهم على هذا الدين ، ولم يقم جهلهم عذرا يسبغ عليهم صفة الاسلام. وذلك أن الجهل مانع للصفة ابتداء ... فاعتقاد شيء فرع من العلم به ، وهذا منطق العلم والواقع بل منطق البداهة الواضح ".[4]

فقصده هنا أن هناك أمورا من الدين يجب أن تكون معلومة بالضرورة لا يعذر

---

(١) سورة المائدة آية / ٨١

(٢) سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في معركة لمحمد بركات ص ٢٢٣ / ٢٢٥

(٣) سورة يوسف آية / ٤٠

(٤) في ظلال القرآن م ٤ ص ١٩٩١ .

أحد بجهلها[(١)]" مثل أبدية الجنة ، وهنا " جعل الحكم أولا وأخيرا لله" فاذا جحد أحد ذلك فقد كفر وأقول أخيرا أن سيدا تشدد في هذا الامر - وهو اثبات الحكم لله ومخالفته كفر - لدرجة أنه قارب معها اتهام المجتمعات والافراد ٠

يقول الاستاذ عمر الاشقر : " لم تحو كتب الشهيد نصا واحدا يصرح فيه بتكفير المجتمعات أو الافراد ٠٠٠٠٠ ولم يتفق الاخوان على أن سيدا كان يصرح في لقاءاته وجلساته وأحاديثه بتكفير المجتمعات ولكن كثيرا من كتاباته قد يستنتج منها تكفير المجتمعات والافراد ٠٠٠٠٠٠٠

وذلك أمر طبيعي لتفاوت الافهام أحيانا ٠٠٠ ولتعمق المؤلف في معنى معين للتأكيد على فكرة ما ، ويضيف قائلا :

" واذا كان مجموعة من تلامذته - أي سيد - تؤكد أن سيدا كان يكفر المجتمعات والافراد فان القطاع الاكبر من زملائه واخوانه وتلامذته يصرون على نفي هذا الرأي عنه "٠

ويوضح المسألة أكثر حين يقول : " كما أن سيدا نفسه نفى هذا الرأي عن نفسه أثناء التحقيق معه " ٠

وفي النهاية فان كتابات سيد وما ورد فيها هي الفيصل في الموضوع وطالما لم ينص على هذا الرأي فمن الظلم أن نحمل الشهيد رأيا لم يقله خاصة اذا كان يسيء اليه ٠٠٠٠ والله اعلم "٠ [(٢)]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٨١

(٢) مجلة المجتمع عدد / ٥٦٥ تاريخ ١٢ جمادى الآخر ١٤٠٢هـ ٠ ص ٤٢/٤٣

ونفت السيدة زينب الغزالى أيضا هذه الشبهة - تكفير المسلمين - عن الاستاذ سيد وذكرت أنه هو نفسه استغرب هذا القول وبين أنه فهم خاطئ لما كتبه وأنه سيوضح هذا في الجزء الثانى للمعالم - معالم في الطريق - : وقالت : " ان سيد قطب لم يكن يكفر الافراد بل كان يرى أن المجتمعات ابتعدت عن الاسلام الى درجة جعلتها تفقد هذه الصفة وأننى أرى طالما المجتمع خاضع للطاغوت ولا يعمل على تغييره فهو مسؤول أمام الله عن ذلك .(١)

* * *

(١) مجلة المجتمع عدد /٥٦٥ تاريخ ١٢ جمادى الآخر ١٤٠٢ هـ . ص ٢١ .

ثانيا : موقفه من خبر الآحاد :

كان للاستاذ سيد رحمه الله موقف من خبر الآحاد سأذكره ان شاء الله بعد التعريف بخبر الآحاد .

وخبر الآحاد : هو كل حديث صحيح لم يبلغ حد التواتر ، وهو أقل رتبة في افادة العلم اليقيني من الخبر المتواتر ، والمتواتر هو مارواه في كل طبقة من طبقاته جماعة تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة عددهم وتباعد موطنهم رووا ذلك عمن قبلهم من الابتداء الى الانتهاء واستندوا الى أمر محسوس .(١)

ولابد من كون هذه الجماعة التي تنقل الخبر من الثقات فان لم يكونوا كذلك لا يرتفع الحديث الى درجة التواتر " بل يصبح في مرتبة الحسن أو الصحيح الآحادى " ويتبين من ذلك أن كل مالم يستوف شروط التواتر فهو آحاد سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو اربعة الى غير ذلك من الاعداد التي لم تبلغ حد التواتر ، والعلماء اتفقوا على كون الخبر الآحادى حجة في الاحكام الشرعية من دون خلاف ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله آحادا ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل اليهم يقولون لا نقبله لانه خبر واحد ، ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته وبين حاله للناس .(٢)

---

(١) لمحات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح ص ٨٨

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠

وخبر الواحد اذا نقله الائمة المتفق على عدالتهم واتقانهم وثقتهم من طرق متساوية وتلقته الامة بالقبول ولم ينكره منكر منهم.[١] وتلقته عملا به وتصديقا له أفاد العلم اليقين عند جماهير الامة.[٢]

واختلف العلماء بالنسبة للعقائد على أقوال كثيرة لا مجال لذكرها هنا ولكن ورد أن صحة الاحاديث والتى منها أخبار الآحاد - تفيد العلم وهذا أعظم دليل على أن هذه الاحاديث حجة في العقائد أيضا .

وموقف الاستاذ سيد - رحمه الله - يتمثل في عدم قبول بعض الروايات من أخبار الآحاد واستبعادها واعتبار أن مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم تخالف أصل العصمة النبوية التى هى من أمور العقيدة ، وهذا الموقف شبهة نردها عن الاستاذ سيد فى النقاط التالية :

(١) ظن الاستاذ سيد - رحمه الله - أن سحر النبي صلى الله عليه وسلم ينفى العصمة النبوية ويدخل بالتالى فى مسائل العقيدة ، وذكر أن الروايات الواردة فى سحره عليه الصلاة والسلام لا تستقيم مع الاعتقاد بأن كل فعل من أفعاله صلى الله عليه وسلم وكل قول من أقواله عليه السلام سنة وشريعة ،[٣] وهذا ظن خاطئ منه فسحر النبي صلى الله عليه وسلم لا يمس العصمة النبوية التى تتحقق في أمرين .[٤]

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ص ٩١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩ .

(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٨٠٠٨ .

(٤) سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه محمد توفيق بركات ص ٢٥٤ .

أ - في أن النبي معصوم عن ارتكاب الكبائر .

ب - في أن النبي معصوم عن الخطأ في أداء الوحي والتبليغ عن ربه للناس ، وهذا ثابت بدليل الشرع والعقل والاجماع .(١)

ويدل على هذا ملاحظة الروايات التالية :

(١) روى البخاري بسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب(٢) قال من طبه قال لبيد بن الاعصم ، قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف(٣) طلع نخلة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بئر ذروان(٤) فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال : ياعائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت يارسول الله أفلا استخرجه قال قد عافاني الله

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية م ١٠ ص ٢٨٩ / ٢٩٥ .

(٢) أي مسحور يقال طب الرجل بالضم اذا سحر يقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا ، كما قالوا للديغ سليم . فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الطب باب السحر ج ١٠ ص ١٩٤ .

(٣) **المشط** : بضم الميم أوكسرها هو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية . فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٥ .

والمشاطة : مايخرج من الشعر الذي سقط من الرأس اذا سرح بالمشط ، وكذا من اللحية . المرجع السابق ص١٩٨ .

والجف : هو الغشاء الذي يكون على الطلع . المرجع السابق ص ١٩٥ .

(٤) **بئر ذروان** : بفتح أوله وسكون ثانيه وواو وآخره نون . بئر لبني زريق بالمدينة ===

فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت .(١)

(٢) وروى البخارى أيضا عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولايأتيهن فقال ياعائشة اعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال الذى عند رأسى للآخر مابال الرجل ؟ قال مطبوب قال ومن طبه ؟ قال ؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بنى زريق حليف .

وذكرت تتمة الحديث بألفاظ تقارب الحديث الأول .(٢)

وبتامل هاتين الروايتين نرى ان السحر كان مسلطا على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم كبشر ز ويمكن أن يكون عليه السلام عرضه لما يعترض البشر كالمرض والتعب وغيره ،وأن السحر لم يؤثر عليه من ناحية الوحى والتبليغ وقد فسرت السيدة عائشة قولها في الحديث الأول " أنه كان يخيل اليه أنه كان يفعل الشئ ولايفعله " بقولها في الحديث الثاني " حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولايأتيهن " . وهذا كثيرا مايقع تخيله للانسان في المنام فلا يبعد أن يخيل اليه ذلك في اليقظة .

فالخلاصة اذن أن سحره صلى الله عليه وسلم لاعلاقة له بالعصمة على الاطلاق أى أنه لايتعلق بمسائل العقيدة ولا الكبائر كما أعتقد الاستاذ سيد .

== يقال لها ذروان. وعند سملم بئر ذى أروان. معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٣ ص ٥ .

(١) متفق عليه . رواه البخارى في كتاب الطب باب السحر ج ١٠ص ١٩٢: ١٩٧ من فتح البارى ،ومسلم في كتاب السلام باب السحر ج١٤ ص ١٧٤بشرح النووى

(٢) رواه البخارى في كتاب الطب باب هل يستخرج السحر ج ١٠ ص ١٩٩ من فتح البارى .

(٢) ذكر الاستاذ سيد - رحمه الله - أن أحاديث الآحاد لايؤخذ بها في أمر العقيدة [١]، وهذا القول مردود : لأنه اذا ثبت صحة الاحاديث أفادت العلم واذا أفادت العلم كانت بالتالي حجة في العقيدة [٢]، والملاحظ أن الاستاذ سيد لم يغيّر موقفه من هذه المسألة وعليه يجب أن نحكم بخطئه من الناحية العلمية ولايضره رحمه الله كما يقول الاستاذ بركات [٣]: أنه أخطأ لأنه بشر محتمل وقوعه في الخطأ .

****

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٤٠٠٨

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ج ٢ ص ٣٩٤/٤٠٥ وأصل الاعتقاد لعمر الاشقر ص ٥٧ .

(٣) سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة لمحمد توفيق بركات ص ٢٥٧ .

ثالثا : موقفه من الفقه الاسلامي :

أثيرت ضد مؤلف الظلال بعض التهم لموقفه من الفقه الاسلامى حصرها الاستاذ بركات في ثلاث نقاط هى :

(١) السعى الى القضاء التام على الفقه وأسماً اياه بفقه الاوراق والدعوة الى ما يسمى بفقه الحركة .

(٢) نقد التقسيم الفقهى الى عبادات ومعاملات .

(٣) الدعوة الى تجاوز الفقه والبدء بالاجتهاد من نقطة الصفر[1]، فبالنسبة للنقطة الاولى وهى اتهامه بمحاولة القضاء على الفقه فهى تهمة نردها عنه ونستدل على ذلك بكلامه نفسه - رحمه الله - حيث قال :

" ان هذه ليست دعوة لاهمال الفقه الاسلامى ، واهدار الجهود الضخمة العظيمة التى بذلها الائمة الكبار والتى تحوى من أصول الصناعة التشريعية ، ومن نتاج الاحكام الاصلية ما يفوق - في نواح كثيرة - كل ما أنتجه المشرعون في أنحاء العالم " .[2]

كما ذكر في الظلال ما معناه : إن الفقه الاسلامى نشأ من خلال حركة المجتمع الاسلامى في مواجهة حاجات حياته الواقعية الاسلامية ، وتطبيق المسلمين للفقه الاسلامي في وسطهم الواقعي الحي - بتلك الصورة - هو الذى جعل ذلك الفقه حيا ناميا ،[3] ومعنى ذلك أن الفقه الاسلامى أثبت

---

(١) سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة لمحمد توفيق بركات ص ١٨٢
(٢) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ص ١٨٨
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب م ٤ ص ٢٠٠٦

وجوده حيا بتحرك المسلمين به وتطبيقه في واقعهم الاسلامى أما حملته على فقه الاوراق ودعوته الى فقه الحركة فمقصده ومراده منها يتجلى فيما يأتي :

(١) بيانه الفرق بين النوعين حيث ذكر في الظلال : " أن هنالك مسافة شاسعة بين فقه الحركة وفقه الاوراق ، إن فقه الاوراق يغفل الحركة ومقتضياتها من حسابه لانه لا يزاولها ولا يتذوقها ، أما فقه الحركة فيرى هذا الدين وهو يواجه الجاهلية ، خطوة خطوة ومرحلة مرحلة وموقفا موقفا ، ويراه وهو يشرع أحكامه في مواجهة الواقع المتحرك بحيث تجيء مكافئة لهذا الواقع وحاكمة عليه ومتجددة بتجدده كذلك.[١] "

(٢) بيانه أن فقه الحركة يأخذ في اعتباره الواقع : حيث قال : " ان فقه الحركة يأخذ في اعتباره الواقع الذى نزلت فيه النصوص ، وصيغت فيه الاحكام ويرى أن ذلك الواقع يؤلف مع النصوص والاحكام مركبا لا تنفصل عناصره فاذا انفصلت عناصر هذا المركب فقد طبيعته ، واختل تركيبه".[٢]

(٣) بيانه أن منشأ الفقه هو المجتمع الاسلامى فقط لا غير فقد قال في كتابه الاسلام ومشكلات الحضارة " : " إن الفقه الاسلامى لا يستطيع أن ينمو ويتطور ويواجه مشكلات الحياة الا في مجتمع اسلامى ، مجتمع اسلامى واقعي موجود فعلا يواجه مشكلات الحياة التى أمامه ويتعامل معها وهو مستسلم ابتداء للاسلام ".[٣]

---

(١) في ظلال القرآن م ٣ ص ١٧٤٣
(٢) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٠٠٦
(٣) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ص ١٨٥

كما قال ـ رحمه الله ـ : ان علماء الاسلام قاموا بجهود كبيرة في اثراء الفقه الاسلامي بحيث لا ينفصل بحال من الأحوال عن الشريعة الاسلامية وفي المقابل يتأكد لنا أن الشريعة الاسلامية لا تنفصل بحال من الاحوال عن العقيدة .

والمسائل الفقهية التي وصل اليها فقهاء الاسلام باجتهادهم وكذلك المنهج الاسلامي التشريعي والعقائدى ، وكذلك النظام الذى ارتضاه الاسلام لحياة الناس كل ذلك وحدة واحدة لا تتجزأ ولا ينفصم عراها .

وبهذا الذى قلته نجد أنه من المستحيل أن يكون هناك منهج اسلامي بدون مسلمين . (١)

وقال أيضا في الظلال : " ان الفقه الاسلامى لا ينشأ في فراغ ، ولا يعيش في فراغ كذلك .... لا ينشأ في الادمغة والاوراق ، انما ينشأ في واقع الحياة وليست أية حياة . انما هى حياة المجتمع المسلم على وجه التحديد (٢) "

أما النقطة الثانية : وهي نقده لتقسيم الفقه الى عبادات ومعاملات فأرى أن موقفه هنا سليم ولاريب فيه لانه لاحظ في السياق القرآنى أن العبادات والمعاملات كلتيهما عبادة لله سبحانه وتعالى ، فالتفريق بينهما باعتبار أن العبادات تطلق على ما يكون بين العبد وربه من تعامل ، وأن المعاملات تطلق على ما يكون بين الناس من تعامل ترك في بعض النفوس انطباعا خاصا يتمثل في أن العبادات وحدها هى مظهر الايمان العملى ، أما المعاملات فأمرها أقل أهمية .

---

(١) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ص ١٨٩ .
(٢) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٠١٠ .

قال الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله في هذا الموضوع : من المؤكد أن تقسيم التشريع الاسلامي الى عبادات ومعاملات جاء متأخرا بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ترتب على هذا التقسيم اعتقاد بعض المسلمين بأن العبادات منفصلة عن المعاملات باعتبار أن المعاملات شؤون دنيوية ومن هنا يثاب المسلم على عبادته ولا يثاب على معاملاته ٠

وهذا التصور الذى نشأ بعد عصر النبوة انحراف بمنهج التشريع الى مجال يترتب عليه اضطراب حياة المسلم باعتبار ظنه أن عمله الدنيوى لا يثمر يوم القيامة ولا يثيبه الله عز وجل عليه ٠ (١)

وقال ايضا في الظلال : " ان ذلك التقسيم ـ مع مرور الزمن ـ جعل بعض الناس يفهمون أنهم يمكن أن يكونوا مسلمين اذا هم أدوا نشاط العبادات وفق أحكام الاسلام " بينما هم يزاولون كل نشاط المعاملات وفق منهج آخر ٠٠٠٠٠٠ لايتلقونه من الله ولكن من اله آخر ٠٠٠٠ هو الذى يشرع لهم في شؤون الحياة مالم يأذن به الله ٠ وهذا وهم كبير ٠ فالاسلام وحدة لا تنفصم ٠ وكل من يفصمه الى شطرين ـ على هذا النحو ـ فانما يخرج من هذه الوحدة ، أو بتعبير آخر يخرج من هذا الدين ، وهذه هي الحقيقة الكبرى التى يجب أن يلقى باله اليها كل مسلم يريد أن يحقق اسلامه ويريد في الوقت ذاته أن يحقق غاية وجوده الانساني "٠ (٢)

ولذلك انتقد الاستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ هذا التقسيم الفقهي الذى ترك مثل هذا الانطباع في الناس ، وقصده من ذلك ضرورة التزام الناس معنى العبودية في المعاملات والاخلاص فيها والتوجه بها لله عز وجل

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته لسيد قطب ص ١٣١

(٢) الظلال المجلد الرابع ص ١٩٣٧٠

كما نتوجه اليه باقامة العبادات وتأديتها من صلاة وزكاة وصيام ودعاء ..... وغيره .

أما بالنسبة للنقطة الثالثة فصحيح أن الاستاذ سيد - رحمه الله - قد تكلم في الاجتهاد والمجتهدين ، وكلامه متعلق بالفقه الذى عرفناه ومتضمن للمعروف عن الاجتهاد وأن المجتهد لابد له أن يرجع الى القرآن والسنة مباشرة متقيدا بمسائل الاجماع وأنه لا يجب عليه ان ينظر الى النصوص من خلال فتاوى الفقهاء بل هو متحرر في ذلك .[1]

وذكر - رحمه الله - أمرين لهما أهمية خاصة في أثناء حديثه عن المجتهدين هما :

(١) مزاولة العقيدة والمنهج في الحياة العامة للامة .

(٢) مزاولة العقيدة والمنهج كذلك في الحياة الخاصة للمجتهد .[2]

والاستاذ سيد - رحمه الله - لم يدع الى تجاوز الفقه مطلقا ويؤيد هذا ماذكره في الظلال حيث قال : ان الاحكام الشرعية المنصوص عليها في الكتاب والسنة ما زالت قائمة فعلا وموجودة من الوجهة الشرعية ، ولكن المجتمع الذي شرعت له هذه الأحكام ومن أجله .. لا نراه في وقتنا الحاضر .

ومن ثم فوجود هذه الأحكام - الشرعية - الفعلي يصبح معلقا بقيام المجتمع المسلم ، ويصبح من الضرورى جدا على كل مسلم ملتزم مقتنع بهذه الأحكام

---

(١) الموافقات في أصول الفقه للشاطبي ج ٤ ص ١٠٥ وما بعدها .

(٢) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ص ١٨٩.

عامل بكل ماجاءت به ... عليه أن يتحرك في وجه الجاهلية - جاهلية القرن العشرين - لاقامة النظام الاسلامي . [١]

كما أنه - رحمه الله - كانت له حملة شديدة اللهجة على المجتهدين المحدثين بل كان كلامه عنهم مأخذا يؤخذ عليه ولا يقره عليه أحد حيث كان فيه شيء من الاستهزاء بهم نلاحظ ذلك في النصوص التالية :

(١) قال في المجتهدين المخلصين من رجال الفقه والشريعة الذين يريدون أو يشيرون بتنمية الفقه الاسلامى وتطويره لمواجهة الاوضاع والانظمة والمؤسسات والحاجات القائمة في المجتمعات الحاضرة ... قال " انهم - مع احترامى الكبير لهم والتجاوب مع شعورهم المخلص ورغبتهم المشكورة وتقديرى للجهد الناصب الذى يبذلونه - يحاولون استنبات البذور في الهواء ...... والا فأين هو المجتمع الاسلامى الذى يستنبطون له أحكاما فقهية اسلامية يواجه بها مشكلاته ". [٢]

(٢) وذكر فيهم وفي غيرهم ممن يستفتونهم قوله : " والذين يستفتون - بحسن نية أو بسوء نية هازلون والذين يردون على هذه الاستفتاءات - بحسن نية أو بسوء نية - والذين يتحدثون عن مكان أى وضع من أوضاع البشرية الحاضرة من الاسلام ونظامه أشد هزلا ، وان كنت اعلم عن الكثيرين منهم أنهم لا يعنون الهزل ولا يستسيغونه لو فطنوا اليه في شأن الاسلام ". [٣]

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٠١٣ بتصرف
(٢) الاسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ص ١٨٩
(٣) الاسلام ومشكلات الحضارة ص ١٩٢ .

(٣) وذكر فيهم عبارات حادة جارحة : " ان العمل في الحقل الفكرى للفقـــه الاسلامى عمل مريح لانه لا خطر فيه ، ولكنه ليس عملا للاسلام ، ولا هـو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ٠

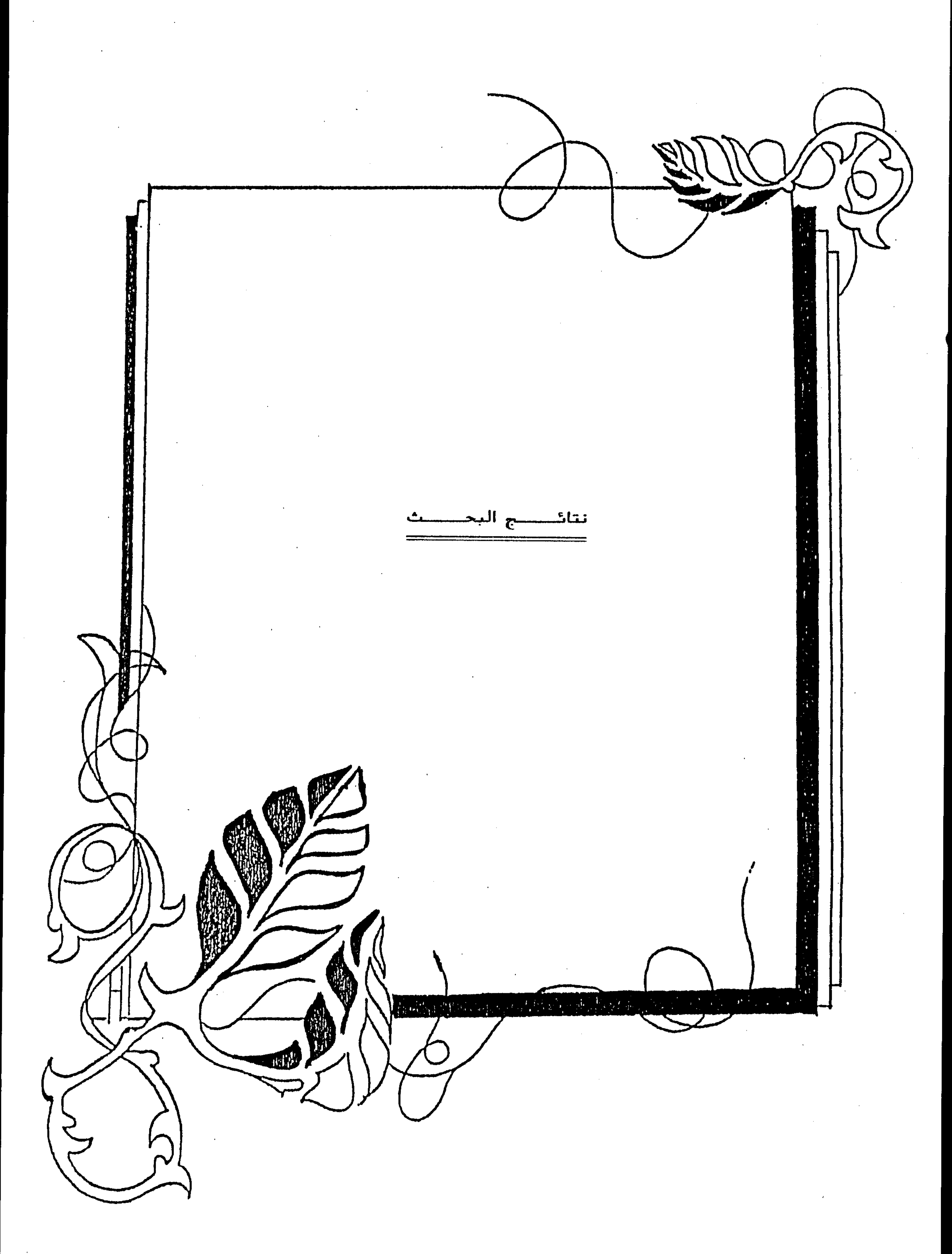
وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالادب وبالفـن أو بالتجارة ٠ أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عمـلا للاسلام في هذه الفترة فأحسب ـ والله اعلم ـ أنه مضيعة للعمـر وللاجـر أيضا ".(١)

وقد آثرت نقل بعض نصوصه هنا كما هي لأصل الـى أن الاستاذ سيد ـ رحمه الله ـ كان مقتنعا تماما باقامة المجتمع الاسلامى أولا وقبل كل شيء ثم يكون بعد ذلك الاشتغال بالفقه الاسلامى والاجتهاد فيه أما تجاوز الفقه فهـو لم يدع اليه على الاطلاق ٠

* * *

---

(١) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٠١٢



نتائـــج البحـــث

نتائج البحث

أحب أن أبين بعد مطالعتي للظلال واستفادتي منه أهم المآخذ عليه وأهم مزاياه ومحاسنه ، فمن منطق عدم الكمال للبشر وأن العصمة غير ثابتة الا للانبياء ، وان ثقافة الاستاذ سيد قطب الاولى لم تكن شرعية متخصصة أذكر :

* **أولا : أهم المآخذ التي تؤخذ على كتابه " في ظلال القرآن " وهي :**

(١) كان يستطرد ويطول في بعض المواضع وكان من الممكن تجنب الاستطراد والتكرار حتى لا ينتقد في ذلك سيد قطب ، والتركيز في كل الاحيان مفيد في توفير الوقت والجهد وذلك حاصل فيما يأتي :

أ - في التعريف ببعض السور والتقديم لها كسورة النساء وسورة الانعام وسورة الانفال .(١)

ب - في تفسير بعض السور كتفسير سورة آل عمران وبيانه لموقف أهل الكتاب . من الاسلام والمسلمين ، وكتفسير سورة الانعام وحديثه عن الرحمة ومظاهرها ومجالاتها وسرد الاحاديث فيها وآثار استقرارها في تصور المسلم ، وكتفسير سورة التوبة وبيان موقف أهل الكتاب

---

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ٥٥٤ / ٥٧١ م ٢ ص ١٠٠٤/١٠٢٩ ، م٣ ص ١٤٢٩/١٤٥٢ وقد تعرض د/ صلاح الخالدي لهذه الملاحظة بالاستطراد وأجاد فيها في كتابه : في ظلال القرآن في الميزان " ص ٢٨١.

من الاسلام وأهله وايراد أمثلة لذلك من مختلف مراحل التاريخ الاسلامى وكتفسير سورة هود ، ووقوفه الطويل في التعقيب على حقائقها وغير ذلك .

جـ - في الحديث عن بعض الموضوعات كحديثه عن مكانة الاسرة المتماسكة المستقيمة في المجتمع الاسلامى " ومساوىء الطلاق " ونظره الاسلام اليها وأنها اللبنة الاولى في المجتمع اذا صلحت صلح المجتمع واذا فسدت فسد المجتمع وكحديثه - عند تفسير سورة آل عمران - عن واقع العرب قبل الاسلام ومظاهر المنة عليهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكحديثه - عند تفسير سورة يونس - عن اعجاز القرآن وانه حاصل في التأثير وفى التصوير ، وفى الاسلوب وفى الاداء ،[1] وكحديثه عن الحاكمية والجاهلية والعزلة والمفاصلة ، والايمان والكفر وقضايا العقيدة والحركة وذلك في معظم الآيات المتحدثة عن هذه المواضيع .

د - في الفصل بين العامل والمعمول بفاصل طويل - وهذا في اسلوبه في التفسير ، فقد يفصل بين المبتدأ والخبر بعدة أسطر ، وقد يفصل الفعل

---

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ٢٣٤ / ٢٥٩ ، م ١ ص ٥٠٦/٥١١ ، م٣ ص ١٧٨٤/١٧٩٤ .

والمفعـــول بـــه كذلـك ٠ (١)

---

(١) في ظلال القرآن ، م ١ ، ص ٤٨٥ ، م ١ ، ص ٥١٧ ، م ٦ ، ص ٣٦٤٢ ، ص ٣٦٥٦ حيث قال : والمسلم الذى يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان أصحابه يحبونه الحب الذى لم تعرف له النفس البشرية في تاريخها كله نظيرا ، الحب الذى يفدونه معه بحياتهم أن تشوكه شوكة ، وقد رأينا أبا دجانة يترس عليه بظهره والنبل يقع فيه ولا يتحرك ، اذ رأينا التسعة الذين أفرد فيهم ينافحون عنه ويستشهدون واحدا اثر واحد ٠٠٠ وما يزال الكثيرون في كل زمان وفي كل مكان يحبونه ذلك الحب العجيب بكل كيانهم ، وبكل مشاعرهم ، حتى ليأخذهم الوجد من مجرد ذكره - صلى الله عليه وسلم - ٠٠٠ هذا المسلم الذى يحب محمدا ذلك الحب ، مطلوب منه أن يفرق بين شخص محمد - صلى الله عليه وسلم - والعقيدة التي أبلغها وتركها للناس من بعده ، باقية ممتدة موصولة بالله الذى لايموت ٠

ومثاله أيضا ماجاء في الظلال " المجلد ٦ ، ص ٣٦٥٦ " حيث قال :
ان طاقة محمد - صلى الله عليه وسلم - لتلقي هذه الكلمة من هذا المصدر هو ثابت ، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل - ولو أنها ثناء - ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب ٠٠٠ تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن ٠٠٠ هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل ٠

(٢) ظهر موقفه من بعض الروايات الصحيحة وتتمثل فيما يأتي :

أ ـ أنه كان يغفل عن ذكر بعض الاحاديث فى تفسير بعض الآيات كعدم ذكره للحديث الصحيح (١) المبين لمعنى الزيادة (٢) وأنها أكثر ما تعنى رؤية وجه الله تبارك وتعالى ، وعدم ذكره (٣) للحديث الصحيح عند تفسير الشجرة الطيبة (٤) وبيان أن المقصود بها وبيان أن المقصود بها النخلة (٥) .

---

(١) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٧٩ وانظر ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٦ عند تفسير سورة يونس آية / ٢٦ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم سبحانه وتعالى ج ٣ ص ١٧، حيث جاء فى البخارى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل " وانظر فتح البارى لابن حجر رواه البخارى فى كتاب التفسير باب تفسير سورة يونس ح ٨ ص ٢٦٢ .

(٣) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٩٩ ،وأنظر ابن كثير ج ٢ ص ٥١١ .

(٤) سورة ابراهيم آية / ٢٤ ، ٢٥ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب التفسير باب قوله كشجرة طيبة اصلها ثابت ج ٨ ص ٢٨٦ ، من فتح البارى ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أخبرونى بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لايتحات ورقها ولاتؤتى أكلها كل حين قال ابن عمر : فوقع فى نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النخلة فلما قمنا قلت لعمر : يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة ، فقال مامنعك أن تتكلم قال : لم أركم تتكلمون فكرهت =

وكعدم ذكـــره للحديث الصحيح فى مسألة الـــروح (١) وأن اليهود أرادوا (٢) بها تعجيز النبى صلى الله عليه وسلم واظهار ضعفه .

= أن أتكلم أو أقول شيئا قال عمر : لأن تكون قلتها أحب الى من كذا وكذا " . ومسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة ج ١٧ ص ١٥٥ .

(١) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٤٩ وانظر ابن كثير ج ٣ ص ٥٩ عند تفسير قوله تعالى (ويسألونك عن الروح) فى سورة الاسراء آية/٨٥.

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير باب (ويسألونك عن الروح) ج ٨ ص ٣٠٣ من فتح البارى ، عن عبد الله رضى الله عنه قال :" بينا انا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث وهو يتكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح فقال : ما رابكم اليه ،وقال بعضهم : لايستقبلكم بشىء تكرهونه فقالوا : سلوه فسألوه عن الروح ، فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى ، فلما نزل الوحى قال : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا " سورة الاسراء آية ٨٥ ، ومعنى ما رابكم اليه : أى ماجعلكم تتهمونه وتشككون فيه ، لأن راب تأتى بمعنى اتهم ، وتأتى من راب يريب اذا وقع فى الشك ، والريب والريبة : الشك ، والظنة والتهمة : لسان العرب لابن منظور حـ ١ ص ١٢٤٦ - ١٢٦٣ .

ورواه مسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب سؤال اليهود النبى - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ج ١٧ ص ١٣٧ .

ب - وكان رحمه الله يستشهد بأحاديث ضعيفة كاستشهاده بحديث مرسل في حادثة لها شأنها وهي حادثة الافك ، والمرسل كما نعلم من أقسام الضعيف [1].

والأثر المرسل (الضعيف) : هو ماذكره سيد قطب من أن أبي بن خلف قال في شأن عائشة - رضي الله عنها - وصفوان والله مانجت منه ولا نجا منها وفي هذا الأثر قال ابن حجر في الفتح، كتاب التفسير سورة النور آيات الافك الأثر مرسل عن سعيد بن جبير ، وفيه قال عياض لم يثبت أن عبد الله بن أبي قذف عائشة بل ثبت أنه كان يستخرجه ويشي به كما في مرسل سعيد بن جبير ، ومرسل مقاتل بن حيان . وقال ابن حجر القول ماقال عياض فانه لم يثبت خبر بأنه قذف صريحا ، ثم لم يحد . [2]

جـ - كان يرجح بعض الروايات على غيرها من الروايات الصحيحة بل ويصرح بذلك مع التعليل كترجيحه لرواية من الروايات المتعارضة في المقصود بالمنافقين وقوله : ومع أن الرواية الأولى أوثق من ناحية السند والاخراج ، الا أننا نرجح مضمون الرواية الثانية ثم علل ذلك وأكده . [3]

---

(١) في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٥٠١ .

(٢) فتح البارى ، كتاب التفسير ، باب لولا اذا سمعتموه قلتم مايكون لنا ... الى قوله سبحانه : (هم الكاذبون) . ج ٨ ، ص ٣٧٠ .

(٣) الرواية الأولى : عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى (==)

د - كان لا يلتزم بالتخريج الحرفي لمتن الحديث الصحيح كما كان لا ينسب لفظ الحديث لصاحبه اذا أخرجه اثنان أو أكثر فكان يقول رواه الشيخان ، أو رواه الخمسة (١) ونحو ذلك . (٢)

(==) أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فرقتين : فرقة تقول : نقتلهم ، وفرقة تقول . لا . هم المؤمنون : فأنزل الله (فما لكم في المنافقين فئتين ؟) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انها طيبة ، وانها تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد) ... رواه البخاري في الفتح " في أبواب المحصر وجزاء الصيد ، باب " فضل المدينة " ج ٤ ، ص ٧٥ بلفظ : " أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد " .

وفي باب "المدينة تنفي الخبث " بلفظ " أنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد " ج ٤ ، ص ٨٣ ، وفي كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى " فما لكم في المنافقين ج ٨ ، ص ١٩٣ ، بلفظ "كما تنفي النار خبث الفضة " .

ورواه مسلم " بشرح النووى " في كتاب الحج في تسمية المدينة طابة وطيبة ج ٩ ، ص ١٥٤ ، بلفظ البخارى " أمرت بقرية " وبلفظ " انها طيبة يعني المدينة ، وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة " .

والرواية الثانية : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالاسلام ، وكانوا لا يظاهرون المشركين ، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا : ان لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس ... وان المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة ، قالت فئة من المؤمنين : اركبوا الى الجبناء فاقتلوهم فانهم يظاهرون عدوكم ، وقالت فئة أخرى من المؤمنين : سبحان الله : أو كما قالوا : أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به ؟ من أجل انهم لم يهاجروا ، ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم ؟ فكانوا كذلك فئتين ، والرسول عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء ، فنزلت (فما لكم في المنافقين فئتين ؟) .

(١) أى صحيح البخارى ومسلم وسنن أبي داود والترمذى والنسائي .
انظر : تدريب الراوى للسيوطي ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ١٠٥٠ .

(٣) لم يتبع طريقة موحدة في تفسير الآيات وفي تفسير بعض الكلمات الغريبة أحيانا يذكر المعنى في الهامش كتفسير كلمة الذنوب الواردة في قوله تعالى (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)[1] بأنها : الدلو وهو كناية عن أن لهم مثل ما أصاب من قبلهم من الظالمين.[2] وكتفسير كلمة الدسر بأنها المسامير [3] ، والتي جاءت في قوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر) [4]

وأحيانا يضع المعنى بين قوسين فعند تعريف المؤلف بعاد قال : فأما عاد فكانوا قبيلة تسكن الأحقاف (والحقف كثيب الرمل المائل) في جنوب الجزيرة العربية . [5]

وأحيانا يبين للكلمة أكثر من معنى ككلمة (قتر) التي جاءت في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)[6] حيث بين أنها تعني : الغبار والسواد وكدرة اللون من الحزن والضيق ، والذلة : الانكسار والمهانة أو الاهانة .[7]

---

(١) سورة الذاريات آية/ ٥٩

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣٨٩ . وانظر في ظلال القرآن في الميزان ص ٢٩٠ .

(٣) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٤٣٠ .

(٤) سورة القمر آية/ ١٣ .

(٥) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ١٨٩٥

(٦) سورة يونس آية/ ٢٦

(٧) في ظلال القرآن جـ ٣ ص ١٧٧٩ .

وأيضا لم يتبع طريقة موحدة في استخلاص الدلالات ، وتسجيل الدروس والعبر والتوجيهات التي تظهر في الدرس ، فأحيانا يذكرها قبل تفسيره لآيات الدرس الواحد ، وأحيانا يذكرها بعد تناول الدرس بالتفسير .

(٤) أكثر من ذكر المصطلحات الفنية في الظلال مثل التصوير [١] ، التناسق [٢]

---

(١) ومثاله ماجاء في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٦٨ عند تفسير سورة النحل آية/ ٢٦ وج ٦ ، ص ٣٦٤٤ عند تفسير سورة الملك ، آية / ٢١ ، ٢٢
حيث قال : (والتعبير يصور هذا المكر في سورة بناء ذي قواعد وأركان وسقف اشارة الى دقته واحكامه ومتانته وضخامته ولكن هذا كله لم يقف أمام قوة الله وتدبيره : " فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم ".
وهو مشهد للتدمير الكامل الشامل ، يطبق عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم)
ومثاله أيضا : ماجاء في الجزء السادس صفحة ٣٦٤٤ عند تفسير سورة الملك ٢١، ٢٢
حيث قال عند قوله تعالى ﴿ بل لجوا في عتو ونفور ﴾ آية ٢١: والتعبير يرسم خداً مصعراً وهيئة متبجعة .. وهو تصوير لحقيقة النفوس التي تعرض عن الدعوة الى الله في طغيان عات وفي اعراض نافر وتنسى أنها من صنع الله وانها تعيش على فضله وانها لا تملك من أمر وجودها وحياتها ورزقها شيئا على الاطلاق . كما قال عند قوله تعالى من سورة الملك آية /٢٢ ﴿ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾ إن حياة الايمان هي اليسر والاستقامة والقصد ، وحياة الكفر

هي العسر والتعثر والضلال ... فأيهما أهدى ؟ وهل الأمر في حاجة الى جواب ؟ . انما هو سؤال التقرير والايجاب . انه تجسيم الحقائق ، واطلاق الحياة في الصور ، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير " .

(٢) ومثاله من الظلال ج ٦ ، ص ٣٤٠٤ في في التقديم لسورة النجم والتعريف بها حيث قال : " هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية ، منغمة يسرى التنغيم في بنائها اللفظي ، كما يسرى في ايقاع فواصلها الموزونة المقفاة .
ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة ، ذلك الايقاع ذو لون موسيقي خاص . لون يلحظ فيه التموج والانسياب ، وبخاصة في المقطع الأول والمقطع الاخير من السورة . وهو يتناسق بتموجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المرفرفة في المقطع الأول . ومع المعاني واللمسات العلوية في المقطع الأخير ، وما بينهما مما هو قريب منهما في الجو والموضوع ".

الايقـــــــاع [١]- النغـم - الرســـم [٢]- المشهـــــــد [٣]-

(١) ومثاله من الظلال جـ ٦ ، ص ٣٤٠٤ عند تفسير أول سورة المعارج . حيث ذكـر " لقد كان التنوع الايقاعي في الحاقة ناشئا من تغير القافية في السياق من فقرة لفقرة وفق المعنى والجو فيه ... فأما هنا في سورة المعارج فالتنوع أبعد نطاقا ، لأنه يشمل تنوع الجملة الموسيقية كلها لا ايقاع القافية وحدها . والجملة الموسيقية هنا أعمق وأعرض وأشد تركيبا ... ويكثر هذا التنـوع في شطر السورة الأول بشكل ملحوظ " .

(٢) ومثاله من الظلال جـ ٦ ، ص ٣٦٩٩ عند تفسير سورة المعارج ، آية /١٩ : ٢٦ ، حيث قال : " لكأنما كل كلمة لمسة من ريشة مبدعة تضع خطا في ملامح هذا الانسان حتى اذا اكتملت الآيات الثلاث القصار المعدودة الكلمات نطقت الصورة ونبضت بالحياة ، وانتفض من خلالها الانسان بسماته وملامحه الثابتة هلوعا - جزوعا عند مس الشر ، يتألم للذعته ، ويجزع لوقعه ، ويحسب أنه دائم لا كاشف له ، منوعا للخير اذا قدر عليه فيض به على غيره فهو هلوع في الحالتين ... هلوع من الشر ، هلوع على الخير ... وهي صورة بائسة للانسان حين يخلو قلبه من الايمان .
(الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) فهي تعطي صورة الاستقرار ، والاستعداد فهي صلاة لايقطعها الترك والاهمال والكسل وهي صلة بالله مستمرة غير منقطعة .

(٣) ومثاله من الظلال جـ ٤ ، ص ٢٥٢١ عند تفسير سورة النور آية / ٣٩ ، ٤٠ ، وكذلك جـ ٦ ، ص ٣٣٦٤ عند تفسير سورة (ق) آية / ٢٠ : ٢٩ .
حيث قال : في المشهد الأول يرسم اعمالهم كسراب يلتمع التماعا كاذبا وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة حيث يصل الظامئ فلا يجد ماء يرويه انما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر بباله ووجد الله عنده فوفاه حسابه هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والفجأة (والله سريع الحساب). (==)

التجسيم [١] ـ الموسيقى ـ وغير ذلك ٠ وهذا وان كان له مقصد واضح في ذهنه وفكره الا أنه لا يليق أن تطلق تلك المصطلحات على كتاب الله عز وجل ٠

٥) استعمل بعض العبارات التي تمسه في عقيدته وفي فكره ، وكان من الافضل له ألا يستعملها ، وذلك لأنه لم يبين مايقصده منها بدقة وتحديد من ذلك قوله بما معناه في وجوب عودة الفطرة البشرية الى الله :

(==) وفي المشهد الثاني تطبق الظلمة بعد الالتماع الكاذب ، ويتمثل الهول في ظلمات البحر اللجي ، موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض ، حتى يخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام ٠
ومثاله كذلك من الظلال جـ ٦ ، ص ٣٣٦٤ عند تفسير سورة (ق) آية / ٢٠ : ٢٩ حيث ذكر : وهو مشهد يكفي استحضاره في النفس لتقضي رحلتها على الأرض في خوف وحذر وارتقاب حيث النفس هنا هي التي تحاسب وتتلقى الجزاء ومعها سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، وهو مشهد أشبه شيء بالسوق للمحاكمة ولكن بين يدى الجبار يتبعه مشهد يتبرأ فيه القرين الشيطاني من القرين الانساني ثم يجيء القول الفصل (لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) بهذا ينتهي مشهد الحساب الرهيب بهوله وشدته ٠

(١) ومثاله من الظلال جـ ٦ ، ص ٣٣٥٨ عند تفسير سورة ق آية / ٤ حيث قال " لكأنما التعبير يجسم حركة الأرض ويحييها وهي تذيب أجسادهم المغيبة فيها وتأكلها رويدا رويدا والله يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم وهو مسجل في كتاب حفيظ "٠

" ان البشرية لن تجد الهدى ولا الراحة ولا السعادة الا حين ترد الفطرة البشرية الى صانعها الكبير ، كما ترد الجهاز الزهيد الى صانعه الصغير " .[١]

وقوله أيضا في عرض مشاهد الطبيعة : " وتبدأ الريشة المعجزة في رسم المشاهد الكونية الضخمة لمسة في السموات ولمسة في الارضين ولمسات في مشاهد الارض وكوامن الحياة " [٢]

وقوله في الرابطة بين الله وعباده المؤمنين حين يرفع عباده الذين يؤثرونه ويحبونه الى مرتبة يتحرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله[٣]، يجود بها مرتبة الصداقة .... الصداقة بين الرب والعبد ..... ودرجة الود من الله المقربين ، وكان يستشهد أحيانا ببعض الاحاديث ولايشير الى أنها حديث كذكره للحديث الشريف : " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما " [٤] . وقوله عنه أنه مبدأ عربى مشهور ومقولة جاهلية معروفة .[٥]

* وبعد ، فهذه من أهم المآخذ على كتاب الظلال في نظرى بينتها أولا وأحب أن ألفت النظر أيضا الى أهم المزايا التى وجدتها فيه :[٦]

---

(١) في ظلال القرآن م ١ ص ١٥

(٢) في ظلال القرآن م ٤ ص ٢٠٤٤

(٣) في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٨٧٥

رواه البخاري كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما ومنهج الاسلام في هذه النصرة يختلف عما كان من حمية الجاهلية . انظر فتح البارى : ٥/ ٩٨.

(٥) في ظلال القرآن ، م ٢ ، ص ٨٣٩.

(٦) استفدت في هذا المبحث من كتاب (في ظلال القرآن في الميزان) للدكتور الخالدى ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(١) من المزايا استقى الاستاذ سيد - رحمه الله - أفكاره ومعلوماته من معين القرآن الصافي مباشرة وجعله الاصل الذى يجب أن نخضع له العقل والواقع ودعا قارىء الظلال الى أن يتعامل مع القرآن أولا وأخيرا .

(٢) أكد المؤلف في الظلال أن الآيات القرآنية صالحة لكل زمان ومكان ، وأن المسلمين يفتقرون الى تطبيقها في واقعهم المعاصر الحديث ، وحث المسلمين كثيرا على محاولة تطبيق القرآن محاولة جادة ليصلح مجتمعهم الاسلامى ويعرف كل فرد فيه ماله وما عليه .

(٣) كان يعّرف بالسورة ويلخص موضوعها الاساسى ، وما يتفرع عنه وأحيانا يسهب في ذلك ، وهذا التعريف يعطي القارىء فكرة يدرك بها الوحدة الموضوعية للسورة وشخصيتها وعلاجها وتقريراتها .

(٤) اهتم ببيان الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وأحسن في تقسيم السورة الى دروس ، والدروس الى مقاطع متضمنة عدة آيات فيتناولها آية آية وحينما ينتهى من المقطع يربطه بالدرس ، ثم يربط الدرس بالسورة ثم السورة بأختها المماثلة في موضوعاتها ، أو يربط السورة بما قبلها ، وبما بعدها أحيانا .

(٥) اتبع في تفسيره لكثير من الآيات طريقة التفسير بالمأثور ثم تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسيره بالسنة النبوية ، ثم تفسيره بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين .

(٦) ركز الاستاذ سيد على العقيدة وطريقة عرض القرآن لها عرضا مؤثرا في حياة البشر ، وربط الاحكام والارشادات الاسلامية بها ، فهي الاساس لكل شيء ودعا القارىء الى أخذها من القرآن الكريم مباشرة لما لها من دور هام في حياته ، وآثار جليلة في تصرفاته وسلوكه .[1]

(٧) عرض سيد - رحمه الله - منهج الحركة العملية الحية في ظلاله حيث تناول القضايا والمسائل التي تهم الدعاة العاملين فكانت دليلا عمليا مكتوبا الى التربية والتوجيه وهو بذلك حقق معظم الاغراض الاساسية للقرآن .

(٨) ابتعد سيد - رحمه الله - في الظلال عن التعرض للمباحث اللغوية - الا نادرا - أو الكلامية أو الفقهية[1] ، أو الجدلية ، ولم يرد أن يشغل القارىء بالخلافات والمجادلات التي حصلت بين العلماء في ذلك ، وانما أراد أن يبقيه في جو النص القرآني ينهل منه العقيدة الصافية .

(٩) أطال في حديثه عن بعض القضايا والموضوعات العقائدية والاجتماعية والاقتصادية ، فأصبحت صالحة لئن تندرج وتصنف ضمن التفسير الموضوعي وذلك مثل تحريم الربا[2] - حقيقة عالم الملائكة[3] ،

(١) في ظلال القرآن في الميزان للخالدي ص ٤٠٨ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن م ٢ ص ٩٧١ ، م ٤ ص ٢٤٨٧ .
(٣) في ظلال القرآن ج ١ ص ٣١٨ : ٣٣٣ عند تفسير الآيات (٢٧٥ : ٢٨١) من سورة البقرة .
(٤) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٤٢٨ عند تفسير سورة الاعراف آية/ ٢٠٦
وأيضا ج ٤ ص ٢٣٧٣ عند تفسير سورة الأنبياء آية/١٩ ، ٢٠ .
وأيضا ج ٥ ص ٢٩٢١ عند تفسير سورة فاطر آية/ ١
وكذلك ج ٦ ص ٣٦١٨ عند تفسير سورة التحريم آية/ ٦ وص ٣٨٥١ عند تفسير الانفطار : ١٠ : ١٢ .

تحريم الزنا[١]، تقسيم الغنائم.[٢]

(١٠) عالج الكثير من المشكلات المعاصرة وعللها بعدم تطبيق التشريعات الاسلامية ، وأجاد في بيان أن تطبيق تلك التشريعات وتنفيذ الاحكام الاسلامية - مهما كانت في نظر البشر قاسية له آثار اجتماعية فاضلة جمة .

(١١) نجح في تعليله للاحكام والتشريعات والاوامر[٣] ، وبيان أن الحكمة فيها وجود الخير ، والمصلحة فيها للعباد عدا ما يعلمه رب العالمين من حكم خافية أخرى ، واعتقد أن هذه النقطة هى البارزة في تأثر قراء الظلال به وجعلهم يصبحون أكثر اطمئنانا لاحكام الله .

(١٢) أحسن الاستاذ سيد في عرضه لصفات الجماعة الاسلامية الاولى وما كانت عليه من خصائص ومن شعور وسلوك ومن بذل وتضحية وأنها سادت على مبادىء ومناهج الشريعة الاسلامية ، لذا فلحت ونجحت ودعا المسلمين في العصر الحاضر الى السير على خطى أجدادهم الصالحين .

(١٣) تفنن في تصوير العواطف والانفعالات أثناء عرضه لقصص القرآن وجعل القارىء يعيش وبكل انسجام في ذلك الجو القرآني المؤثر يتنسم عبيره.

---

(١) في ظلال القرآن ج٤ ص٢٤٥٥ عند تفسير سورة المؤمنون آية /٥،٦، ٧ .
وأيضا ج ٤ ص٢٤٨٨ : ٢٤٩١ عند تفسير سورة النور آية / ٣

(٢) في ظلال القرآن ج٣ ص ١٤٧٢ : ١٤٧٨ وكذلك ص ١٥١٨ : ١٥٢٣ .

(٣) كتحريم الربا والقصاص .

(١٤) رد بعض الشبهات الباطلة التي أثيرت من قبل أعداء الاسلام حول بعض الامور الاسلامية كمسألة زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش [(١)] ومسألة الجهاد في سبيل الله ، ومسألة تعدد الزوجات ٠

(١٥) أحسن في تناوله بعض المسائل العلمية فاذا كانت الآية مثلا أو الآيات لها صلة بناحية طبية أو فلكية أسهب فيها ، واستخلص منها العبر والعظات وأظهر عظمة الخالق وبين الاعجاز القرآني بما شمله من هذه العلوم كحديثه عن الحكم البالغة في تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير [(٢)] ، وحديثه عن النحل وما يخرجه لنا من عسل مصفى فيه شفاء للناس [(٣)] ، وتناوله خلقة الانسان وتركيبه والاطوار والاحوال التي مربها ، وأن اعادته للحياة مرة أخرى يوم البعث أمر يسير بالنسبة الى الله عز وجل القادر على كل شيء ٠

(١٦) أحسن الاستاذ سيد ـ رحمه الله ـ في اعراضه عن ذكر الاسرائيليات وبعض الخرافات الموجودة في بعض كتب التفسير ، وأعلن براءة التصور الاسلامي من الاساطير [(٤)] الاغريقية القديمة ٠

(١٧) كتب سيد ـ رحمه الله ـ الظلال ، ولم يقصد أنه تفسير بالمعنى التقليدي لكلمة تفسير ، وانما هو عبارة عن مشاعر فياضة تجاه القرآن الكريم متأثرة به ـ ومتضمنة شيئا من التوضيح ـ صاغها باسلوب مشوق جذاب يجعل القارئ يعيش في جو النص القرآني مع تأمله ومحاولة تطبيقه ٠

---

(١) في ظلال القرآن ،جـ ٥ ،ص ٢٨٦٦

(٢) في ظلال القرآن جـ ١ ،ص ١٥٦ ،جـ ٤ ،ص ٢٢٠٠

(٣) في ظلال القرآن ،جـ ٤ / ص ٢١٨١٠

(٤) في ظلال القرآن ،جـ ٥ ،ص ٣٠٠٨ ٠

الخـــلاصـــة

ان ماذكرتـه يعتبـر في رأيـي من أهـم المآخـذ ، وأهـم المزايـا لتفسـير الظـلال ، فأرجـو أن أكون قد وفقت الى حـد ما في اظهارهـا وهذا لا يمنـع من وجـود خصائص ومميزات أخـرى لم أتعرض لهـا ، فكـل باحـث يختلف رأيـه ونظرتـه عن الباحث الآخـر ·

وأعتقـد أن المتفـق عليـه أن للظـلال طابعـا عامـا يتمثـل في أمـور هـى :

(١) السهولـة والوضـوح ·

(٢) الاستطراد وتبسيط المسائل العلمية ·

(٣) الاسلوب المشوق الجـذاب

(٤) التكرار : وهذه الامور كما نعلـم تساهـم مساهمة كبيرة في تثبيـت المعانـي في النفوس وجعلهـا ماثلـة في الاذهـان ·

* * *


الفهارس

فهرس الآيات

رقم الآيـــة	السور والآيات المستشهد بهـــــــا	الصفحة
	سورة النحـــل	
٥ : ٨	(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون٠٠)	٥٠٩
١٤	(وهو الذى سخـــر البحـــر ٠٠٠)	١١٢
٤٤	(وأنزلنا اليك الذكـــر ٠٠٠)	٧١،٢٥٦،١٤
٥١	(وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين)	١٣٨
٦٤	(وما أنزلنا عليك الكتـــاب ٠٠٠)	٢٥،٤٤٣
٦٦	(وان لكم في الانعام لعبـــرة ٠٠)	٣٠٤
٦٩	(ثم كلي من كل الثمـــرات)	١٥٦
٩٠	(ان الله يأمر بالعدل والاحســان ٠٠٠)	٥١٢
٩٧	(من عمل صالحا من ذكر أو أنثـى ٠٠٠)	٤٩٧
١٠٦،١٠٨	(من كفر بالله بعد ايمانـــــه)	١٧٤
	سورة الاســـراء	
١	(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ٠٠٠)	١٤٢
٢٣	(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ٠٠٠)	٥١٣
٢٦	(وآت ذا القربي حقـــه ٠٠٠)	١٧٦-٤٠٦
٢٧	(وكان الشيطان لربه كفـــورا ٠٠٠)	١٧٦-٤٠٦
٣١	(ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ٠٠٠)	٥١٨
٨٨	(قل لئن اجتمعت الانس والجن ٠٠٠٠)	٤٣٧

رقم الآية	السور والآيات المستشهد بها	الصفحة
	سورة طه	
٥	(الرحمن على العرش استوى)	٢٦٤
١٤	(انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ٠٠٠)	٤٧٨
	سورة الأنبياء	
٨٣	(وأيوب اذ نادى ربه ٠٠٠)	٥٠٠
١٠٧	(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ٠٠٠)	٥٠١
	سورة الحج	
١١	(ومن الناس من يعبد الله على حرف ٠٠٠)	٣٤٣
٧٨	(وما جعل عليكم في الدين من حرج ٠٠)	٤٩١
	سورة المؤمنون	
١ : ١١	(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ٠٠٠)	١٢٧-١٦٢
٢٤	(فقال الملأ الذين كفروا من قومه ٠٠٠)	٢٢٩
٣٣،٣٤	(وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا ٠٠٠)	٢٣١
٤٧	(فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ٠٠٠)	٢٣٢
٥٠	(وجعلنا ابن مريم وأمه آية ٠٠)	٣٦٧
٥١	(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ٠٠٠)	٢٣٤
٦٠ ،٦١	(والذين يؤتون ما أوتوا وقلوبهم وجلة ٠٠٠)	١٦٧-٢٣٣
٦٢	(لانكلف نفسا الا وسعها) ٠	٤٧٦
٧٨	(وهو الذى أنشألكم السمع والابصار والأفئدة)	٢٣٣

رقم الآية	السور والآيات المستشهد بها	الصفحة
	سورة النور	
١١	(ان الذين جاء وا بالافك عصبة منكم ٠٠٠)	١٧٢
٦٣	(فليحذر الذين يخالفون عن أمره ٠٠٠)	٤٤٧
	سورة الفرقان	
١	(تبارك الذى نزل الفرقان ٠٠٠٠)	١٤٢-٤٢٠
٢٥، ٢٦	(ويوم تشقق السماء بالغمام ٠٠٠)	١٤٣-١٤٤
	سورة الشعراء	
١٢٨	(أتبنون بكل ريع آية تعبثون)	٣٦٦
١٥٣	(قالوا انما أنت من المسحرين)	٣٢٢
١٩٢:١٩٥	(وانه لتنزيل رب العالمين)	١٢٥-٤٢٠
	سورة العنكبوت	
٨	(ووصينا الانسان بوالديه احسانا ٠٠٠)	ح١٩٥-١٩٦
٢٠	(قل سيروا في الأرض فانظروا ٠٠٠)	٣٧٠
٤٥	(اتل ما أوحي اليك من الكتاب ٠٠٠)	٤٧١-٤٧٩
٦٤	(وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ٠٠)	٤٤٢
٦٥	(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ٠٠٠)	٣١١

رقم الآيـــة	السور والآيات المستشهد بهـــــــــــا	الصفحة
	سورة الشـــورى	
٢٣	(قل لا أسألكم عليـه أجرا الا المودة في القربـي ..)	١٧٧
٥١	(وما كان لبشـر أن يكلمـه اللـه الا وحيـا ..)	١٢٠
	سورة الزخـــرف	
٢٣	(انـا وجدنـا آبـاءنـا علـى أمـة ......)	٤٨
٦٧	(الأخلاء يومئـذ بعضهـم لبعض عدو الا المتقين)	١٠٩
	سورة الدخـــان	
١١،١٠	(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عـــذاب أليـــم)	١٥٧-١٥٩
١٥	(انا كاشفوا العذاب قليـلا انكم عائـــدون)	١٥٩
١٦	(يوم نبطش البطشـة الكبـرى ...)	١٥٩
	سورة الاحقـــاف	
١٥	(ووصينا الانسان بوالديـه احسانـــا ...)	ح ١٩٥
٢٩	(واذ صرفنا اليك نفرا من الجـــن ..)	٤٢٢
	ســـورة محمـــــد	
٣٨	(هأنتـم هـؤلاء تدعـون لتنفقـوا ...)	٤٢٩

رقم الآية	السور والآيات المستشهد بها	الصفحة
	سورة الانسان	
٨	(ويطعمون الطعام على حبه ...)	١٢٣
٩	(انما نطعمكم لوجه الله ....)	٣٠٩
٢٠	(واذا رأيت ثم رأيت ...)	٤٤٠
	سورة المرسلات	
٨ ، ٩	(فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت ..)	٤٦٣
	سورة التكوير	
١ : ١٣	(اذا الشمس كورت)	٤٦٣
١٨	(والصبح اذا تنفس ...)	٣٦٠
٢٩	(وما تشاءون الا أن يشاء الله ...)	٤٨٦
	سورة الانفطار	
١ : ٤	(اذا السماء انفطرت ....)	١٤٤-٤٦٣
	سورة الانشقاق	
١:٥	(اذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت ...)	١٤٤

* * *

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الاحاديث والآثار

* * *

فهرس الأعلام

الاعـــــــلام

* ابراهيم بن زيد أبو اسماعيل الخوزى ، قال فيه يحيى بن معين ليس بثقة وليس بشيء ، وقال أبو زرعة انه منكر الحديث ، سكن مكة ، وهو ضعيف الحديث ... توفي سنة / ١٥١ .(١)

* اسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء ، ولد بقرية شرقي بصرى سنة ٧٠١ هـ . كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والالفاظ صنف الاحكام على أبواب التنبيه ، والتاريخ المسمى بـ " البداية والنهاية " وكتاب تفسير القرآن العظيم ، وكتابا في جمع المسانيد العشرة وغير ذلك من المصنفات ، مات سنة ٧٧٤ هـ .(٢)

* أحمد تقي الدين بن عبد الحليم بن سلام بن تيمية ، ولد سنة ٦٦١ هـ . في حران ، ثم انتقلت أسرته الى دمشق هربا من التتار ، وكان له من قوة الذكاء وجودة الحفظ وحضور البديهة أكبر عون له على ما هو بسبيله من تحصيل العلم ، درس الفقه الحنبلي ، وانتهت اليه رياسة المذهب الحنبلي - بعد وفاة والده - وهو ابن واحد وعشرين سنة فبعد صيته واشتهر أمره ، ومن مؤلفاته : " الايمان ، ومنهاج السنة ، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان " . توفي في دمشق سنة ٧٢٨ هـ - (٣)

---

(١) الجرح والتعديل جـ ٢ ص ١٤٦ / ١٤٧ ، تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٨٠ .
(٢) طبقات المفسرين للداوودى جـ ١ ص ١١١ ، ١١٣ .
(٣) الاعلام جـ ١ ص ١٤٤ ، وكتاب الايمان لابن تيمية ص ٣

* الاسود بن يزيد بن قيس أبو عمرو النخعي كان فقيها زاهدا عابدا ، وعلى قدر كبير من العبادة والتقوى والورع ، وكان من أصحاب ابن مسعود توفى سنة ٧٥ هـ .[1]

* الحسن بن بشر بن مسلم بن المسيب الهمداني البجلي روى عن المعافى ابن عمران الموصلي ، وعنه البخاري وروى له الترمذي والنسائي بواسطة قال أبو حاتم : صدوق ، قال النسائي : ليس بالقوى ، قال ابن عدى أحاديثه يقرب بعضها من بعض وليس بمنكر الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٢١ هـ .[2]

* الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوى الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفراء ، ويلقب بمحيي الدين وركن الدين أيضا ، كان اماما في التفسير والحديث والفقه ، وله من التصانيف معالم التنزيل في تفسير القرآن وشرح السنة ، ومصابيح السنة في الحديث ، والتهذيب في الفقه[3] ، وغير ذلك وكان علامة زمانه ، وكان دينا ورعا زاهدا عابدا صالحا ، توفى في شوال سنة ٥١٦ هـ .[4]

* الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي كان امام أهل البصرة وحبر الامة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ . في عهد علي بن أبي طالب ، وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب وكان لا يخاف في الحق لومة لائم ، وكان فصيحا حكيما له كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة . توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ[5]

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٥٠ ، ٥١

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٢ ص ٤٧٤

(٣) طبقات المفسرين للداوردى جـ ١ ص ١٦١

(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٢ ص ١٩٣

(٥) الاعلام جـ ٢ ص ٢٢٦ .

* العرس بن عميرة الكندى ـ بضم أوله وسكون الراء ـ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم • وقد ذكره أبو حاتم فقال لأهل الشام عرسان عرس بن عميرة له صحبة ، وعرس بن قيس لا صحبة له • وذكر العسكرى أن عميرة أمه وان اسم أبيه قيس بن سعيد ابن الأرقم ، ووقع في معجم ابن قانع العرس بن قيس بن عميرة بن سعيد بن الأرقم ، وهو يؤيد ماذكر العسكرى وان كان ظاهره يخالفه •[1]

* الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي اليربوعي أبو علي الزاهد الخراساني قال عنه ابن عيينه : فضيل ثقة ، وقال النسائي : ثقة مأمون رجل صالح[2] وقال ابن سعد • ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم تعبد وانتقل الى مكة فنزلها الى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون ، وكان ثقة ثابتا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث •[3] وذكره ابن حبان في الثقات وقال : أقام بالبيت الحرام مجاورا مع الجهد الشديد والورع الدائم ، والخوف الوافر والبكاء الكثير والتخلي بالوحدة ورفض الناس وماعليه أسباب الدنيا الى أن مات بها •

* القاسم بن أبي بزه بفتح الموحدة وتشديد الزاى ، المكي مولى بني مخزوم القارئ ، ثقة • مات سنة خمس عشرة وقبل قبلها •[4]

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٧٥
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٨ ص ٢٩٤
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٥٠٠
(٤) تقريب التهذيب لابن حجر جـ ٢ ص ١١٥ •

* المعافي بن عمران بن نفيل بن جابر الموصلي الأزدي ، أبو مسعود شيخ الجزيرة في عصره وأحد الثقات من حفاظ الحديث ، سمع هشام بن حسان وابن جريج ، وثور بن يزيد وخلقا من طبقتهم ، وحدث عنه بقية بن الوليد وابن المبارك ووكيع بن الجراح والحسن بن بشر وغيرهم . صنف كتبا في السنن والزهد والأدب والفتن ، مات عام ١٨٥ هـ عن عمر نحو ٦٠ عاما .(١)

* أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد ابن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وهو يحابر بن مالك بن أدد من مذحج .
كان من خير التابعين وكان به برص دعا الله أن يذهبه فبرأ منه الا موضع درهم ، وله والدة كان بارا بها ، لو أقسم على الله لأ بره ، وكان ثقة وليس له حديث عن أحد .(٢)

* باذام ، ويقال باذان أبو صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب روى عن علي وابن عباس وأبي هريرة ومولاته أم هانيء ، روى عنه الأعمش واسماعيل السدى وسماك ابن حرب ، وأبو قلابة ومحمد بن جحادة والكلبي وسفيان الثوري وغيرهم .
قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال ابن حبان : يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه .(٣)

* ثابت بن أسلم شيخ الاسلام أبو محمد البناني مولاهم البصري وبناته هم بنو سعد ابن لؤي بن غالب ويقال هم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار .
ولد في خلافة معاوية وكان من أئمة العلم والعمل رحمة الله عليه ، وكان أعبد أهل زمانه ، وكان يدعو بأن يعطى الصلاة في قبره وكان ثقة في الحديث مأمونا ، اختلف في وفاته فقيل سنة ثلاث وعشرين ومئة وقيل سنة سبع وعشرين ومئة .(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ ، ص ٨٠ ومابعدها ، وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٦ ، ص ١٦١.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ، جـ ١ ، ص ٤١٦.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٧ ، ص ٢٣٢ ، وسير اعلام النبلاء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٠.

* جرير بن عبد الحميد بن قرط ، بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة - الضبى الكوفى ، نزيل الرى وقاضيها ، ثقة صحيح الكتاب قيل : كان في آخر عمره يهم في حفظه ، مات سنة ثمان وثمانين وله احدى وسبعون سنة . (١)

* حسن البنا : ولد عام ١٩٠٦ حفظ نصف القرآن وأتم تعليمه للابتدائية وشرط عليه والده للالتحاق بالمدرسة الاعدادية أن يتم حفظه للقرآن فلبى رغبته وقسم وقته لذلك ... ثم درس في دار العلوم بالقاهرة وحصل على الدبلوم سنة ١٩٢٧ م وجاء تعيينه مدرسا في الاسماعيلية ، وقد شكل عدة جمعيات في مراحل حياته الدراسية وأنشأ جماعة الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ في الاسماعيلية ، وانتقل للقاهرة سنة ١٩٣٢ واستشهد اغتيالا سنة ١٩٤٩ م . (٢)

* حيي بن أخطب رجل من أشراف بني النضير وواحد من أعداء الله من اليهود ممن حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان ممن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم بعد هزيمتهم ووقوعهم في أيدى المسلمين . (٣)

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر جـ ١ ص ١٢٧ .
(٢) الفكر الاسلامي المعاصر ص ١٩٧ لغازى التوبة ط ٣ دار القلم ، بيروت .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام م ٢ ص ٢٤١ .

* داود بن أبي هند ، واسم أبي هند دينار بن عذافر ، ويقال طهمان القشرى مولاهم أبو بكر ، ويقال أبو محمد البصرى ، رأى أنس بن مالك وروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة والشعبى وروى عنه شعبة والثورى . كان من حفاظ البصريين ، وكان ثقة فقيها واختلف في وفاته عام ١٣٩ هـ .... أو سنة ١٤٠ هـ . (١)

* رفيع بن مهران الرياحى البصرى أبو العالية ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، قال أبو بكر بن أبى داود ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير واختلف في وفاته على أنها سنة ٩٢ وقيل ١٠١ .(٢) وذكر بعضهم انها سنة ٩٣ وقيل ١٠٦ ، وقيل ١١١ والصحيح أنه توفى سنة ٩٠ هـ . (٣)

* روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصرى ثقة فاضل صنف الكتب في السنن والاحكام ، وجمع التفسير ، كان ثقة ، توفى سنة ٢٠٥ هـ . (٤)

* زيد بن أسلم العدوى كنيته أبو أسامة ويقال ابو عبد الله المدنى الفقيه مولى عمر بن الخطاب ، كان ثقة ومروياته مستقيمة وصحيحة وكانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(٥) كما كان ثقة في الفقه ، والعلم وكان عالما بتفسير القرآن ، توفى سنة ١٣٦ هـ.(٦)

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ٦ ص٣٧٦ ، تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٣٨٨
(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٩
(٣) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٢٨٥
(٤) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٢٩٣ ، طبقات المفسرين للداوودي جـ ١ ص١٧٩ .
(٥) سير اعلام النبلاء جـ ٥ ص ٣١٦ ، ٣١٧
(٦) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٣٩٥ .

* زيد بن وهب الجهني ، أبو سليمان الكوفي مخضرم [١] ثقة جليل ، لم يصب من قال : في حديثه خلل ، مات بعد الثمانين ، وقيل سنة ست وتسعين . [٢]

* سعد بن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أبو اسحاق البغدادى ، ثقة ، ولى قضاء واسط و غيرها ، مات سنة احدى وماثتين ، وهو ابن ثلاث وستين . [٣]

* سعيد بن جبير بن هشام الاسدى الوالبى كان من اعلم أهل الكوفة في ذلك الوقت [٤] ، وهو المقرىء الفقيه ومن جهابذة العلماء اشتهر بتقواه وورعه وعبادته [٥] ، وكان حافظا مفسرا قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة [٦] ، وكان رضى الله عنه ثقة اماما حجة على المسلمين ـ قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة . [٧]

---

(١) هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، ولا صحبة له ،
وفي اصطلاح أهل اللغة : هو الذى عاش نص عمره في الجاهلية ونصفه في الاسلام سواء أدرك الصحابة أم لا .
تدريب الراوى جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٢٢٧

(٣) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٢٨٦

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٨

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٧٦

(٦) سير اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٢١/ ٣٢٤

(٧) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ١١/ ١٤.

* سفيان بن عيينه بن أبي عمران الامام المجتهد شيخ الاسلام ومحدث الحرم ولد سنة سبع ومائة للهجرة وطلب العلم في صغره ، وكان اماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر [1] وكان ثقة ثبتا ، كثير الحديث حجة توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن احدى وتسعين سنة . [2]

* سفيان بن وكيع بن الجراح ، أبو محمد الرؤاسي الكوفي كان صدوقا الا أنه ابتلى بوراقة ، فأدخل عليه ماليس من حديثه فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه . [3]

* سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع واحد من أعداء الله من اليهود ممن حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وممن أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلائهم عن المدينة فنزل في خيبر ، ولما انقضى شأن الخندق استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله لعيه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم فتقلوه . [4]

* سماك - بكسر أوله وتخفيف الميم - بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكرى ، الكوفي أبو المغيرة صدوق [5] أدرك ثمانين صحابيا وروى له مسلم وأبوداود ، والترمذى والنسائي وابن ماجه والبخارى في التاريخ ، ذهب بصره ثم شفي وعاد اليه . توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة . [6]

* شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدى الآمدى مولاهم أبو بسطام ، الحافظ العلم أحد أئمة الاسلام ، كان من سادات أهل زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا ولد سنة ٨٢ هـ . [7] وهو أمير المؤمنين في

---

(١) طبقات المفسرين جـ ١ ص ١٩٦

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٤٩٨

(٣) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٣١٢

(٤) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ، م٢ ص ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢٧٣ .

(٥) تقريب التهذيب جـ١ ص ٣٣٢ (٦) الاعلام للزركلي جـ٣ص١٣٨ (٧) طبقات الحفاظ ص ٨٩، ٩٠

الحديث ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين ، وصار علما يقتدى به[1] وهو من تابعى التابعين واعلام المحدثين وكبار المحققين ومن آثاره تفسير القرآن الكريم . توفى سنة ١٦٠ هـ .[2]

* طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن الحميرى الجندى أدرك خمسين صحابيا قال ابن حبان هو من عباد أهل اليمن ، كما كان مفتيهم ، وهو من سادات التابعين كان عالما واسع العلم وقد حج أربعين حجة وخرج حديثه أصحاب الكتب الستة . مات سنة ١٠١ هـ وقيل سنة ١٠٦ هـ . وله بضع وتسعون سنة .[3]

* طنطاوى بن جوهرى المصرى ، فاضل له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة ولد في قرية عوض الله حجازى سنة ١٢٨٧ هـ . مارس التعليم فى المدارس الابتدائية ، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية ، وناصر الحركة الوطنية ، وله مؤلفات منها : الجواهر في تفسير القرآن ، وجواهر العلوم ، والنظام والاسلام ، والحكمة والحكماء ، توفى في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .[4]

* عامر بن شراحيل الهمداني الكوفى الشعبى ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب وكان اماما فقيها ثبتا متقنا ، زاهدا وكان مشهورا بالصبر على طلب

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٣٣٨/ ٣٤٦
(٢) معجم المفسرين لعادل نويهض جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٣) طبقات الحفاظ للسيوطى ، وتهذيب التهذيب جـ ٥ ص ١٠/٨ وتذكرة الحفاظ جـ١ ص ٤١
(٤) الاعلام جـ ٣ ص ٢٣٠ .

العلم وروى عن جمع كبير من الصحابة . مات سنة ١٠٩ هـ .[١]

* عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمر الليثى الكنانى القرشي أبو الطفيل شاعر كنانة وأحد فرسانها ومن ذوى السيادة ولد يوم وقعة أحد سنة ٣ هـ . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أحاديث[٢] وروى عن أبي بكر فمن بعده ، وعمّر الى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح ، وهو آخر من مات من الصحابة .[٣]

* عباس محمود بن ابراهيم بن مصطفى بن العقاد امام في الادب مصرى ، ولد سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م تعلم في مدرسة اسوان الابتدائية وشغف بالمطالعة وسعى للرزق ، ثم بعد فترة من الزمن انقطع الى الكتابة في الصحف والتأليف وظل اسمه لامعا مدة نصف قرن أخرج خلالها من تصنيفة ٨٣ كتابا في انواع مختلفة من الادب الرفيع منها كتاب عبقرية محمد وخالد وعمر وعلى والصديق والمرأة في القرآ ن ، والتفكير فريضة اسلامية وغيرها وكلها مطبوعة متداولة وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة دمشق والقاهرة وبغداد . توفى بالقاهرة ودفن بأسوان عام ١٣٨٣ هـ .[٤]

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ٧٩
(٢) الاعلام جـ ٣ ص ٢٥٥ / ٢٥٦
(٣) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٣٨٩
(٤) الاعلام جـ ٣ ص ٢٦٦

* عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي جلال الدين امام حافظ مؤرخ ومحدث ومفسر أديب ، ولد في القاهرة سنة ٨٤٩ هـ ٠ اشتغل بالعلم وعمل بالتدريس والافتاء وله نحو / ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير ومنها الرسالة الصغيرة ، وأشهرها الاتقان في علوم القرآن والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ولباب النقول في أسباب النزول وغيرها من المؤلفات العديدة ٠ توفى عام ٩١١ هـ ٠ (١)

* عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الحنظلي الرازي والمشهور بابن أبي حاتم ولد سنة ٢٤٢ وهو عالم زاهد مفسر ومحدث وحافظ كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال ، صنف في الفقه وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الامصار ، توفى سنة ٣٢٧ للهجرة ٠ (٢)

* عبد السلام أو محمد عبد السلام بن محمد عارف ثاني رئيس للجمهورية العراقية ولد في بغداد سنة ١٣٣٩ هـ ٠ وكان معاونا للقائد العام للقوات المسلحة سنة ١٩٥٨ م بعد مشاركته في ثورة يوليو " تموز " اختلف مع عبد الكريم قاسم أول رئيس للجمهورية فسجن لمدة سنتين وثلاثة أشهر وأطلق سراحه بعدها فأنتخبه مجلس الثورة رئيسا للجمهورية فحكم ثلاثة أعوام وشهرين ، وكان اسلامي النزعة حسن السيرة يوصف بالورع وعدم شرب الخمر ، وعدم تعمد الظلم ، واختلف في وفاته بحادثة الطائرة هل احترقت بنفسها أم أحرقت وذلك عام ١٣٨٥ هـ ٠ (٣)

---

(١) الاعلام للزركلي جـ ٣ ص ٣٠١

(٢) سير اعلام النبلاء جـ ١٣ ص ٢٦٣ / ٢٦٩

(٣) الاعلام جـ ٤ ص ٩

* عبد العزيز بن رفيع " بغاء " مصغرا الاسدى أبو عبد الملك المكى نزيل الكوفة ، ثقة ، مات سنة ثلاث ومائة وقيل بعدها ، وقد جاوز السبعين . (١)

* عبد الفتاح عبده اسماعيل كان من خيرة شباب الاخوان المسلمين ، ومن صفوة رجالهم ، وأحبهم الى الامام الشهيد حسن البنا وكان موضع ثقة مطلقة منه ، وكان له الفضل في توجيه الاخوان في الاسكندرية ، كما كان عابدا متبعا للسنة وحينما سجن في السجن الحربى كان من أصلب الاخوان ، وأكثرهم شجاعة في مواجهة الاصناف العديدة من التعذيب الذى تعرض له ، وكان يرنو بقلبه الى الشهادة ويتمناها من أعماق فؤاده حتى نالها وهو ثابت محتسب أمره عند الله . (٢)

* عبد الله بن عمر بن محمد بن على أبو الخير ناصر الدين البيضاوى كان اماما علامة عارفا بالفقه والتفسير نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا صنف كتبا عديدة منها مختصر الكشاف ، المنهاج في الاصول والغاية القصوى في الفقه .... ولى قضاء القضاة بشيراز تبريز وناظر بها مات سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز . (٣)

* عطاء بن أبي رباح مفتى أهل مكة ومحدثهم القدوة العلم ، أبو محمد بن أسلم القرشى مولاهم المكى ولد في خلافة عثمان بن عفان ، وقيل في

---

(١) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٥٠٩
(٢) مذابح الاخوان لجابر رزق ص ١٤٥ / ١٤٩ .
(٣) طبقات المفسرين الداوردى جـ ١ ص ٢٤٨

خلافة عمر بن الخطاب ، كان فصيحا كثير العلم عظيم التقوى ، وكان من أحسن الناس صلاة ،[1] وكان ثقة فقيها عالما كثير الحدبث أدرك مائتى صحابى . مات سنة ١١٤ هـ ، أو ١١٥ هـ . وله ثمان وثمانون سنة .[2]

* عكرمة أبو عبد الله المدنى من أهل المغرب مولى ابن عباس العلامة المفسر ، طلب العلم أربعين سنة فكان أعلم الناس وأعلم التابعين في ذلك الوقت . مات سنة مائة وخمس أو ست أو سبع . رحمه الله .[3]

* علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى أبو شبل فقيه العراق ، كان فقيها إماما بارعا حسن الصوت بالقرآن ، ثبتا فيما ينقل . صاحب خير وورع ، وكان يشبه ابن مسعود في هديه ، ودلّه[4] وسمته وفضله . مات سنة ٦٢ بالكوفة.[5]

* علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين ، ويقال أبو الحسن ويقال أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله المدنى زين العابدين قال الزهرى مارأيت قرشيا أفضل من علي بن الحسين ، ومار أيت أحدا كان أفقه منه ، ولكنه كان قليل الحديث .[6] وقال ابن سعد من تابعى أهل المدينة أمه أم ولد وكان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ، ورعا ، مات بالمدينة سنة أربع وتسعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة .[7]

---

(١) تذكره الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٩٨

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٥/٤٦

(٣) سير اعلام النبلاء جـ ٥ ص ١٩/ ٣٦ وطبقات الحفاظ ص ٤٣/ ٤٤

(٤) **والدلّ** والهدى والسّمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الانسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة .
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ ٢ ص ١٣١ .

(٥) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٨ والاعلام جـ ٤ ص ٢٤٨.

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٧ ص ٣٠٤ : ٣٠٧

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٢١١ ، ٢٢٢ .

* علي بن المبارك الهنائي بضم الهاء وتخفيف النون ممدودا ، ثقة كان له عن يحيى بن أبي كثير كتابان أحدهما سماع والآخر ارسال ، فحديث الكوفيين عنه فيه شيء ·[(١)]

* عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الاولى من أهل نجد ، وكان أحسن العرب شيمة ، ومن أعزهم نفسا يوصف بالحلم في شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة اجتمع في شبابه بأمرئ القيس ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلا ، وقتله الاسد الرهيص سنة ٢٢ ق · هـ - ·· م ·[(٢)]

* قتيبه بن سعيد بن جميل بفتح الجيم - بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني بفتح الموحدة وسكون المعجمة يقال اسمه يحيى وقيل علي ، ثقه ثبت[(٣)] ومن أكابر رجال الحديث ، ولد في بغلان من قرى بلخ سنة ١٥٠ هـ · وسكن[(٤)] العراق ، روى عنه مسلم ٦٦٨ حديثا ، والبخاري ٣٠٨ أحاديث · توفي سنة ٢٤٠ هـ · - ٨٥٥ م ·

---

(١) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٤٣

(٢) الاعلام جـ ٥ ص ٩١ ، ٩٢

داحس : فرس كانت لقيس بن زهير من بني عبس تسابقت مع الغبراء وهي فرس كانت لحذيفة بن بدر من بني فزارة فسبقتها فضرب وجهها ثم ردّت الضربة للغبراء ثم ضرب الرجل الذى ضرب الغبراء ثم انتقم للرجل المضروب بأن قتل واحد من القبيلة المعادية فلم تسكت وثارت لقتيلها فوقعت الحرب بين عبس وفزارة وسميت حرب داحس والغبراء · السيرة النبوية لابن هشام م ١ ص ٢٨٦·

(٣) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ١٢٣

(٤) الاعلام جـ ٥ ص ١٨٩

* لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، أحد الشعراء ، وواحد من أصحاب المعلقات الفرسان الاشراف في الجاهلية ، من أهل عالية نجد أدرك الاسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابة سكن الكوفة وعاش عمرا طويلا ، وكان كريما وترك الشعر في الاسلام . توفى سنة ٤١ هـ . ٦٦١م .[1]

* لبيد بن الأعصم - بفتح اللام وكسر الموحدة - يهودي من يهود بني زريق ، قال ابن عيينة رجل من بني زريق حليف اليهود وكان منافقا ، وقال ابن الجوزي هذا يدل على أنه كان أسلم نفاقا ، وهو واضح ... وقال ابن حجر : يحتمل أن يكون قيل له يهودي لكونه كان من حلفائهم لا انه كان على دينهم وبنو زريق بطن من الأنصار ، مشهور من الخزرج ، وكام بين كثير من الأنصار وبين كثير من اليهود قبل الاسلام حلف واخاء وود ، فلما جاء الاسلام ودخل الانصار فيه تبرؤا منهم :

وقد بيّن الواقدي اضافة الى ذلك كونه - أي لبيد - ساحرا جاءته رؤساء اليهود في السنة السابعة وطلبت منه أن يسحر لهم النبي صلى الله لعيه وسلم فسحره فلما كشف المولى عز وجل السحر عن نبيه صلى الله عليه وسلم لم يقتله وانما تركه لحكم منها أن عذاب الله أشد ومنها حتى لايقال أن محمدا يقتل أصحابه .[2]

---

(١) الاعلام جـ ٥ ص ٢٤٠

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر جـ ١٠ ص ١٩٢ .

* مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي المقرئ الحافظ المفسر عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وكان عالما بتفسير القرآن الكريم واختلف في وفاته سنة ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٤ ، مات وهو ساجد - رحمه الله - وله ٨٣ سنة . (١)

* محمد بن اسحاق بن يسار المدني أحد الائمة الاعلام قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقا للاخبار(٢)، كان حسن الحديث صالح الحال صدوقا واستشهد مسلم بخمسة أحاديث له وقد احتج به أئمة . مات سنة احدى وخمسين ومائة . (٣)

* محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري أبو جعفر الامام الجليل المفسر صاحب التصانيف الباهرة من كبار أئمة الاسلام المعتمدين قال فيه البغدادي كان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات ، فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها من كتبه جامع البيان في تفسير القرآن ، تاريخ الطبري ، الغرائب ، التنزيل ، الخفيف في أحكام شرائع الاسلام ، مولده آمل طبرستان في سنة أربع وعشرين ومائتين

---

(١) طبقات الحفاظ ص ٤٢ وتذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩٢ وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٣٩
(٢) الاعلام جـ ٦ ص ٢٨
(٣) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٧٥

ووفاته ببغداد سنة عشر وثلاثمائة .[(١)]

* **محمد** رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين البغدادى الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة المنار وأحد رجال الاصلاح الاسلامي من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ... لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له ومن أشهر آثاره ، مجلة المنار ، تفسير القرآن ، ولكنه لم يكمل ، والوحي المحمدى وغيرها ، مولده كان بالشام سنة ١٢٨٢ هـ ، ووفاته بمصر سنة ١٣٥٤هـ .[(٢)]

* محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبي أبو النضر الكوفي ، روى عن اخويه سفيان وسلمة ، وأبي صالح باذام مولى أم هانيء ، وعامر الشعبي والأصبغ بن نباتة وغيرهم ، وروى عنه هشام والسفيانان وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج ، وابن اسحاق وأبو معاوية ، ومحمد ابن مروان السدى الصغير وغيرهم .

قال النسائي : ليس بثقة ولايكتب حديثه ، وقال ابن حبان : وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق في وصفه ، روى عن أبي صالح التفسير ، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس لا يحل الاحتجاج به ، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع ، وقال الحاكم أبو عبد الله : روى عن أبي صالح أحاديث موضوعة .

مات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة .[(٣)]

* محمد عبده بن حسن خير الله مفتي الديار المصرية ، ولد عام ١٢٦٦هـ بقرية محلة نصر ... حفظ القرآن وجوّده وبدأ العلم في الجامع الأحمدى بطنطا ، ثم

---

(١) ميزان الاعتدال ، جـ ٣ ، ص ٤٩٨ ، وطبقات المفسرين ، جـ ٢ ، ص ١١٧/١١٠ ، والاعلام ، جـ ٦ ، ص ٦٩ .

(٢) الاعلام ، جـ ٦ ، ص ١٢٦ .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ، جـ ٩ ، ص ١٧٨ .

انقطع عنه فترة ، ورجع اليه ، ثم اكمل تعليمه في الأزهر ، حتى نال العالمية سنة ١٢٩٤ هـ ، لازم الشيخ جمال الدين الأفغاني وتتلمذ عليه واستفاد من فكره وأسسا جريدة " العروة الوثقى " بباريس بعد نفي كل منهما ولما سمح له بالعودة الى مصر تولى منصب القضاء ، ثم صار بعد فترة مفتيا للديار المصرية ، ومن مصنفاته : تفسير القرآن ، ولكنه لم يتم ، رسالة التوحيد ، وشرح نهج البلاغة ، توفي سنة ١٣٢٣هـ . (١)

* محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، من أهل صنعاء ، ولد بهجرة شوكان سمة ١١٧٣ هـ ، ونشأ بصنعاء ، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ، ومات حاكما لها سنة ١٢٥٠هـ له : ١١٤ مؤلفا منها : " نيل الاوطار من أسرار منتقى الاخبار " ، "الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة " ، " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير " ، وارشاد الفحول " في أصول الفقه ، وغير ذلك . (٢)

* **محمد** بن علي بن محمد ابن العربي المعروف بمحي الدين بن العربي ، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ، ولد في مرسية بالاندلس ، وانتقل الى أشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم ، والعراق والحجاز ، وانكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه ، وحبس وسعى بعضهم في خلاصه فنجا واستقر في دمشق ، وتوفي بها سنة ٦٣٨ هـ ، وهو كما يقول الذهبي : قدوة القائلين بوحدة الوجود ، له نحو (٤٠٠) كتاب ورسالة ، وكتب عنه كثيرون قدحا ومدحا . (٣)

---

(١) الاعلام جـ ٦ ، ص ٢٥٢ ، الفكر الاسلامي المعاصر ، ص ١٣.

(٢) الاعلام للزركلي ، جـ ٦ ، ص ٢٩٨.

ومعجم المفسرين لعادل نويهض ، جـ ٢ ، ص ٥٩٣.

(٣) **الاعلام للزركلي** ، جـ ٦ ، ص ٢٨١.

* محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الامام العلامة فخر الدين أبو عبد الله الرازي القرشي من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه. الامام المفسر اتقن علوما كثيرة ، وكان له مجلس كبير للوعظ يحضره العام والخاص ، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة وترك مصنفات عديدة منها التفسير الكبير ، معالم أصول الدين ، النبوات ، شرح أسماء الله الحسنى ، توفى سنة ٦٠٦ هـ . (١)

* محمد بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي المعتزلي المفسر ، يلقب بجار الله لانه جاور مكة زمانا ، ولد سنة ٤٦٧ هـ . بزمخشر قرية من قرى خوارزم ، ثم قدم بغداد ، وكان واسع العلم متفننا في كل علم معتزليا قويا في مذهبه علامة في الادب والنحو ، صنف الكشاف، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة والمفصل في النحو ، مات ليلة عرفه سنة ٥٣٨ هـ . (٢)

* محمد بن عمار بن ياسر العنسي بالنون ، مولى بني مخزوم مقبول، (٣) وذكره ابن حبان في الثقات . مات مابين ستين الى سبعين . (٤)

---

(١) طبقات المفسرين للداوردي جـ ٢ ص ٢١٥ ، والاعلام جـ ٦ ص ٣١٣ .
(٢) طبقات المفسرين للداوردي جـ ٢ ص ٣١٤ ، وميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٧٨ .
(٣) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ١٩٣
(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٩ ص ٣٥٩ .

* محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد الله القرطبي الانصارى المقرىء المالكي الزاهد كان اماما صالحا زاهدا مجودا للقراءات عارفا بوجوهها بصيرا بمذهب مالك حاذقا بفنون العربية وله يد طولى في التفسير ، ولد بالاندلس ونشأ بفاس وجاور بالمدينة المنورة واشتهر بالفضل والصلاح والورع ، ولد سنة سبع أو ثمان وخمسين وخمسمائة ومات سنة احدى وثلاثين وستمائة بمصر .[١]

* محمد بن عيدروس بن احمد بن الجنيد أبو بكر المقرىء المفسر النيسابورى كان اماما فاضلا في القراءات والتفسير عالما بالحديث والرجال توفى سنة ٣٣٨ هـ .[٢]

* محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة ، وقيل أبو عبد الله المدنى من حلفاء الاوس ، وكان أبوه من سبى قريظة سكن الكوفة ثم المدينة ، وكان محمد اماما علامة وكان له جلساء من أعلم الناس بالتفسير ، وكان ثقة عالما كثير الحديث ورعا تقيا . كان يقص في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقفه ، فمات هو وجماعة معه سنة ١١٨ هـ . وقيل سنة ١١٧ هـ . وهو ابن ثمان وسبعين سنة .[٣]

---

(١) طبقات المفسرين للداودى جـ ٢ ص ٢٢٢

(٢) طبقات المفسرين للداودى جـ ٢ ص ١٩٣/ ١٩٤

(٣) سير اعلام النبلاء جـ ٥ ص ٦٥ / ٦٨ ، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٢١ /٤٢٢ ، الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ١٣٤ .

* محمد بن محمد بن مصطفى العمادى المولى أبو السعود مفسر ، شاعر من علماء الترك المستعربين ، ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨ ، ودرس في بلاد متعددة ، وتولى القضاء ، وأضيف اليه الافتاء سنة ٩٥٢ هـ . وكان حاضر الذهن سريع البديهة له مصنفات منها ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم في تفسير، القرآن ، وكتاب تحفة الطلاب ورسالة في المسح على الخفين ، وشعره جيد . خلص كثير من ركاكة المعجمة ، توفى سنة ٩٨٢ هـ . (١)

* محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل السدى بضم المهملة والتشديد وهو الاصغر مولى الخطابيين وليس بثقة ، وهو كوفى متهم بالكذب ، من الطبقة الثامنة وهو صاحب التفسير . (٢)

* محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب القرشي الزهرى ، وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته واتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، مات سنة خمس وعشرين وقيل قبل ذلك بسنة أو بسنتين . (٣)

---

(١) الاعلام جـ ٧ ص ٥٩

(٢) الجرح والتعديل جـ ٨ ص ٨٦ ، ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٣٢ ، وطبقات المفسرين جـ ٢ ص ٢٥٥ .

(٣) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٠٧ .

* محمد بن مصطفى بن محمد عبد المنعم المراغي : ولد في بلدة مراغة من اعمال جرجا بالصعيد سنة ١٢٩٨ هـ . حفظ القرآن والتحق بالازهر وتتلمذ على يد الامام محمد عبده ، ونال شهادة العالمية سنة ١٩٠٤م ، وعين مدرسا بالازهر وهو من رجال الاصلاح الاجتماعي والديني في مصر وهو مفسر وكاتب بليغ وخطيب رائع ومن آثاره في التفسير تفسير سورة الحجرات ، وتفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان وتفسير سورتي لقمان والعصر . توفى سنة ١٣٨١هـ . ودفن بالاسكندرية .(١)

* محمد بن يوسف هواش بدأ نشاطه في جماعة الاخوان المسلمين في سنة ١٩٥٤ م وكان عضوا في فصيلة جنوب القاهرة ، قبض عليه سنة ١٩٥٥ م وحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة / ١٥ سنة ، كان بينه وبين سيد قطب قصة حب في الله وحوكم معه في السجن وتعرضا لاصناف عديدة من التعذيب الجسدي والنفسي ، وقد حكم عليه بالاعدام مع أخيه ، ورفيق دربه سيد قطب ونفذ عليهما الحكم في يوم واحد .(٢)

* محمود شلتوت فقيه مفسر مصرى كان داعية اصلاح نير الفكرة. له ٢٦ مؤلفا مطبوعا منها التفسير لعشرة أجزاء من القرآن الكريم(٣)

---

(١) الاعلام جـ ٧ ص ١٠٣ ومعجم المفسرين جـ ٢ ص ٦٣٩ .
(٢) مذابح الاخوان في سجون ناصر لجابر رزق ص ١٣٩ / ١٤٥ باختصار .
(٣) الاعلام جـ ٧ ص ١٧٣ .

ولد في مدينة بنى منصور عام ١٣١٠ هـ وتعلم بمعهد الاسكندرية الدينى وتخرج من الازهر سنة ١٩١٨ م وتنقل في التدريس من منصب لآخر الى حين وفاته سنة ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ . (١)

* مرة بن شراحبيل الهمدانى بسكون الميم ، ويقال له الطيب ، ويقال له مرة الخير الكوفى المفسر العابد ، وثقه يحيى بن معين ، يقال انه سجد حتى أكل التراب جبهته وكان بصيرا بالتفسير . مات سنة ست وسبعين وقيل بعد ذلك وهو مخضرم روى له الجماعة . (٢)

* مسروق بن الاجدع الامام أبو عائشة الهمدانى الكوفى فقيه وأحد الاعلام كان تقيا ورعا ، عابدا ومن أكثر الناس طلبا للعلم ، أخذ عن عمر وعلى ومعاذ وابن مسعود . توفى سنة ٦٣ هـ . (٣)

* مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن محمد الرافعى عالم بالادب وشاعر من كبار الكتاب أصله من طرابلس الشام ولد عام ١٢٩٨ هـ درس في دمنهور بمصر وعين كاتبا في محكمة طنطا الاهلية أصيب بصمم وكان يكتب له ما يراد مخاطبته به ، شعره نقى الديباجة على جفاف في أكثره ونثره من الطراز الاول له مؤلفات عديدة منها ديوان شعر مطبوع ، واعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ورسائل الاحزان ، ووحى القلم وغيرها

---

(١) معجم المفسرين جـ ٢ ص ٦٦٣
(٢) طبقات المفسرين جـ ٢ ص ٣١٧
(٣) تذكره الحفاظ جـ ١ ص ٤٩

توفى في طنطا بمصر عام ٣٥٦ هـ . عام ١٩٣٧ م .[١]

* معمر بن عبد الله بن حنظلة مدني مقبول من الطبقة الخامسة[٢] قال الذهبي : كان في زمن التابعين ، لا يعرف ، وذكره ابن حبان في ثقاته.[٣]

* نافع بن الازرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري أبو راشد رأس الازارقة ، واليه نسبتهم ، كان أمير قومه وفقيههم من أهل البصرة ، صحب ابن عباس في أول أمره وله أسئلة رواها عنه ثم كان من أعيان الخوارج توفى سنة ٦٥ هـ ، ٦٨٥ م.[٤]

* وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي بضم الراء وهمزة ثم مهملة - ورؤاس بطن من قيس عيلان ، الامام الحافظ الثبت محدث العراق أبو سفيان الكوفي أحد الائمة الاعلام ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة قال احمد : ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع مات سنة ١٩٧ هـ .[٥]

* يحيى بن أبي كثير الطائي ، مولاهم أبو نصر اليمامي ثقه ثبت لكنه يدلس ويرسل ، مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل قبل ذلك.[٦] قال الذهبي : هو في نفسه عدل حافظ من نظراء الزهري وروايته عن زيد بن سلام منقطعة لانها من كتاب وقع له .[٧]

---

(١) الاعلام جـ ٧ ص ٢٣٥ معجم المؤلفين جـ ١٢ ص ٢٥٦ ط دار التراث العربي.
(٢) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٦٦ . والطبعة الخامسة بعد المائة الهجرية تقريب التهذيب ١/٦
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٤ ص ١٥٥
(٤) الاعلام جـ ٧ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٥) تذكره الحفاظ جـ ١ ص ٣٠٦ / ٣٠٩ ، طبقات المفسرين جـ ٢ ص ٣٥٨/٣٦١ ، ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٣٣٥ .
(٦) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٣٥٦
(٧) ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٤٠٣

* يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادى ، ثقة حافظ مشهور ، امام الجرح والتعديل ، قال فيه الذهبى هو العلم الثبت الحجة مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة المنورة ، وله بضع وسبعون سنة .(١)

* يزيد بن هارون بن زاذى الحافظ أبو خالد السلمي مولاهم ولد سنة ١١٨ هـ . كان ذكيا فهما فطنا حافظا متقنا وكان يحضر مجلسه للعلم سبعون ألفا ، توفى سنة ٢٠٦ .(٢)

* يوسف بن عبد الله بن سلام الاسرائيلى أبو يعقوب صحابى صغير(٣)، قال البخارى : ان له صحبة ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبى يقول ليست له صحبة ، بل له رؤية ، وقال ابن سعد كان ثقة وله أحاديث صالحة ، وقال العجلى : كوفى تابعى ثقة ، توفى في خلافة عمر بن عبد العزيز .(٤)

* * *

---

(١) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٣٥٨ ، ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٤١٠
(٢) تذكره الحفاظ جـ ١ ص ٣١٧ والاعلام جـ ٨ ص ١٩٠
(٣) تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٣٨١
(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١١ ص ٤١٦

قائمة المراجع

قائمـــة المراجـــــع

* القرآ ن الكريـــــــــم

* الاتقـان في علـوم القرآ ن لشيخ الاسلام جلال الدين السيوطـــى . المتوفى سنة ٩١١هـ.
الناشر : شركة ومكتبة ومطبعة البابى الحلبى وأولاده
بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

* أحكام القرآن لابى بكـر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى المتوفى سنة ٥٤٣هـ
تحقيق محمد على البجاوى - طبعة جديدة فيهـــا
زيادة شرح وضبـــط . الناشر دار الفكـــر .

* الاخلاق الاسلامية وأسسهـا : تأليف الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكـــــــه
الميدانى . الناشر : دار القلم - دمشق - الطبعـــة
الثانية ١٤٠٧ هـ .

* الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى : تـأليـف / محمد شوقى زكى : تقديـــم
وتعليق أسعد سعد أحمد ، دار الثقافة العربيـــــة
للطباعـة - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م.

* ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : تأليف قاضى القضاة أبـــــى
السعود محمد بن مصطفى العمادى الحنفي - المتوفى
سنة ٩٨٢ .

تحقيق عبد القادر أحمد عطا . الناشر مكتبة الرياض الحديثة - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

* أسباب النزول : تأليف ابى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

* أساس البلاغة للامام جار الله ابى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . تحقيق عبد الرحيم محمود ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ .

* الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور : محمد محمد أبي شهبة الناشر : القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية تاريخ الطبعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

* الاسلام ومشكلات الحضارة : تأليف الاستاذ سيد قطب . الناشر : دار الشروق - الطبعة الخامسة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

* الاصابة في تمييز الصحابة : تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلانى ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وبهامشه الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمرى القرطبى ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . طبعة جديدة بالاوفست ، الناشر : مكتبة المثنى - بغداد .

* أصل الاعتقاد للدكتور عمر سليمان الاشقر ... الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م الناشر : الدار السلفية - الكويت .

* أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الامين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩م طبع على نفقة الشيخ محمد بن عوض بن لادن .

* الاطياف الاربعة تأليف سيد قطب - الناشر : دار الشروق .

* اعلام الموقعين عن رب العالمين تأليف شمس الدين ابى عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ . راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد . الناشر : دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، تاريخ الطبعة ١٩٧٣م.

* الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف :خير الدين الزركلى .... الناشر : دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٧ م.

* أنبياء الله تأليف احمد بهجت ، الناشر : دار الشروق - القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ م.

* الايمان للعلامة شيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية ، صححه وعلق عليه محمد خليل هراس .... الناشر : دار الفكر .

* الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى . شرح وتعليق د محمد خفاجى ، الناشر مكتبة محمد على صبيح وأولاده : تاريخ الطبعة ١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م.

* البرهان في علوم القرآن تأليف الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،
لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ ١٩٧٢ م تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم .

* الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث : للحافظ ابن كثير ، تأليف أحمد
محمد شاكر ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت
لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

* البحر المحيط تأليف أبي حيان . المتوفى سنة ٧٥٤ هـ . الناشر
مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة
العربية السعودية .

* البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير
القرشي ، الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . الناشر
مكتبة المعارف - بيروت - لبنان .

* البداية في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الحي الفرماوي .

* الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للامام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن
عبد القوي المنذري ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .
ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى عمارة ... الناشر
دار الفكر .

* التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي : تأليف عبد القادر عـــودة
الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

* التصوير الفني في القرآن للاستاذ سيد قطب . الناشر : دار الشروق ـ بيـــروت ـ لبنان ـ الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

* التعريفـــات معجم بشرح الالفاظ المصطلح عليها ... تأليـــف السيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزيـــن أبى الحسن الحسين الجرجانـي ، المتوفى سنة ٨١٦ هـ ـ
الناشر : شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبـى وأولاده ـ تاريخ الطبعة ـ ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م.

* التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط : تأليف العلامة أبى حيان ـ المتوفـــى سنة ٧٥٤.
الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الريـــاض المملكة العربية السعو دية .

* التفسير الواضح بقلم الدكتور محمد محمود حجـــازى ، الناشر : مطبعة الاستقلال الكبرى ، الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م.

* التفسير والمفسرون تأليف الدكتور محمد حسين الذهبـــى ، الناشـــر دار الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م

* التفسير الموضوعى د/ احمد الكومـــى ، د / محمد القاسم .

* التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان الناشر : محمد عبد المحسن الكتبى ، صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، تأليف الامام جلال الدين السيوطى ، المتوفى سنة ٩١١ هـ . الناشر : شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الرابعة .

* الجامع لاحكام القرآن تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى أو تفسير القرطبى . الناشر : دار الشعب بالقاهرة .

* الجرح والتعديل للحافظ ابى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الحنظلى الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ . الطبعة الاولى ، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

* الحدود في الاسلام ومقارنتها بالقوانين الوضعية : تأليف الدكتور محمد محمد أبى شهبة ، الناشر ، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، تاريخ الطبعة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤).

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور : تأليف الامام جلال الدين السيوطى الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

* الرائـــــد — معجم لغوى عصرى أتيت مفرداته وفقا لحروفها الاولى ، تأليف جبران مسعود ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٨ ·

* الرسالـــة — تأليف الامام المطلبى محمد بن ادريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، تحقيق أحمد شاكر ········ الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ·

* السلام العالمى والاسلام — للاستاذ سيد قطب · الناشر : دار الشروق الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م· ·

* السنن الكبـرى — لامام المحدثين ابى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى ٤٥٨ هـ ، وفي ذيله الجوهر النقى للعلامة علاء الدين على بن على الماردينى · الناشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ··· الهند ، ودار صادر بيروت - الطبعة الاولى سنة ١٣٥٤ هـ ·

* السنة قبل التدوين — تأليف محمد عجاج الخطيب ، الناشر : دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ·

* السيرة النبويـة — ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ، المتوفى سنة ٢١٣ هـ تقديم وتعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد · الناشر مكتبة الكليات الازهرية لصاحبها حسين المنباوى طبعة جديدة ومضبوطة ومنقحة ·

* السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبى شهبة ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، الناشر : القاهرة الحديثة للطباعة لصاحبها أحمد الخربوطلى ٠

* الشهيد سيد قطب حياته وآثاره ومدرسته بقلم يوسف العظم ٠ الناشر : دار العلم - دمشق - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف اسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق احمد عبد الغفور عطار ٠ الناشر دار العلم للملايين بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ ٠

* الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البصرى ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ٠ الناشر : دار بيروت للطباعة و النشر ٠

* العدالة الاجتماعية في الاسلام تأليف الاستاذ سيد قطب الناشر : دار الشروق - الطبعة الثامنة ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م٠

* العالم الربانى الشهيد سيد قطب بقلم العشماوى أحمد سليمان تاريخ الطبعة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩)٠

* الفكر الاسلامى المعاصر دراسة وتقديم غازى التوبة ٠ الناشر : دار القلم بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م٠

* القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الناشر : المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ٠

* القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : تأليف عبد الكريم الخطيب
الناشر : دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت
لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : تأليف ابى القاسم
جار الله محمود الزمخشرى الخوارزمى ، المتوفى
سنة ٥٣٨ هـ الناشر منشورات اقتاب نهران .

* المجتمع الاسلامي المعاصر محمد المبارك
الناشر : دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م.

* المدخل لدراسة القرآن الكريم : تأليف الدكتور محمد محمد أبى شهبة
الطبعة الثانية . منقحة ومزيدة .

* المستدرك على الصحيحين في الحديث : للحافظ الكبير أبى عبد الله المعروف
بالحاكم النيسابورى وفي ذيله تلخيص المستدرك للامام
الحافظ شمس الدين ابى عبد الله محمد ابن احمد
الذهبى . الناشر : دار الكتب العلمية - توزيع
دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

* المستقبل لهذا الدين تأليف الاستاذ سيد قطب .
الناشر : دار الشروق .

* المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقى
الناشر : دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ودار
الكتب المصرية - القسم الادبى .

* المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى عن الكتب الستة ، ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ٠
نشره د ٠ أ ٠ ى ٠ ونسنك استاذ العربية بجامعة ليدن : الناشر : مكتبة بيرل في مدينة ليدن ١٩٣٦ م٠

* المعجم الوسيط قام باخراجه الدكتور ابراهيم أنيس ، دعبد الحليم منتصر ، عطيه الصوالحى ، محمد خلف الله احمد
الناشر : دار الفكر ٠

* المعجم الوسيط تأليف ابراهيم مصطفي ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار ٠
الناشر : مطبعة مصر - تاريخ الطبعة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م

* المغازى تأليف محمد بن عمر بن واقد ٠ المتوفي سنة ٢٠٧ هـ ٠
تحقيق الدكتور / مارسدن جونس ٠
الناشر : دار المعارف بمصر - القاهرة ، تاريخ الطبعة ١٩٦٥ م٠

* المغنى في اصول الفقه تأليف جلال الدين أبى محمد عمر بن محمد بن عمر الخبازى ، المتوفى سنة ٦٩١ هـ ، تحقيق د/ محمد مظهر ٠ الناشر : مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى - جامعة أم القرى ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ٠

* المغنى في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم : للعلامة المحدث الشيخ محمد طاهر بن على الهندى المتوفى سنة ٩٨٦ هـ . الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت لبنان .

* المفردات في غريب القرآن لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى ، المتوفى سنة ٥٠٢ هـ .
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

* المقصد الاسنى في شرح معانى أسماء الله الحسنى ، تأليف أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ
عناية : بسام عبد الوهاب الجابى .
الناشر : الجفان والجابى للطباعة والنشر . الطبعة الاولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.

* المنار الجامع بين صحيح المأثور وصحيح المنقول للاستاذ الشيخ محمد عبده " جمعه: محمد رشيد رضا " .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - تاريخ الطبعة ١٩٧٢ .

* الموافقات في اصول الشريعة لابى اسحاق الشاطبى . بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد الله دراز .
الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر .

* المنهج الحركي ، دكتور/ صلاح الخالدى .

* الموطأ لامام الائمة وعالم المدينة ، مالك بن أنس
صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى
الناشر : دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان.

* النبأ العظيم الدكتور محمد عبد الله دراز ، الناشر دار القلم
الكويت - الطبعة الثالثة / ١٩٨٨ .

* النبوة والانبياء للشيخ محمد على الصابونى .
الناشر : دار الارشاد للطباعة والنشر - بيروت
لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

* النقد الادبى أصوله ومنهجه تأليف الاستاذ سيد قطب .
الناشر : دار الشروق ،ط ٢ ، ١٤٠٠هـ .

* نظرية التصوير الفني ، د / صلاح الخالدى .

* النهاية في غريب الحديث والاثر للامام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن
محمد الجزري " ابن الاثير " المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ،
تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

* الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور محمد محمود حجازى .
الناشر : دار الكتب الحديثة - تاريخ الطبعة ١٣٩٠هـ -
١٩٧٠ م.

* تفسير آيات الاحكام بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ محمد على السايس .
الناشر : مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالازهر
بمصر الطبعة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

* تذكرة الحفـــاظ — للامام أبي عبد اللـه شمس الدين الذهبي ، المتوفى سنـة ٧٤٨ هـ . الناشر : دار احياء التراث الاسلامي .

* تفسير الخازن — المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليـف علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن ، سنة ٧٢٥ هـ وبهامشه النسفي ، الناشر دار الفكر .

* تفسير غريب القرآن — لابى بكـر السجستانـي .

* تفسير الفخر الرازي — المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للامـام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الديـن عمر المشتهر بخطيب الري . المتوفى سنة ٦٠٤ هـ الطبعة الاولى ١٤٠١/ ١٩٨١ م.
الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـع .

* تفسير القرآن العظيم — للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيـل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .
الناشر : دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركـاه .

* تفسير القرآن الكريم — " الاجزاء العشرة الاولى " للامام محمود شلتوت . الطبعة الخامسة ١٩٧٣ م الناشر دار الشروق .

* تفسير القرطبي — الجامع لاحكام القرآن تأليف ابى عبد الله محمد بن احمد القرطبى : الناشر دار الشعب - القاهرة .

* تفسير النسفي — للامام الجليل ابى البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي : الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت لبنان .

* تقريب التهذيب — لخاتمة الحفاظ احمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . ، الطبعة الثانية : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

* تهذيب التهذيب — للحافظ الحجة شيخ الاسلام شهاب الدين أبى الفضل احمد ابن على بن حجر العسقلانى ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، الطبعة الاولى ، طبع بمطابع مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد .

* تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق تأليف ابى أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ .

الناشر : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر

تاريخ الطبعة / ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

* جامع البيان في تفسير القرآن ، تأليف الامام ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ،
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت -
لبنان ، الطبعة الثانية / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

* جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم - تأليف زين الدين
أبي الفرج ، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب
الحنبلي من علماء القرن الثامن الهجرى ، دار المعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

* جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي - مع حاشية العلامة البناني على
شرح شمس الدين محمد بن أحمد المحلى . الطبعة الثانية
طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦ هـ .

* جمهرة أنساب العرب لابى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسى
المتوفى سنة ٤٥٦ هـ . تحقيق وتعليق عبد السلام
محمد هارون .
الناشر : دار المعرفة - الطبعة الرابعة .

* حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى
تأليف أحمد بن عمر قاضى القضاة الملقب بشهاب الدين
الخفاجي المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ .
الناشر المكتبة الاسلامية - محمد أزمير ديار بكر
تركيا .

* خلق المسلم محمد الغزالى ، الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م
دار الكتب الحديثة بمصر لصاحبها توفيق عفيفى
عامر .

* خصائص التصور الاسلامى ومقوماته بقلم سيد قطب . الناشر : دار الشروق
بيروت - لبنان الطبعة السادسة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

* دائرة المعارف تأليف محمد فريد وجدى .
الناشر : مطبعة الواعظ بمصر تاريخ الطبعة
١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م.

* دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الالمعي
الناشر : مطابع الفرزدق التجارية - الرياض - الطبعة
الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

* ديوان عنترة بن شداد .
الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ،
تاريخ الطبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

* ديوان لبيد بن ربيعة العامرى منشورات دار القاموس الحديث ، بيروت ، الناشر ، مكتبة النهضة بغداد .

* رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل من مجموعة الرسائل الكبرى ، لشيخ الاسلام أحمد
ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : تأليف العلامة
أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي
البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ
الناشر : دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، طبعة جديدة ،
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

* روضة الناظر وجنة المناظر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل للامام
موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة ٦٢٠ هـ . الناشر : دار الكتاب العربي
بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

* زاد المسير في علم التفسير تأليف الامام ابى الفرج جمال الدين عبد الرحمن على بن محمد الجوزى القرشي البغدادي ، المتوفى سنة ٥٩٨ هـ . الناشر : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر - الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

* سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام وهو شرح الامام محمد بن اسماعيل الكحلانى ثم الصنعانى المعروف بالامير ، المتوفى ١١٨٢ هـ ، على متن بلوغ المرام من أدلة الاحكام للحافظ العسقلانى .
الناشر : المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

* سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح للامام الحافظ ابى عيسى محمد بن عنبى بن سورة الترمذى جمعه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة الازهر
الناشر : دار الفكر - الطبعة الثالثة : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م

* سنن أبى داود للامام الحافظ ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى المتوفى سنة ٢٧٥ في البصرة . الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
الناشر : دار الحديث طباعة ونشر وتوزيع حمص سوريا .

* سنن ابن ماجه للحافظ ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ حقق نصوصه وعلق عليه محمد فؤاد - عبد الباقي : الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

* سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة - النقد الموجه اليه بقلم محمد توفيق بركات - الناشر : دار التوحيد بيروت - الطبعة الثانية .

* سير اعلام النبلاء تصنيف الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .
الناشر : مؤسسة الرسالة .

* شرح ديوان لبيد بن ربيعة قدم له وشرحه ابراهيم جزيني ، المتوفى سنة ٦٦١ هـ
الناشر : منشورات دار القاموس الحديث بيروت لبنان
الناشر : مكتبة النهضة - بغداد .

* شرح العقيدة الطحاوية تأليف العلامة ابن أبي العز الحنفي .
الناشر : المكتب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ
١٩٧٢ م .

* شرح الجلال المحلى للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد المحلى على متن جمع الجوامع للسبكي بحاشية البناني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ، الطبعة الثانية .

* صحيح مسلم بشرح النووي طبع بتصريح من الاستاذ محمد محمد عبد اللطيف صاحب المطبعة المصرية ، الناشر : دار الفكر بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

* صحيح ابن حبان ترتيب الامير علاء الدين علي بن بلبان ، الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . قدم له وضبط نصه كمال يوسف

الحوت " مركز الخدمات والابحاث النظامية " .

الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

* طبقات الحفاظ للامام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ . الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

* طفل في القرية بقلم سيد قطب : الناشر : دار الشروق .

* طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي ، المتوفى سنة ٩٤٥ هـ . الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى .

* عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجه اليهم للدكتور محمد أبو النور الحديدي ، الناشر : مطبعة الامانة بمصر ، تاريخ الطبعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

* علم أصول الفقه للدكتور عبد الوهاف خلاف .

الناشر : دار القلم - الكويت - الطبعة التاسعة .

* عون المعبود : شرح أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

الناشر : محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

* فتح البارى شرح صحيح البخارى للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانـي
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان
الطبعة الثانية .

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة في علم التفسير : تأليف محمد بن
علي بن محمد الشوكاني .
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

* في الادب الحديث تأليف عمر الدسوقى استاذ الادب ورئيس قسم الدراسات الادبية
الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة
السادسة ١٩٦٧ م .

* في ظلال القرآن تأليف سيد قطب -
الناشر : دار الشروق - الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢م .

* قصص الانبياء تأليف المرحوم محمد احمد جاد المولى .
تاريخ الطبعة ١٩٧٣ م .

* قصص الانبياء تأليف محمد عبد الوهاب النجار .
الناشر : دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان
الطبعة الثالثة .

* قطر المحيط تأليف بطرس البستاني .
الناشر مكتبة لبنان .

* كتب وشخصيات بقلم الاستاذ سيد قطب ، الناشر : دار الشروق

* لباب النقول في اسباب النزول تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . الناشر :
دار احياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية
١٩٧٩ .

* لسان العـــرب تأليف العلامة ابن منظـــور : الناشر دار لســـان العرب ، بيروت ، لبنـان ٠

* لمحـات في اصول الحديث للدكتور محمد أديـــب صالــح ٠
الناشر : المكتب الاسلامى ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ٠

* مجلة المجتمـــع العدد / ٢٠٥ تاريــخ ٢٧ أغسطس سنة ١٩٧٤ م صفحة/ ١٨٠

* مجلة المجتمـــع العدد ٥٦٥ تاريـخ ١٢ جمادى الآخر ١٤٠٢هـ ، ص ٢١ ، ٤٢

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمي ، المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ٠ تحرير الحافظين الجليلين العراقـــــى وابن حجـــر ٠
الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م٠

* مختار الصحاح للامام محمد بن أبى بكر ابن عبد القادر الرازى٠
الناشر : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه - المكتبة المركزية مكة المكرمـة ٠

* مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، للامام محمد بن أبى بكـــــر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ٠
الناشر : دار الفكـــر ٠

* مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين · لابى عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ
تجقيق محمد حامد الفقى ،
الناشر : دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ·

* مذابح الاخوان في سجون ناصر تأليف جابر رزق ·
الناشر : دار الاعتصام ·

* مذكرات سائح في الشرق للامام أبي الحسن الندوى ·

* مسند الامام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمل في سنن الاقوال والافعال · الناشر : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر · دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

* مشاهد القيامة في القرآن سيد قطب · الناشر : دار الشروق ·

* مع الانبياء في القرآن الكريم لعفيف عبد الفتاح طبارة ، الطبعة الرابعة
الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ·

* معالم بلاد الحجاز تأليف المقدم عاتق عفيف البلادى ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م · الناشر : دار مكة للنشر والتوزيع ·

* معالم في الطريق سيد قطب ·
الناشر : دار الشروق ، بيروت ، لبنان الطبعة الشرعية العاشرة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م·

* معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر : تأليف عادل نويهض
قدم له سماحة مفتى الجمهورية اللبنانية
حسن خالد ، الطبعة الثانية / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م الناشر
مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة
والنشر .

* معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، وضع عمر رضا
كحالة .
الناشر : دار احياء التراث العربى للطباعة والنشر
والتوزيع ومكتبة المثنى لبنان .

* معرفة علوم الحديث تصنيف الحاكم ابى عبد الله محمد بن عبد الله
الحافظ النيسابورى تصحيح وتعليق الدكتور السيد
معظم حسين .
منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها
محمد سلطان النمنكانى ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ -
١٩٧٧ م.

* معركة الاسلام والرأسمالية سيد قطب . دار الشروق ، الطبعة الثامنة ١٤٠١ هـ
١٩٨١ م.

* مع سيد قطب في فكره السياسى والدينى لمهدى فضل الله .
الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ -
١٩٧٨ م.

* مقدمة في اصول التفسير تأليف الشيخ تقى الدين احمد بن تيمية .
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، تاريخ
الطبعة ١٩٨٠ م.

* مناهل العرفان في علوم القرآن بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد
عبد الله الزرقاني ، الناشر : دار احياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الثالثة .

* موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف ، اعداد أبو هاجر محمد السعيد بن
بسيوني زغلول .
الناشر : عالم التراث للطباعة والنشر ، بيروت -
الطبعة الاولى ، ١٤١٠ هـ .

* مهمة الشاعر في الحياة سيد قطب .
الناشر : دار الشروق ، بيروت ، لبنان .

* ميادين الاجتماع ومناهج البحث العلمى ، تأليف حسين عبد الحميد رشوان .
المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية تاريخ
الطبعة ١٩٨٣ م.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال لابى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى المتوفى
سنة ٧٤٨ .
الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، توزيع دار الباز
للنشر والتوزيع مكة المكرمة .

* نحـو مجتمع اسلامي تأليف الاستاذ سيد قطـــب .

الناشـر دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الطبعـــــــة

السادسة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م .

* نظرية التصوير الفني عندسيد قطب ، تأليف الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :

الناشـر : دار الفرقان - الطبعة الاولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

* نهاية الارب في معرفة انساب العرب : تأليف ابي العباس احمد القلقشندي ،

تحقيق ابراهيم الابيـاري .

الناشرون : دار الكتب الاسلاميـة ، دار الكتـــــاب

المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،

الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

* هـــــذا الديـــــن تأليف سيد قطـــــب

الناشر : دار الشروق ، بيروت ، لبنـــان .

* وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر

ابن خلكان ، المتوفى سنة ٦٨١ ، حققه الدكتور احسان عباس

الناشر : دار صادر ، بيروت ، تاريخ الطبعة ، ١٩٧٧م -

١٣٩٧هـ .

* * *


فهرس الموضوعات

* * *

* * *